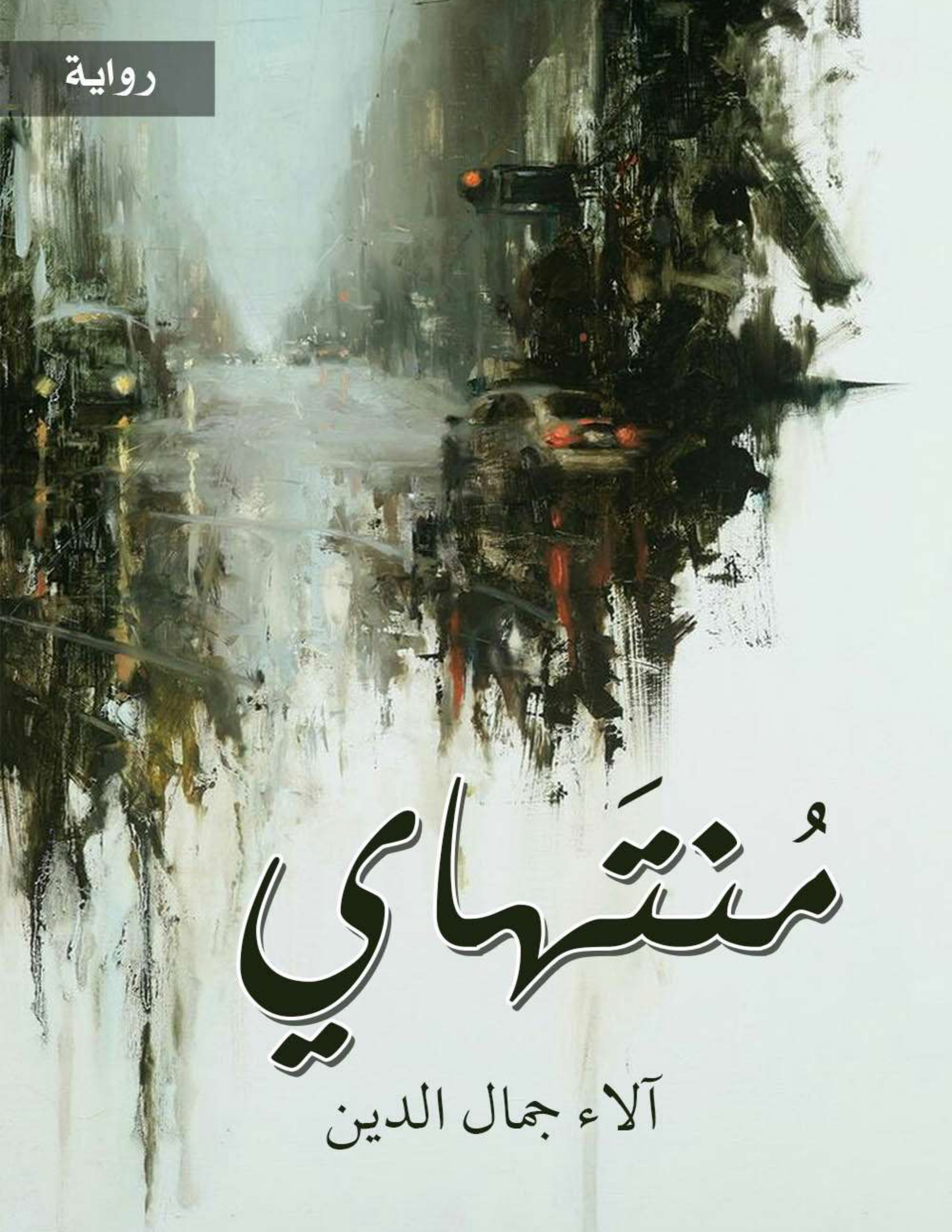

رواية
مُنتَهاي
آلاء جمال الدين

رواية منتهاي

آلاء جمال الدين

اسم الكتاب : منتهاي

نوع الكتاب : رواية

الطبعة : الأولى 2016 م

المؤلف : آلاء جمال الدين

للتواصل مع المؤلف : www.facebook.com/kald.asak.9

أحداث و تواريخ الرواية حقيقية و ليست مجرد خيال

و إن تم إضافة بعض الخيال لبقية الأحداث

إهداء

إلى أبطال هذه الرواية الذين لم ألتقيهم بعد وأؤمن بأنهم موجودون في مكان ما . .

إلى كل القلوب التي أوجعتها هذه الحرب. .

إلى كل الأصوات التي لم تجد مساحة للتعبير. .

إلى كل الكلمات التي لم تُكتب، وكل البيوت التي هُدّمَت. .

إلى كل يمني داخل أو خارج الوطن و لم يسمع صوته أَحد . .

إلى 26 سبتمبر، التاريخ الذي حمل كل أحلامنا وآمالنا؛ الثورة المجيدة التي تتذكر أن نشعلها كل عام وننسى أن نطبق أهدافها . .

إلى الذي أخبرته يوماً أن هناك ستة أسباب تمنعني من الكتابة ووقف بجاني إلى أن رأت هذه الرواية النور . .

إلى أمي التي وثقت بي دائما وإلى أبي الذي أورثني كل هذا الإبداع، إلى إخوتي آية وأحمد و جميع أصدقائي الذين وقفوا بقربي. .

إلى من همسوا لي بهذه الجمل:

" ملهمة أنتِ، ثقي بالقلب الذي يكتب، يوماً ما ستقودين ثورة بنجاح، بابتسامتك يشرق العالم، ستصلين للشيء عندما ترغبين به كما ترغبين بالحياة."

إلى العظماء دوماً : فريق أوتيما . .

أهديكم

استرخيت في كرسي الطائرة أغمضت عينيَّ وذهبت بهدوء إلى عالمي البعيد حيث أنا كما لم يعرفني أحد .. حيث وطني آمناً مستقراً ضاحكاً كما كان .. حيث هو دون أن يفرقنا القدر؛ وعنده هو توقف الزمان وذاكرتي ودقات قلبي

أ حقاً كانت هذه النهاية؟! .. أ نستحق هذا العقاب؟!

أ كان يجب أن تقتل أرواحنا، وتغرب أجسادنا، ونذوق ألوان العذاب؟!

أ هكذا انتهينا بلا شيء وكأننا لم نكن شيئاً؟!

تحتضر قلوبنا وتموت أحلامنا تحت كراسي الطغاة، وثمن الحرية يُدفع دماً ودموعاً وحُلُم. بين روحي و كلماتي يعيش حلمي .. كنتَ أنت روحي، وكان الوطن وجعي؛ فأصبحت روحاً خاوية مُحيت من جدران الضوء.

أي أقدار بائسة تلك التي فرقتنا؟!

أي خيانة تلك التي قتلتنا؟!

أي جماعة إرهابية سحقتنا؟!

أي حاكم خائن غرّب أرواحنا؟!

أخبرتني ذات يوم أنني علمتك كيف تموت فداءً للوطن؛ أخبرني بربك ما هو الوطن؟!

قطعة أرض تُسال من أجلها الدماء ؟!

جمع مناصب يقتل من أجلها الأبرياء ؟!

أ كان خطأً أن نتنفس بالحرية ونحب كما يحب الاحرار؟!

أ كان خطأً أن نخاطر من أجل الإنسانية ونحارب من أجل الاستمرار؟!

كيف سأغفر لك؟! .. كيف ستغفر لي الحياة؟! .. وكيف سنغفر للوطن؟!

أغمضت عينيّ أريد أن أنام وأنا أعلم أن آخر ما سيزورني هو النوم.
كيف سأنام وصوت توسلك يهمس لي بأنني خذلت النداء ؟!
كيف أنام ووجعي يصل عنان السماء ؟!
لساعات طويلة كنت مغمضة عيني أخاف هطول الدمع منها. لقد مرت سنين ومازالت ذكرياتي تحمل نفس الرائحة ولكنني فجأة شعرت أنني قد ذهبت إلى عالم آخر ربما هو النوم؛ قرر أخيرا أن يزورني.
هناك رأيت ابتسامته الرائعة، دمعه الصادق، وضحكته التي أشتاق لها كثيرا. ضممته كثيراً وكأنه هنا .. كم أشتاق لأن يكون هنا !
أناشيد الثورات، جنازة تمر من أمامي، أصوات الإنفجارات، رائحة الموت، لون الدم .. كلها رأيتها أمامي .. استيقظت مذعورة و سمعت كابتن الطائرة يعلن عن وصلونا الى أرض الوطن..!
عن أي وطن يتحدثون؟!
لقد تخلت عني هذه الأرض منذ زمن طويل ..

الجزء الاول

8 يناير 2015

3:30

رائحة الفجر في بلادي تشبه عطر الجنة .. وأضوائها الخافتة كالنجوم المتلألئة تحمل الطابع العثماني الخاص. جميلةٌ هي بيوتها المبنية بطرازٍ تتفرد به صنعاء منذ قديم الزمن .. لطالما كانت صنعاء مدينة شامخة شهدت ميلاد حضارات و أشرقت بنورها كثيرٌ من الفنون. لصنعاء عبق يشبه مزيج الفن والسلام، الحب والحضارة، سحر لا تملكه أي بقعة أخرى من بقاع الأرض. صنعاء دوماً ساحرة إلا أن لها لوناً خاصاً في هذا الوقت.

أنوار البيوت المضاءة لصلاة القيام، أصوات التسابيح في بعض الجوامع التي لا تعترف بمسمى الطائفية، ذلك النسيم الهادئ النقي الذي لم تلوثه بعد عوادم السيارات والاختلافات السياسية.

في إحدى بنايات العاصمة صنعاء تعيش أربع عائلات؛ عائلتان منهم جمعتهم قرابة أخوين، والبقية جمعتهم بهم صداقة قوية دامت قرابة 20 عام؛ بدأت من الآباء وانتقلت إلى الأبناء؛ علاقات قوية عابرة صادقة وصامدة توارثتها الأجيال. فهل ستصمد أمام حرب عابثة، أمام تضحية وحب ورصاص أمام مد وجزر هو الأول من نوعه ؟!

منتهى

استيقظت مبكراً اليوم. كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف فجراً. تبقى على أذان الفجر ساعة كاملة. نهضتُ من سريري؛ واجهتني ثلاث رسمات تمثل كل حياتي؛ الأولى لأخي نصر الذي رحل عنا في العام 2011 ، الثانية لخطيبي خالد وهو يمسك بالكمان الخاص به، والثالثة لوحة مبهمة أخبرني يوسف أنه شعر وهو يرسمها بأنها أنا. يوسف هو ابن عمي وأخي من الرضاعة. هذه الثلاث الرسمات هي مصدر قوتي بالرغم من أن والدي يقول أنني لن أستطيع أن أنسى وأنا أضع ألمي أمامي. لا أحد يعلم كم تعطيني هذه الصور من قدرة على الاستمرار؛ ربما يكون نصر هو أعظم خسائري، أكبر جراحي، وجعي الذي لا يهدأ؛ ولكنه أيضا ملهمي و معلمي الأول. ما زلت أحتفظ بجميع نصائحه وذكرياته؛ كلامته هي التي أوصلتني لما أنا عليه اليوم، ولولا توفيق ربي ووجود هذا اللوحات أمامي ما وصلت إلى ما أنا عليه. تذكرت المهام التي عليّ القيام بها اليوم، تبسمت؛ سيكون يوماً هاماً. نهضت من فراشي بتكاسل، ذهبت للوضوء. تبقى نصف ساعة على أذان الفجر .. أتممت الصلاة ثم وقفت أمام النافذة أتأمل شروق الشمس. دائماً ما أردد أنه لو كان لي حق اختيار اسمي كنت سأختار اسم "شمس" لأنني مثلها تماماً أسقط ضوئي على كل ما هو حولي حتى وإن غبت، يموت احتراقاً من حاول هدم أسواري، وأيضا أموت وأحيا كل يوم مثلها تماما.

وللشروق على شوارع صنعاء سحر خاص ذلك الشعاع الذي يتسلل على مبانيها مثل طفلة جميلة تداعبها قطرات المطر فتشرق، وتشرق الحياة بابتسامتها. تلك اللحظة التي يندمج جمالها مع مبانيها لتعكس أجمل لوحة لم ترسم بعد.

أي جمال تملكينه يا بلادي؟!
صنعتُ لي قهوة وضعتها على النار ثم أخذت هاتفي وبدأتُ بالتصفح، وجدت رسالة على برنامج ماسنجر فيس بوك منه، تبسمت كثيراً هو يعلم تماماً أنني أعشق الرسائل الصباحية، أعشق مشاركته لي تفاصيلي الصغيرة. خطيبي خالد، النور الذي تبقى لي في كل هذا الظلام، الأمان الذي ألقاه بين سطور الخوف، خالد هو الحب الذي يتنفس به قلبي، هو استجابة دعائي، هو سبب ابتسامتي ضحكتي وحياتي. تبسمت على رسالته وبدأت بتصفح موقع فيس بوك ولكنني صدمت كثيرا عندما قرأتُ ذلك الخبر المتداول في مواقع التواصل الاجتماعي وقد انتشر بهذا القدر. الأخبار هنا تنتشر كالنار في الهشيم. لم تمضِ سوى ساعتين على تسريب مكالمة لفاسد آخر، ولكن ها أنا أراها أمامي كل دقيقة. عصابة الرداء الأبيض فعلتها مجددا! تلك الجماعة التي لا يعلم أحد من هم أعضائها، أصبحت هَوَسَ المجتمع اليمني في الفترة الأخيرة لقد فضحوا كثيراً من السياسيين ورجال الأمن والجيش بمكالمات أو وثائق أو صفقات فساد، لديهم أيضا اسم مستفز جدا. توترتُ جداً عندما رأيت الأصداء حول هذه المكالمة.
"يجب أن أذهب إلى يوسف حالاً" هذا ما فكرت؛ به ارتديت حجابي بسرعة وخرجت من شقتنا إلى الشقة التي أمامنا مباشرة، دخلت بهدوء؛ كنت أود أن أفزعه ولكنني سمعت صوتاً آتياً من خلفي فصرخت بخوف !!
التفتُّ إلى الخلف لأرى يوسف يضحك ..
يوسف: جبانة
ابتسمتُ : لقد تعمد اخافتي إذا.
اكملتُ بابتسامة: لم أخف لأنك صرخت بل لأن شكلك مخيف.

اقترب مني وهو يرفع حاجبه: أنا شكلي مخيف؟!
تغيظني ثقته بنفسه فهو وسيم جداً ويعلم هذا؛ ابتسمتُ: أجل.
ضحك يوسف ثم قال: فليَكُن ولكن لمعلوماتك فأنا أشبه خطيبك كثيراً.
ها هو عاد ليغيظني مجدداً، فهو فعلاً يشبهه رغم أنه لا تربطهم علاقة نسب ولكن تربطهما علاقة صداقة قوية. إنهما جيران منزل ثم زملاء بنفس المدرسة، كبرا معاً وتخرجا معاً، ولم يفرقهما شيء حتى أصبحا يشبها بعضهما البعض. يمتلكان نفس النظرة الحادة، ونفس الحاجب المرفوع، نفس الوسامة الطاغية، وكذلك نفس الطول وما يميزهما هي ابتسامة طفولية لا تتناسب كثيراً مع ملامحهما الحادة.
ابتسمتُ له بإشراق
يوسف: صباح الخير
منتهى: صباح النور
يوسف: هل تجهزتِ لمقابلة اليوم؟!
تنهدت: أجل
ابتسم يوسف مشجعاً ثم أردف وكأنه تذكر شيء ما: والجامعة؟!
أجبته مطمئنه. منتهى: لدي محاضرة واحدة
يوسف: هل ستذهبين للمنظمة؟!
أجبته مؤكدة: أجل لدي متسع من الوقت بعد الجامعة، والمقابلة التلفزيونية لن تكون إلا في السابعة مساءً.
يوسف بابتسامة تشجيعية: أعلم أنك تستطيعين.
ابتسمت بتردد ثم أردفت قائلة: ماذا عنكم ؟!
يوسف بقليل من التردد: لن نذهب الى الورشة، سنذهب إلى المنظمة فقط.

شعرت بالخوف من كلامه: لماذا؟!

يوسف ابتسم لطمأنتي: لا تقلقي؛ لزيادة الأمان فقط.

منتهى: لا يوجد هناك أي مشكلة أ ليس كذلك؟!

يوسف بابتسامة واثقة: لا تقلقي.

منتهى: ماذا عن خالد ؟!

نظر لها يوسف نظره جانبية: ماذا عنه؟!

منتهى وهي تضربه بخفة على يده وقد فهمت ما يعني بنظرته: أنا أتحدث عن خالد مدير ومؤسس منظمة موطني وليس خطيبي

ابتسم يوسف باستفزاز: نعم. ثم أكمل: ماذا عن الأستاذ خالد الذي هو مديرنا وليس خالد خطيبك.

منتهى بعصبيه: لا شيء

يوسف وهو يضحك: هيا أخبريني ماذا عنه؟

منتهى: ماذا قرر بالنسبة لمشروعنا القادم؟

قطع حديثهم عماد أخاهم الآخر وهو يتثاءب

عماد وهو يحك شعره: منتهى هنا، خير؟!

منتهى وهي تضربه: هل تراني نذير شؤم؟!

عماد بابتسامه عذبه: بالعكس أنتِ أجمل ما في هذه العائلة وهو ينظر ليوسف نظرات ذات مغزى

منتهى وهي تنظر لهما الاثنان بشك: ماذا حدث؟ هل تشاجرتما مرة أخرى؟

تنهد يوسف: لا أعلم اسأليه.

منتهى وهي تقف كالمحققين أمام عماد: ماذا حدث؟!

عماد: لا شيء؛ تشاجرنا كالعادة.
ضمت منتهى يديها أمامها وقالت: وما هو السبب هذه المرة؟
ضحك يوسف وهو يضرب عماد بخفة
يوسف: وهل هناك اخوة لا يتشاجرون؟!
ابتسمت بسخرية عندما تذكرت أَخَوَيْ خالد.
أضاء هاتف عماد برنة رسالة نصية قرأها بتمعن ثم ابتسم بسخرية وتحدث: هذه خدمة الأخبار .. لقد سمعتم عن المكالمة التي سُرِّبَت
منتهى وهي تنظر ليوسف: أيّ مكالمة ؟
سكت الجميع لثوانٍ ثم تحدث عماد: عصابة الرداء الأبيض إنهم مجانين؛ سيُقتلون بمجرد أن يعرف هؤلاء الذين يفضحونهم من هم.
نظرت منتهى ليوسف نظرة ذات معنى: لا أعتقد أن أحد سيعلم من هم
تحدث عماد بلا مبالة كبيرة: لا يعرفون مع من يلعبون إنها لعبة الكبار يا منتهى سيستعملون معهم أساليب رخيصة جدا ليسلموا أنفسهم أو سيستعينون بمخابرات دول عظمى؛ إن من يحكمون الدولة سيفعلون أي شيء للبقاء.
سرت رعشة خفيفة في جسد منتهى ثم استأذنت للذهاب بحجة أنها تريد الاستعداد للجامعة.

شقه اخرى في نفس البناية

بنان

استيقظتُ متأخرة قليلاً، لقد واجهت صعوبة في النوم ليلة البارحة، ضللت في غرفة والدي رحمه الله كثيرا أفتش بين أشياءه، اشتم رائحته، أقبل صوره، كانت رائحته ماتزال عالقة بين أشياءه برغم مرور أكثر من عام على رحيله.
في حادث إجرامي لن تغفره الإنسانية أبدا .. أغمضت عيني وأنا أحاول أن أمحو صور مقتله الذي رأيته من ذاكرتي .. أتممت صلاتي، وعندما خرجت من الغرفة رأيت والدتي أمامي ضممتها كثيراً وقبلت رأسها.
والدتي: صباح الخير
بنان: صباح النور
سألتني والدتي بشك: هل نمتِ جيداً؟
اشرت برأسي: لا
تبسمت وضمتني: بنان يا صغيرتي والدك كان سيريد أن يراك أقوى من هذه الظروف؛ تأكدي يا ابنتي أن الضعف لا يعيدهم، هو يقتل ما تبقى فينا من أمل من حياة .. الإرهاب الذي قتله يا بنان كان يقصد أن يقتل معه بسمتنا وأملنا بالحياة ورغبتنا في الاستمرار .. الإرهاب الذي قتله كان يريد أن يقتلك معه، يقتل فكرك وطموحك، كان يريد أن يحاصرنا في دائرة من الحزن لا نستطيع الفرار منها .. كي لا نملك القوة على مواجهته في يوم من الأيام. الضعف يا ابنتي سيجعلك تقفين في نفس المكان و والدك يحتاجك لمواصلة حلمه.
ابتسمت لها بسعادة، والدتي تعلم جيدا كيف تعطيني جرعة أمل صباحية

ماهي إلا ثوان حتى أضاء هاتفي المحمول برسالة من منتهى تدعوني للإفطار معها اليوم: أنتظرك على الافطار، لا تتأخري كي لا أجوع، تعلمين أنني أتحول عندما أشعر بالجوع

تبسمت، فمنتهى هي أقرب صديقاتي، هي ليست مجرد صديقة عادية، هي أنا، هي سعادتي هي قوتي، منتهى هي ابتسامتي وقت البكاء، هي التي قد تقدمني على نفسها وقت الدعاء، منتهى هي الظل الذي أختبئ تحته من حرارة الحياة.

مرت ثوان ووصلتني رسالة أخرى منها: يوسف سياتي أيضا.

ضحكت بصوت عالٍ، تأملت الدبلة التي تربطني به؛ ذاك الشي الصغير الذي يربطني بيوسف. يوسف الذي أضمد به جرحي أداوي به انكساري، يوسف هو وطني الصغير وحلمي الكبير، يوسف هو الفرحة التي أضعتها في زحام الأيام، هو الأمان الذي سرقته مني أيادي الإرهاب، يوسف هو بسمة صغيرة ترتسم على شفاهي كلما تذكرته. دعوت الله أن لا يحرمني منهمها أبدا ثم هممت بالذهاب إلى اختاي الصغيرتين لأيقظهما للاستعداد للذهاب إلى المدرسة. لا يوجد لدي أخ وأنا الكبيرة. بعد وفاة والدي أصبحت المسئولة عن الجميع، وبينما أنا أعد الفطور أشغلت المذياع فإذا بي أسمع أخبارا عن تلك الجماعة التي تسمي نفسها عصابة الرداء الأبيض. ابتسمت وأنا أسمع المذيع يتهمهم بالخيانة فقد قاموا بتسريب مكالمة أخرى ولكن هذه المرة استهدفوا جنرال جيش له مكانة كبيرة.

في نفس البناية ولكن في شقه ثالثه

خالد

استيقظت متأخرا جدا هذا الصباح؛ فقد كلفني يوسف بكثير من المهام وقد بقيتُ أعمل حتى الثالثة والنصف. من الاستحالة العمل في بيتنا نهاراً فنحن ثمانية إخوة ووالدتي، والدي توفي منذ زمن بعيد وأخي الأكبر مغترب في إحدى الدول العربية وأنا أتحمل مسئولية بيتنا كاملاً .. لذلك أنتظر حتى اليل حين ينام الجميع ثم أقوم بعملي.

استيقظت وأنا أشعر بالإنهاك وقبل أن أخطو خطوة واحدة من غرفتي هجمت علي اختاي الصغيرتين التوأم

مها: رغد كسرت لعبتي

رغد: وهي كسرت دميتي بالأمس

وقبل أن أجيب سمعت صوت أختي لمياء

لمياء: اذهبا لتساعدا أمي في المطبخ وأنا سأشتري لكم لعباً غيرها ثم تبسمت وأكملت: فخالد لم ينم البارحة جيداً.

تبسمتُ لها، لمياء هي أحن أخواتي رغم أنها لم تصل إلى السادسة عشر بعد إلا أن لها قلب طفلة وحنان أم وعقل امرأة ناضجة؛ أحبها جداً وربما تكون أقرب أخواتي وإخواني لي. ضمتني وقبلت رأسي..

لمياء: صباح الخير؛ استعد فيوسف دعاك للإفطار معه وبالتأكيد منتهى ستكون هناك. قالت جملتها الأخيرة وهي تبتسم وتغمز بعينيها. ابتسمت لها..

يوسف هو أجمل هدايا القدر لا أعلم أي شيء رائع صنعته لأُكافأ بصداقته.

يوسف هو أخي ودمي وروحي ومعنى آخر للحياة، يوسف هو السند الذي أتكئ عليه إذا انكسرت، هو عيني التي أرى بها حين يعمي الدمع عينيّ، يوسف هو القلب التي أستريح فيه من عناء هذه الحياة ..

عند كلمة حب تذكرتها زارني طيفها، تأملت صورتها، تلك قطعة من روحي بل روحي التي لا أستيقظ صباحاً إلا من أجلها، أسكن في عينيها، أتنفس بضحكتها أفرح لابتسامتها وأبكي لعبوسها، أضيع في تفاصيلها وأتشتت أمام نظراتها. انتمائي ودمائي وبدايتي ومنتهاي هي منتهى و أي لحن يعزف على أوتار قلبي اسمها .. منتهى هي التي علمتني كيف أعيش من أجلها، وأموت فداء للوطن .. قطع صوت تفكيري أصوات صراخ، خرجت إلى صالة المنزل لأجد أخويّ يتعاركان كعادتهما. في الفترة الأخيرة عليها اللعنة من فتنة فرقت بينهما وحولتهما من إخوة إلى أعداء. لعن الله من أيقظ هذه الفتنة حتى بين أبناء البيت الواحد. خرجت لهم وأنا أشعر بغضب شديد..

خالد: كفى

عادل: إن تحدثت بسوء مرة أخرى علينا قطعت لسانك.

محمد بقوة: لا تستطيع أتعرف لماذا؟ لا تعرف إذاً دعني أخبرك لماذا لأنك جبان وعبد لقائد جبان مثلك أنتم مجموعة من الجبناء تختبئون خلف أسلحتكم أما نحن فلا سلاح لنا سوى الإسلام وراية الإسلام وقائدي لا يتقاضى ليدافع عن وطنه وقضيته وإن تجرأت وأخطأت في حقه قطعت رأسك وليس فقط لسانك.

عادل: أسأتم لسمعة الإسلام وخنتم الوطن، أنتم خونة، تقتلون المسلمين وتفجرون بيوت الله.

محمد باستهزاء: لا تتحدث وكأن جماعتك هي من حررت القدس، أنتم أيضاً صفحتكم مليئة بدماء المسلمين. ثم لسنا نحن من يحمي سفارة من تسميهم بالكفار أو نحن من نذهب للتفاوض والتحاور معهم.

عادل: لا لستم أنتم ولكن أنتم من يعترفون وتعترفون أنكم من صناعتهم، مجرد عبيد أنتم كآلات صنعوكم لتدمير الإسلام والأمة العربية.

لم يتمالك محمد نفسه فأمسك بقميص أخيه وشده بقوة وقال بصراخ: اسكت.

خالد بصراخ: هيا تقاتلا هيا ماذا تنتظران؟! هيا عادل خذ بحق قائدك واقتل أخيك، خذ بحق قائدك الذي لا تعني له سوى وسيلة يصل بها إلى الحكم. وأنت لا تتردد اقطع رأس أخاك، هيا فقائدك يصعد على رؤوس اليمنين سلّم الحكم تقاتلا من أجل جماعات تستغلكما ولا تعنيان لهم شيء، تقاتلا من أجل من باعوا الوطن، تقاتلا فليس هناك أرخص من دم اليمنين إذا كانوا قد فرقوا بينكما وأنتم أَخَوَان، فكيف لا يستطيعون تدمير وطن .. وحرب تدمر المنازل كيف لا تمزق الوطن ؟!

ولكن بعد أن تتقاتلا اذهب لأميرك واطلب منه أخاً يعوضك تستند به ولن تجد، وأنت أيضا اذهب لسيدك لتطلب منه قيمة أخاك إن كان يملكها ..

سكت الجميع احتراما لخالد ولكنه تركهم وهو يشعر بغضب شديد وحسرة تخنقه، لا يصدق أن أخويه الذين كان يضرب بهما المثل في أخوتهم ومحبتهم يتناحران هكذا. تمنى حقا لو أنه أعطى من وقته لهما ليعلمهما القراءة، قراءة الكتب، لا تلك المناهج التي لا طائل منها سوى وزن زائد يكسر ظهور الطلاب وعقولهم أيضا فهم مطالبون بالحفظ بدون فهم .. المثقفون لا ينجرون وراء عصابات الجهل و لا تنطوي عليهم عباراتهم الكاذبة وشعاراتهم المخادعة. ليته علمهم حب الكتب ليته

أطلعهم على التسامح في تاريخ الإسلام. يشعر بالألم على شباب أخويه الذي يضيع من بين يديهم.

كان يجب أن ينجز بعض الأعمال قبل الذهاب ليوسف، فتح جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به وقبل أن يبدأ بالعمل أضاء هاتفه باتصال من صديقه يخبره بأخبار المكالمة المسربة تصنع الدهشة وهو يبتسم ابتسامه مشاكسة وبداء بالعمل وفتح حسابه على الفيس بوك .. كانت أغلب المنشورات تتحدث عن عصابة الرداء الأبيض والمكالمة الأخيرة التي تم تسريبها

"سيكون صدى هذه المكالمة كبير جدا" تبسم وما لبث أن تحولت ابتسامته لقهقهة.

في شقة يوسف

منتهى

كنا نعد الإفطار أنا ووالدتي سماح، والدتي سماح هي والدتي من الرضاعة. أما أمي فقد توفيت بخطأ طبي ربما يكون هذا أحد الاسباب التي جعلتني التحق بكلية الطب. و كان لدي أخ وحيد ولكنه رحل ..

تبسمتُ عند ما سمعت صوت بنان قفزت إليها وأنا أبتسم.

ضممتها كثيراً: صباح الخير.

قالت بلهجة مرحة مصطنعة قد يصدقها الجميع إلا أنا: صباح النور

سلمت على والدتها ثم بدأنا في إعداد الإفطار جميعاً، كانت الأمهات منشغلتان بالحديث عن المنزل والطبخ

همست لها: إلى متى ؟

تركت الأطباق من يدها و نظرت إليّ بانكسار: لا أستطيع يا منتهى لقد رأيت مقتله أمامي ..

نظرت لها معاتبة وقلت بلهجة حادة: ألم أخبرك ألا تري الفيديو مجدداً؟!

هزت رأسها بالنفي وهي توشك على البكاء: لم أره ولكن صوره لا تفارقني..

شعرت بالحزن من أجلها فحاولت مواساتها وأمسكت يدها: هيا بنان أنتِ قوية بما فيه الكفاية لتتخطي كل هذا وأنا معك ولن أتركك.

ابتسمت بقوة، هذه ابتسامتها الحقيقية ابتسمتُ لها أيضاً.

بنان وخالد هما أغلى ما أملك في حياتي. بنان هي اللون الزهري في لوحة حياتي السوداء، هي صديقتي، هي الحضن الحنون الذي يعوضني فقدان والدتي هي القوة

التي تمدني للاستمرار، هي أقرب البشر لي .. كانت والدتي سماح تمتلك تلفاز في المطبخ سمعنا خبر عاجل على إحدى القنوات العربية تتحدث عن المكالمة التي سربت ليلة البارحة .. نظرت إلى بنان وضحكنا معاً بقوة.

تناولت جهاز التحكم وغيرت المحطة، ظهرت أمامنا أغنيه أعشقها جدا ويوسف أيضا وحتى خالد. شعرت بحماس شديد فاليوم هو يوم مميز لنا جميعا صعدت فوق أحد الكراسي وبدأت بالغناء مع الأغنية.

"بكتب اسمك يا بلادي على لشمس اللي ما بتغيب لا مالي ولا ولادي على حبك ما في حبيب "

سمعت صوته العذب يغني من الخارج كان يوسف يردد الأغنية من الخارج، لم يدخل تجنباً لإحراج بنان، فخرجت له أنا بعد أن رفعت الصوت إلى أعلى درجة وأخذنا نغني الاثنان ونحن نضحك.

يوسف: "على الموج العالي ونجوم تلالي وعزك ما يغيب. لا مالي ولا ولادي على حبك ما في حبيب"

أتى أخي عماد وأخبرنا أن خالد ينتظر في الباب فدخلت إلى المطبخ وأغلقت باب المطبخ ولكنني سمعت بعدها صوت خالد يغني مع يوسف ضحكت كثيراً كم يبدوان متشابهَين ولكن لا صوت في العالم كصوت خالد، يمتلك حنجرة ذهبية صوته وكأنه آتٍ من السماء، ولا عزف كعزفه لمقطوعاته الخاصة كأنها رحلة إلى الفردوس.

خالد: "ل الف الدنيا ودور وأقطع السبع بحور انه ايامك يا بلادي ترجع على ارض النور"

يوسف: "والعيد عيدك بالخير نزيدك معاك نطيب . لا مالي ولا ولادي على حبك ما في حبيب".

عدنا بعدها إلى أعمالنا، يوسف وخالد إلى عملهما وأوراقهما وأنا وبنان أكملنا إعداد الإفطار كان إفطاراً يمنياً بامتياز. الخبز اليمني الأصيل خبز التنور برائحته المميزة على الإفطار.

منتهى: بنان هل أنهيتِ تعديل صورك الأخيرة ؟

بنان: ليس بعد

والدة يوسف: متى سيكون معرضكم القادم؟!

منتهى بابتسامة مشاكسة: إنه سر

والدة بنان: يقولون بأن معرضكم القادم سيكون في مكان متميز جدا

بنان وهي تبتسم لمنتهى: متميز جدا، إنها فكرة منتهى.

منتهى بفخر: بالطبع .. وما يؤخرنا هو امتحانات الطب في الجامعة.

والدة يوسف بابتسامه واسعة: من يرى صورك يا بنان لا يصدق أنك طالبة طب متى تجدين كل هذا الوقت؟!

بنان: لا أجده، أنا أستقطعه من حياتي .. كلا الحلمين يمثلانني ولن أتخلى عنهما، التصوير هو وسيلتي الصامتة لإيصال مئات الرسائل التي لم يسمعها الناس.

يوسف: خالد أريد أن أسمع لحن أغنيتك القادمة.
خالد: لم أنهِها بعد.
يوسف: لم يعد لدنيا الوقت الكافي
خالد: أعلم. أعتقد بأنني سأطلقها في المعرض القادم.
يوسف بغضب: ولكنك تعلم أنني سأكون في لندن وقتها.
خالد بابتسامة مشاكسة: وهل أنت زوجتي لتكن معي؟!
لكمة يوسف بخفة: لقد أردت أن أحضر إطلاقها .. ثم أن سفري سيطول حقاً هذه المرة.
عماد: أنتما غريبان حقا
خالد: لماذا؟
عماد: تتناقشان عن المعرض بعد القادم ونسيتما أمر المعرض القادم والذي لا أحد يعلم أين ستقيمونه.
نظرا لبعضهما وضحكا: منتهى و إبداعاتها
عماد بتساؤل: منتهى من اختارت المكان ؟
يوسف وهو يبتسم: أجل
عماد: حسنا إذاً، ربما على رأس جبل أو ربما داخل معسكر.
خالد: أشعر أن هناك استخفاف بخطيبتي بهذه الجملة!
عماد: أبداً .. لا أستطيع الاستخفاف بمنتهى.
يوسف: يبدو أنك تخيف أخي يا خالد

عماد بسخرية: لم أخف منه، بل خفت أن يصل الخبر لمنتهى.
ضحكوا جميعهم على تعليقه..
خالد: هيا يوسف لدينا الكثير من الأعمال اليوم.
عماد: حسنا إذاً فقط أخبروني ماذا ستسمون المعرض.
خالد:#حرب_ولكن. وهو ليس مجرد اسم لهذا المعرض، سيكون اسم يرافقنا في خطواتنا القادمة.
عماد: رائع حقاً.
يوسف: هيا إذاً
بعد الإفطار توجه يوسف وخالد إلى المنظمة بينما منتهى وبنان إلى الجامعة

بينما كنا في التاكسي للذهاب إلى الجامعة سمعنا مرة أخرى ذلك الخبر عن تلك الجماعة. لا أعلم حقا ما الذي يزعج الحكومة في فضح السياسيين!

كان المذيع يشتم ويسب هذه الجماعة كعادة الإذاعة الرسمية التي لم أستمع إلى اخبارهم إلا وسمعت شتم واتهامات عملاء وخيانة.

انتهينا من الجامعة، عادت بنان إلى البيت فهي لم تنم جيدا ليلة البارحة بينما توجهتُ إلى منظمتنا، منظمة موطني.

قمنا بتأسيسها أنا وبنان ويوسف وخالد وعمار وطارق صديقا خالد ويوسف.

انظم إلينا الكثير من المتطوعين ولكن ليس بشكل دائم فأغلب انشطتنا نحن من ننفذها لذلك عبؤها علينا كبير جداً.

قمت بالكثير من الأعمال وعدت إلى البيت منهكة تماماً. استرحت قليلاً ودون أن أشعر غفوت..

استيقظت مفزوعة، خفت أن أتأخر على موعد مقابلتي التلفزيونية اليوم، تلك القناة ومُعِدّو البرنامج يتمنون مني غلطة واحدة. كانت الساعة تشير إلى الخامسة، لم يتبق لي كثيرٌ من الوقت. نهضت مسرعة، جهزت ملابسي وقهوتي و اتصلت بيوسف ليأخذني للقناة من أجل مقابلة اليوم ولكنه أخبرني أنه مشغول. سأخبر عماد إذاً ليأخذني.

تجهزت وتحركت من البيت الساعة السادسة .. السادسة وأربعون دقيقه كنت قد وصلت إلى محطة التلفزيون لم يتسنى لي الوقت لمراجعة الأسئلة مع المذيعة، لذلك بدأنا في الحلقة والتي كانت بث مباشر..

المذيعة: منظمة موطني منظمة يدعي مؤسسوها أنها شبابية.
كانت منتهى تجلس بقوة وحدة وغرور كما يظنها الجميع غير الذين يعرفوها وكما تريد أن تكون.
قاطعت منتهى المذيعة بهدوء وثقة: نحن لا ندّعي. نحن من القليلين الصادقين هنا .. والجميع يعلم من نحن وماذا أنجزنا، أتمنى أن تختاري كلماتك بعناية عندما تتحدثين عن موطني وعنّا.
ظهر الإحراج على ملامح المذيعة قليلاً ولكنها تداركت الوضع و أكملت: قامت موطني بالعديد من الأنشطة الشبابية والخيرية ولكنها مؤخراً بدأت بالنشاط السياسي.
منتهى بنفس الثقة وبلهجة حادة: الدفاع عن الوطن والحقوق والكرامة والإنسانية لا علاقة له بقذارة السياسة، بعض الجماعات هي التي تخاف مطالبتنا بالحرية فتتهمنا بأننا نتبع الأحزاب أو الجماعات.
المذيعة: ولكن مؤخراً تم رصد منشورات على صفحاتكم تهاجم بعض الشخصيات البارزة في الأحزاب.
منتهى بابتسامة مستفزة : لقد أجبتِ على نفسك، شخصيات.. ثم أنها منشورات تخص آرائنا الشخصية ولا تعبر عن توجه المنظمة .. إضافة الى أننا نهاجم المخطئين من الأحزاب وليس الحزب بأكمله.
أجابتها المذيعة: ولكن ألا تعتقدين أن منشورات تحريضيه كهذه تزيد من الفتن وتخدم التخريب؟
أجابت منتهى بصرامة بالرغم من ابتسامتها المشرقة: نحن نقوم بفضح الفساد والتخريب فكيف نخدم ما نقوم بفضحه؟!

المذيعة في محاولة لتغيير مسار الحوار: أعتقد أنك سمعتِ عن الجماعة التي يطلقون على أنفسهم اسم جماعة الرداء الأبيض .. ألا ترين أنهم يقومون بنفس أعمالكم ؟!
بهت لون منتهى من الخوف ..
وشعرت برعشه خفيفة تسري في جسدها، فهي لم تتوقع هذا السؤال، ولكنها تبسمت بقوة وأخفت خوفها ببراعة وأجابت بكل هدوء وثقة وذكاء: بالتأكيد سمعت عنهم ولكنني أعتقد أن لهم طريق مختلف عن طريقنا، فهم أكثر احترافاً في ما يفعلونه.

في بيت منتهى كان الرجال مجتمعين في الصالة لمشاهدة التلفاز، والدها ويوسف وخالد ووالد يوسف.
كانت ابتسامة خالد تتسع مع كل رد من ردود منتهى.
بينما صرخ يوسف بحماس: الله عليكِ يا منتهى.
والدها بقلق: أخبرتكم مراراً أن لا تعلنوا العداء علناً.
خالد وهو يطمئنه: اطمئن يا عمي، فالجميع يعلم أننا ضد الكل ولا أحد يستطيع المساس بنا
والد منتهى باستفهام :لماذا؟
خالد: لأننا رموز مجتمع محبوبة، هم يعلمون أن هناك الكثير من الفقراء والمحتاجين وخاصة من فئة الشباب يتبعوننا و يقدّرون عملنا من أجلهم .

في الفضائية عند منتهى ..
المذيعة: إلى أي حزب تنتمين؟

منتهى بابتسامة كعادتها: أنا ضد الكل.
نظرت لها المذيعة بشيءٍ من الاستغراب: ماذا تقصدين؟!
منتهى: الأحزاب ليست سوى وجهاً آخر للفساد سرقت أحلامنا، ودمرت أوطاننا. ربما ليس الجميع ولكن معظمها مهاترات سياسية هدمت ما تبقى من حياتنا فوق رؤوسنا فأنا ضد الكل.
تبسمت المذيعة، لم تكن تتوقع أن منتهى بهذه الطلاقة والقوة. شعرت بأن هذه الفتاة تملك جاذبية خاصة وأنها لن تستطيع أبدا إحراجها في الكلام فبدأت تسألها عن إنجازات منظمتهم وخططها القادمة.
وقف عماد ينتظر منتهى إلى حين انتهاءها من البرنامج. و بعد أن خرجت توجه إليها مبتسماً وهو يشعر بفرحة وفخر، كانت عيناه تتلألآن فرحاً بأخته وفخراً بها. لقد جعلته يشعر بعظمتها، بقوتها ورقتها وبصمودها وحنيتها وبجمال قلبها وعينيها. عندما اقتربت منه بادر باحتضانها وهو يهمس لها: مبروك
منتهى باستغراب: على ماذا؟!
عماد بابتسامة صادقة: على أنك دخلتي التاريخ بهذه المقابلة.
منتهى بضحكة طفولية وكأنها ليست تلك الفتاة الجامحة التي كانت تتحدث منذ قليل: لا تبالغ.
عماد وهو يشاركها ضحكها: لست أبالغ. لقد لقنتهم درساً قاسياً جداً.
منتهى بابتسامة واثقة تنهدت بارتياح: أعلم.
ثم نظرت له وقالت وهي تغمز: ولكنهم يستحقون .
عماد وهو يبتسم: أجل

منتهى

في طريق العودة إلى المنزل كانت صنعاء هادئة لم تعد كما كانت، لا أعلم هل السبب هو انقطاع الكهرباء أو بسبب الأرواح التي تحتضر في كل بيت. ولكن بالرغم من كل الفقر والألم والظلم والتفرقة والطائفية ما زلت زاهية بجبالها الصامدة، جبالها التي ماهي إلا انعكاسٌ لشعبها الذي لم يقهر برغم توالي الضربات الموجعة.

صنعاء، كم أنتِ صامدة! حتى وإن فقدنا أضواءنا سنبقى ندافع عن حقنا في السلام في الحياة والغناء والرسم على الجدران.

عندما وصلا إلى المنزل كان الجميع بانتظارهما، بمجرد أن دخلت منتهى كان أول من استقبلها هو يوسف احتضنها كثيراً وهو يصرخ بحماس: لقد كنت رائعة حقاً لقد سحقتِهم، دمرتِهم، تعيش منتهى تعيش منتهى ..

ثم أتى والدها ليهنئها: كنت واثقاً أنك سترفعين رأسي.

يوسف مشاكسا: بالطبع يجب أن تكون واثقاً إنها منتهى الصورة المصغرة لنصر.

والدها وهو يبتسم :نعم طفلتي عنيدة كأخيها.

يوسف بجدية: لا، منتهى ليست بعناد نصر ثم أكمل بابتسامة واسعة: منتهى فاقت عناد نصر بكثير.

و بينما كانوا يتحدثون، كانت منتهى في عالم آخر، عالمه هو فقط وليس أحد سواه، لم يسرع لمقابلتها بل وقف في مكانه ينتظرها بابتسامة خفيفة مشرقة رائعة يعلم تماماً ماذا تصنع ابتسامته بها، طفلته الصغيرة تعشق ابتسامته، هو كذلك يعشق غمازتها التي تظهر عندما تبتسم، تبادلا النظرات مطولاً، كان ينظر لها بكل فخر، بكل حب نعم يفتخر بنجاحها كثيراً لأنه يحبها حقاً. بعد أن سكت الجميع تقدم نحوها

بخطوات واثقة وهو ما يزال يرسم تلك الابتسامة الخفيفة حتى وصل لها وبابتسامة حانية أكثر اتساعا: لا أفتخر بشي بقدرك

ابتسمت هي بكل سعادة .. بعد أن غادر الجميع المنزل

أكملت تبديل ملابسي الرسمية ولبست ملابس البيت نظرت الى المرآة شعرت بارتياح. أنا حقا أشعر أنني بخير بالرغم من كل شيء، ربما بسبب وجود خالد بقربي. تبسمت على ذكراه ولكن قطع تفكيري صوت رسالة وصلت إلى هاتفي، كانت بنان تخبرني أن ألتقي بها في السلالم، لبست حجابي وخرجت.

و لكنني سمعت صوت عذب خلفي.

خالد: شو بحبك لما بتحكي، بترسم على شفافك ضحكه، شو بحبك لما بتبكي، بتشكي وعم بتغلغل فيا، حبيبي انت الاحلى، عمري بقربك عم يحلى، عطرك سحرك صوتك رسمك صاروا مني وفيني ..

كان يدندن بصوت رائع شعرت بتزايد في دقات قلبي، التفت للخلف وأنا أبتسم بحبور وعيناي تتلألآن. كان يجلس على السلم الذي أمام الشقة بوسامته الطاغية بطلته الرجولية المعهودة.

خالد وهو يتقدم نحوي: تأخرتِ كثيراً

منتهى بابتسامة مشاكسة: لم أكن أعلم أنك تنتظرني.

خالد: في كل لحظة وكل ثانية وكل نفس أتنفسه أنتظرك فيه

أطرقت منتهى رأسها بخجل وقد كست وجها حمرة طفولية تقهقه خالد بقوة.

نظرت له بابتسامة حانية

منتهى: لماذا تضحك؟

خالد: لأنني لا أصدق أن منتهى التي كانت تقاتل بشراسة منذ قليل هي التي أمامي الآن.

منتهى بصدق: ألا يطلقون عليه اسم الحب؟ أن ألبس قناع القوة للجميع وعندما أصل إليك أعود تلك الطفلة التي أخبئها .. أن أبتسم بثقة للجميع وأنت وحدك ترى ابتسامتي الصادقة .. الحب هو أن أكون معك كما لم يَرَني غيرك أبداً ..

ابتسم خالد بحب وهو يستشعر صدق كلامها

منتهى برقة: ليتك تعلم كم أعشق ابتسامتك..

خالد: صدقيني أعلم ولكن لا أعلم لماذا تحبينها هكذا؟ ما هو المميز بشأنها هكذا؟

منتهى بخجل: أعشق عينيك عندما تضيقان وتظهر حولهما التجاعيد

تقهقه خالد ثم أخرج من خلف يده هدية

التقطتها منتهى بفرحة غامرة وصرخت بحماس: رااائع تأملها وهو يشعر وكأنها طفلة، عفويتها وفرحتها الصادقة فتنت خالد، لكم يعشق منتهى التي لا أحد يعلمها سواه، منتهى أنثاه الرقيقة، طفلته البريئة جانبها الصادق الذي لا يظهر إلا بين يديه. كما توقعت الكثير من الشكولاتة والحلويات..

منتهى وهي تضحك: شكراً.

خالد بعبوس: ماذا اتفقنا على هذه الكلمة ؟!

منتهى وهي تمسك فمها بيدها بطفولية: حسنا حسنا ليس شكراً

ضحك خالد على طفولتها، اقترب منها بهدوء، أغمضت منتهى عينيها وأطرقت برأسها همس لها: أحبك ثم ابتعد.

خالد وهو يغمز بكلتا عينيه: لقد تأخرت. سيقتلني يوسف إن رآني أقف هنا

أشارت منتهى برأسها نعم وهي تضحك ودخلت إلى منزلها .. انتهى اليوم بتسطير نجاح آخر لهم ولكن لا تثق بأضواء الفرح كثيراً فلا أحد يعلم متى يهجم ظلام الخيبات.

الجزء الثاني

حرب ولكن

منتهى

أسلحة الحرب هي أسلحة ذات حدين إما أن توقفك وإما أن تدفعك لصناعة شيء لم يصنعه أحد قبلك .. و اخترنا نحن الخيار الآخر، وقفنا حينما سقط الجميع، استمرينا من بين موجة يأس، ومن العتمة صدعت أنوارنا لأننا اخترنا أن لا نكون شيئاً عادياً. أن نعصر من ثمر الحرب المر عصيراً حلواً وأن نكسر كل قوانين الحياة ومن أسوءِ الأوضاع نصنع إبداعاً لا شبيه له .. هذا الطريق كان طويلا، كان مؤلما مملا مليئاً بعقباتٍ للوهلة الأولى ظننها بلا حلول، ولكننا استمرينا مهما سقطنا مهما فشلنا مهما أوقفتنا الحياة أو توقفنا، كان الاستمرار هو خيرانا الأوحد حتى والدموع في عينينا، حتى وغصات القهر في قلوبنا، حتى بعد أن يضيع مجهود شهور في ثوان، كان الاستمرار هو الطريق الذي لا عودة منه .. هذا السحر الذي صنعناه من ورائه كان حبنا، ترابطنا وانسجامنا، لسنا فريقاً ولا منظمةً، نحن عائلة إن سقط أحدنا دعمه الآخر. نجاح فردٍ منا هو نجاحنا ونجاحنا هو نجاح كل فرد منا، الحب الذي بيننا هو الذي أوصلنا لما نحن عليه اليوم .. اليوم سيكون أحد أهم الأيام التاريخية في تاريخ المنظمة الثقافي، في تاريخ كل فرد فينا.

حرب ولكن

المعرض الأول

دار الحجر

وقفت منتهى تستقبل الزوار في أكبر معرض ثقافي يقام هذه السنة، لقد رتبت له منظمتهم منذ أشهر، اختاروا المعلم الحضاري الذي يشبه التحفه الفنية "دار الحجر" ليقيموا فيه هذا الحفل الثقافي. كان المعرض يتضمن عرض لوحات يوسف الجديدة، يوسف الذي حصل على لقب أحسن فنان تشكيلي على مستوى العالم العربي في العام 2012 .. ومعرض لصور بنان التي فازت بأجمل صورة للعام 2011 وسيحيي الحفل خالد بفقرات موسيقية .. لقد كانوا أول من فكر في إقامة حفل في هذا المكان التراثي الذي يحمل طابع العهد الإمامي في صنعاء .. حضر الحفل كثيرٌ من الفنانين والمثقفين والأدباء والصحفيين وقامت بتغطيته الكثير من وسائل الإعلام العالمية والمحلية، وقفت منتهى لتفتتح الحفل وترحب بالزوار.

منتهى: اليوم نسطر حضارة بلادنا بأجمل الألوان أجمل الالحان وأجمل الصور الصادقة.. مهما كان حجم الدمار ومهما أخذت منا الحرب ستبقى بداخلنا جواهر من إبداع تصرخ بهمس بأن هذه البلاد ستبقى مزهرة إلى الأبد مهما عصفت بها رياح الخريف الباردة .. بالسلام وللسلام سنكتب ونرسم ونغني ونشعل النيران بعض السلام يشعل ناراً لا تنطفئ وبعض النيران تضيء لا تحرق.

صفق لها جميع الحاضرين وقفوا بعدها لافتتاح معرض الصور والرسم والذي رتب بطريقة رائعة في الساحة الخارجية لدار الحجر بحيث وضعت بالقرب من كل لوحة صورة و تتوسطها الصورة الفائزة لِبَنَان وبقربها لوحة يوسف.

وقف خالد في مكان مرتفع قليلا عن ساحة المعرض وبدأ بعزف سنفونيته الخاصة التي ألفها من أجل هذا المعرض كان الجو رائعاً حقا..

كان لهذا الحفل أصداءً قوية و أصبح الحديث الشاغل لمواقع التواصل الاجتماعي .. انتهى اليوم بنجاح كبير لشباب واثقين بأنهم يستطيعون تغيير مصير بلادهم .. و بعد أن عادت منتهى إلى منزلها لا تعلم ما الذي جعلها تذهب الى غرفة نصر وكأن هناك قوة خفية تدفعها لتحكي له نجاحهم الذي صنعوه اليوم.

أخذت تشتم رائحة شاله، الشال الذي كان يرتديه يوم رحيله، شاله الذي يحمل عطره ودمه، رأت أمامها صورته التي تتوسط حائط غرفته، كان يبتسم فيها كعادته و كانت آخر صورة التقطها قبل رحيله بيوم واحد. كان يقف تحت الشمس ويضلل وجهه بيده من حرارتها،

أخذت منتهى تحدثه: هل رأيت ماذا صنعنا اليوم؟ لقد أشعلنا نور الأمل في قلوب كثير من الشباب كما كنت دائما تتمنى أن يحدث .. ليتك كنت معي الآن. بدأت دموعها تتساقط بهدوء، كانت تبكي أخاً كان سنداً يشعرها بالأمان، أخاً لم تعرف عنه يوماً سوى ابتسامة صادقة لا تفارقه، أخ يقدس القرآن والإنجيل والتوراة ولا يعترف بالحروب باسم الدين، أخ يساعد الضائع قبل المؤمن، و الفقير قبل الغني أخ يقدس دموع الفقراء لا عمامة الشيوخ، نصر كان آيةً بأخلاقه.

وعادت بذاكرتها إلى الخلف ..

21 مارس 2011

نصر من أيقظ منتهى يومها لأداء صلاة الفجر، كان قد عاد لتوّه من المسجد، أيقظها بابتسامته المعهودة..

نصر: منتهى استيقظي.

تقلبت منتهى وعادت للنوم، ضحك نصر كثيراً: هل ستستيقظين أم أجلب الماء؟!

و ما إن سمعت منتهى كلمة "ماء" حتى استيقظت وهي تفرك عينيها

منتهى تبسمت بمجرد أن رأت ابتسامته: لم يخبرك أحد أنك شرير؟!

جلس بقربها في السرير وقال وهو يضحك: باستثنائك، لا.

هيا كي لا يفوتك وقت الصلاة، وجرها من يدها إلى دورة المياه.

توضأت منتهى وأنهت صلاتها، كانت تريد أن تعود إلى النوم ولكنها سمعت نصر يرتل القرآن بصوت عذب جداً، تبسمت وضلت تسمعه وهي تشعر بسكينة تغمر روحها من ترتيله، وبعد أن انتهى قررت أنها لن تعود للنوم، بل سوف تجهز له وجبة الإفطار.

ذهبت للمطبخ وشرعت بإعداد الإفطار، كانت واقفة تنتظر الشاي ليغلي وسرحت بوالدتها، تخيلت لو أنها ما زالت حية، كانتا ستعدان الإفطار سوياً، تمنت لو أنها رأتها لمرة واحدة.. الأخطاء الطبية كالرصاص الطائش قد تدمر عائلة كاملة. جرعه زائده من المخدر في عملية والدتها القيصرية أدت إلى وفاتها دون أن تراها، تمنت لو أنها ضمتها للحظة، لو أنها احتمت في حضنها ولو لمرة، أنهت سرحانها بتنهيدة عميقة.

لم تكن تعلم بالعين التي تتابعها، نصر كان ينظر لها و استنتج سبب نظرة الحزن بعينيها، قفز إليها وهو يحاول أن يسعدها: ماروكو تتنهد ماذا حدث؟!

من أكل قطعة الشوكولاتة الخاصة بك؟!

هل هي بنان ؟!

ضربته منتهى بخفه على كتفه: لا ليست بنان.

أخذها نصر وأجلسها على الكرسي.

نصر: اليوم منتهى هي أميرتي سأعد لك الفطور أنا.

منتهى: ولكنني قد أعددته بالفعل.

نصر وهو يضحك: حسناً سأقدمه أنا.

منتهى ابتسمت وهي تراه يضع الأكل في الأطباق ويسكب الشاي

قالت فجأة: هل كانت تشبهك؟!

تنهد نصر: ليس كثيراً، كانت تشبهك أنتِ أكثر، نفس العينين الناعستين، نفس البشرة الصافية ونفس الابتسامة الساحرة.

منتهى وهي تبتسم: أشتاق لها برغم من أني لم أتعرف عليها أبدا.

أكملت منتهى بتساؤل: ولكن لماذا منتهى يا نصر؟! لماذا اخترت لي هذا الاسم؟!

اندهش نصر من سؤالها: من أخبرك ؟

منتهى: ماما سماح

نصر ابتسم: كنتُ في السابعة من عمري عندما أتيتِ إلى العالم. في نفس الأسبوع أخذنا في درس من دروس القراءة عبارة تصف صنعاء أنها في منتهى الجمال وعندما سألت عن معنى المنتهى عرفت أنه القمة، كانت العبارة تعني قمة الجمال عندما رأيتك لأول مرة كنتِ في منتهى الجمال يا منتهى

ضحكت منتهى وقالت: لهذا السبب قمت بتدليلي كل هذه السنين؟ و أكملت بمشاكسة: ستكون أم رائعة في المستقبل لأبنائك

ضحك نصر وقال: هل تعتقدين أن هناك أخ يدلل أخته كما أفعل انا؟

هزت منتهى رأسها نافية: لا أعتقد أبدا.

نصر بابتسامة: لأنني أشعر بأنك ابنتي منذ أن وضعتي بين يدي طفلة صغيرة وأنا أشعر بأنك ابنتي وليس أختي.

ابتسمت منتهى: أنا جائعة، هلّا أنهينا وصلة الرومانسية هذه وتناولنا إفطارنا؟

ابتسم نصر: حسناً

بعد الإفطار تولت منتهى مهمة ترتيب الطاولة ثم ذهبت لتسأل نصر ماذا يريد على الغداء لكنها وجدته يتحدث بالهاتف.. و بعد أن أنهى حديثه:

نصر: منتهى لا يجب أن أتأخر اليوم سأذهب لأغتسل هلّا جهزتِ لي ملابسي من فضلك؟!

منتهى: إلى أين ستذهب ؟

نصر: سأذهب للصلاة في ساحة التغيير اليوم .. سيكون رائعاً لو أننا استطعنا كتابة مستقبل جديد لهذه البلاد .. جهزت منتهى ملابس أخيها وساعدته في ارتدائها

نصر: لا تقلقي إن تأخرتُ قليلاً

منتهى: هل ستعود على الغداء ؟

نصر: أجل .. انتبهي على نفسك يا ماروكو

قبلها على جبينها وخرج

الساعة 1 ظهرا

عاجل: إطلاق رصاص على معتصمي ساحة التغيير وسقوط عدد من الشهداء واندلاع حريق. و ارتفاع عدد الشهداء إلى 15 شهيد و 27جريح والعدد في تزايد

كانت منتهى في المطبخ عندما بدأت ترى الأخبار العاجلة ومن ثم بث مباشر لحريق ورصاص ودماء.

لم تتمالك نفسها أسقطت الطبق الذي كانت تمسكه بيدها و حاولت الاتصال بنصر ولكن هاتفه كان مقفلاً، حاولت مراراً وتكراراً والنتيجة واحدة، اتصلت بيوسف ولم يجبها، فقدت السيطرة على نفسها وأخذت بالبكاء وهي لا تتخيل أن يكون أصاب أخاها أذى. مجرد التفكير كان يشعرها بألم حاد في قلبها، عاودت الاتصال وهي تبكي ولكن هاتف نصر ما زال مقفلاً. اتصلت بيوسف مرة أخرى وهي يائسة تماماً ولكنه رد باقتضاب: أقفلي الباب وإياكِ والخروج، سأبحث عنه وأخبرك عندما أجده.

لم تعد تعلم ماذا تعمل، ذهبت لغرفة نصر و انزوت فوق سريره وأخذت تبكي بشده حتى غفت عيناها من شدة بكائها وماهي إلا لحظات حتى سمعت جرس الباب قامت مسرعة لتفتح الباب وجدت نصر أمامها ضمته بقوه وهي تبكي وهو يمسح على شعرها.

منتهى: كنت سأموت. قلبي أوشك على الوقوف من الخوف أنا لا شيء من دونك.

نصر بأجمل ابتسامة رأته بها هادئة مطمئنة: الحياة لاتقف على أحد يا ماروكو الصغيرة، يجب أن تستمري، يجب أن تحققي حلمي وحلمك، قلبي ينبض هنا

و أشار على قلبها. أنا أحيا بابتسامتك، إياك أن تحرميني الحياة. إياك أن تتوقفي عن الابتسام. منتهى الحياة قصيرة، سنلتقي يوماً ما بالتأكيد سنلتقي، لذلك لا تجعلي الحزن يقتلك لأنني حي أنا حي منتهى ولن يقتلني سوى حزنك.

منتهى وهي لا تستطيع استيعاب كلامه باستغراب: ماذا تقصد؟

نصر: كوني بخير لأبقى بخير.

كانت منتهى ستجيب ولكنها استيقظت مفزوعة ! مرت ثوان تأكدت فيها أن هذا ما كان إلا حلماً، ولقد فهمت معناه فاطلقت صرخة آااه مليئة بالألم.

انقطعت ذكرياتها بصوت هاتفها الذي يرن، كان يوسف يخبرها بأنه سيصحبها للعشاء احتفالاً بإنجاز هذا اليوم. مسحت دموعها وابتسمت: سأعود لأحكي لك كل ما حدث معنا اليوم يا نصر .. بالمناسبة أشتاق لك حقاً يا أخي..

منتهى

عادت عجلة الأيام لتمضي سريعاً. نظن من سرعتها أن لا شيء يتغير ومن حولنا يتبدد كل شيء .. استمرت الأوضاع كما هي و لم يتغير شيء .. المكالمة الأخيرة التي سربت كانت آخر ما قامت به عصابة الرداء الأبيض ولا أحد يعلم سبب اختفائهم .. سافر يوسف منذ شهر ليشارك بمسابقة رسم عالمية في بريطانيا وسيعود غداً. اتفقنا أن نذهب جميعاً لاستقباله احتفالاً بحصوله على المركز الأول في هذه المسابقة .. أطلقت بنان معرضها الجديد عن السلام تحت نفس العنوان حرب ولكن والذي أضافت له كثير من الأفكار الرائعة عن المقارنة بين الحياة قبل وبعد الحرب. استطاعت بصورها أن تختزل آلاف الكلمات، ذهبت إلى أكثر الأماكن خطراً و التقطت الصور من زوايا مختلفة .. يستطيع أي شخص أن يأخذ كاميرا ويصور ولكن تلك الزوايا المميزة لا تراها إلا العيون التي تبحث حقاً عن قصص لا ترويها إلا الصور .. لقد كان تعاوناً رائعاً بينها وبين خالد الذي أطلق أغنيته الجديدة عن السلام ووصلت لأكثر من 2000000 مشاهدة في ثلاثة أسابيع فقط .. هذه الأغنية هي جزء من روحي وروحه، أنا كتبتها وهو لحنها وغناها .. يفوق جمال الفن الخيال عندما يمزج بالحب و لحن العشاق لا يشبه بقية الألحان وكلماتهم لغة لا تمتلك تفسير .. والفن بالنسبة لنا هو كأنفاسنا مصدر للحياة .. ونحن نؤمن أن كلمة حب قد تضيئ دروب الظلام، ولحن سلام قد يوقظ ضمائراً نائمة، وصوت الموسيقى قد يُخرِس أصوات المدافع.

اليمن – صنعاء – المطار

وقف الجميع بانتظار يوسف، والده ووالدته وعمه وعماد وخالد ومنتهى وبنان. حضر الجميع اليوم فخراً به بعد أن حصلت إحدى لوحاته على المركز الأول. رأوه من بعيد فقفزت إليه منتهى بحيوية وهي تصرخ بحماس: مبروك!

حضنها يوسف وهو يضحك: عقبا لك يا صغيرتي .. ثم اتجه لوالدته وقبّل يدها ورأسها

والدته: لقد كنت واثقة بأنك ستحصل على المركز الأول، أنا مؤمنة بموهبتك يابني

اقترب خالد منه ولكمه بخفة: لقد زاد وزنك، اعترف ماذا كنت تأكل؟!

ضحك يوسف وهو يضم خالد: آخ لو ترى ماذا أكلت، ستقسم أن تسافر معي المرة القادمة. ضحكا كثيراً ..

تقدمت إليه بنان والتقطت له صور أبعدت الكاميرا وقالت بابتسامة رائعة: إنها واحدة من أحلا اللحظات التي صورتها .. مبروك

اقترب منها يوسف وهو يبتسم: لقد كان معرض صورك رائعاً حقا، كم أنا فخور بك، تمنيت لو أنني كنت معك.

بنان: أنت لم تفارقني .. ليست المسافات التي قد تباعد بيني وبينك صدقني

ثم ابتسمت بنان بشقاوة: ارسم صوري وأنا سأصور رسماتك ونقوم بعمل معرض مشترك.

ضحك خالد: يكفينا معارض .. احتفالنا القادم يجب أن يكون رائعاً كما اعتدنا

صرخت منتهى بمشاكسة: أنا جائعة .. هيا بنا

ضحك الجميع عليها وعادوا للمنزل، و أثناء ما كانوا يدخلون البناية وهم يضحكون وخالد ويوسف يحملون حقائب يوسف

خالد: ماذا جلبت لي من هدية ؟

يوسف بسخرية: أنا أكبر هدية لك

خالد: لن أدعك تدخل المنزل إذا لم تخرج هديتي الآن.

ضحك الجميع ولكن قطع عليهم ضحكهم عماد وهو يتحدث بسرعة: لقد تعرفوا على أحد أعضاء الرداء الأبيض، ثم أكمل وهو يلهث: الحكومة أعلنت هذا الآن.

بهتت ألوانهم و سرى الخوف في دمائهم وظهر الرعب على وجوههم.

أوقعت منتهى هاتفها من يدها، وضع خالد الحقيبة التي كان يحملها وانحنى ليلتقط هاتفها.

خالد بصوت هامس مطمئننا: لا تقلقي منتهى كل شيء سيكون على ما يرام. نحن لم نخالف القانون.

تردد صدى كلماته في عقل منتهى كثيراً .. لم نخالف القانون.

وهي ترى أمامها كل لحظاتهم في ورشة عملهم وهي تتذكر عدد الأشخاص الذين قاموا بفضحهم في المجتمع. ماذا سيصنعون بهم؟! عن أي قانون يتحدث خالد؟!

أ لا يعلم أنهم تعدوا على أشخاص لا يعترفون بالقانون و يرون أنهم فوق القانون؟! سيمحونهم من على وجه الارض ..

بنان برعب: سيقتلونه أ ليس كذلك؟!

ثم أردفت بخوف: هل هو أنت أم خالد؟! قد يكون عمار أو ربما طارق، منتهى قد تكون منتهى بعد ذلك اللقاء المشؤوم.

اخذ يوسف يطمئنها: بنان اهدئي لا أحد سيتأذى لن يستطيعوا. دعينا نعلم تفاصيل أكثر هيا.
أسرعوا كلهم إلى التلفاز والجميع ينظرون لهم باستغراب لما كل هذا الاهتمام وما سبب هذا الهمس والخوف؟!
يوسف: عماد ألم ترد أي أخبار أخرى عن عصابة الرداء الأبيض ؟!
عماد: لا
فتح خالد برنامج فيس بوك في هاتفه ليتأكد من مدى صحة الخبر بينما أضاء هاتفه برسالة من برنامج الماسنجر فيس بوك وماهي إلا ثواني حتى رن هاتفه وخرج من الشقة بهدوء.
عاد الخبر العاجل للظهور والجميع انشغل به، سمعوا من المذيعة أن أفراد الأمن السياسي والقومي استطاعوا تتبع رقم جهاز إلكتروني والتعرف على أحد أعضاء الجماعة الإرهابية الذين يطلقون على أنفسهم عصابة الرداء الأبيض، كما تم أيضا اكتشاف الداعم لهم حيث أنهم مدعومون من الموساد وتدار عملياتهم من البيت الأبيض.
كانت دقات قلب منتهى تتزايد مع كل كلمة موساد، بيت أبيض، جماعة إرهابية.
أي جحيم هذا؟! بدأت دموعها بالسقوط بحثت عن خالد بعينيها ولكنها لم تجده، وبعدها بثواني رأته يدخل من السلالم، تعجبت متى خرج وأين ذهب ..
منتهى: خالد أين كنت ؟
خالد بتلعثم: وردني اتصال هام.
منتهى بقلق وخوف واضح: هل سمعت ما يقولون؟! إنهم يتحدثون عن إرهاب وموساد، سيقتلوننا..

خالد بتشتت: أجل أجل سمعت، ثم تنفس بعمق وكأنه يحاول أن يكون ثابتاً وأردف: منتهى اهدئي أرجوك، أعدك بأن لا أحد منا سيتأذى.
طمئنها خالد بابتسامة منه: أعدك
ثم اقترب منها وقال بثقة: منتهى ما دمت حياً لن يصيبك مكروه أبدا، أعدك.
سأحميك بروحي، سأفديك بدمي، سأحميك أنتِ ويوسف، ومن أجلك سأحمي بنان. اعتمدي علي.
منتهى: ولكن
خالد بثقة: أ لا تثقين بي؟
تبسمت منتهى بثقة كاملة بخالد: بلى.
قاطعهم يوسف وهو يشعر بتوتر بالغ: والآن ماذا ؟؟
خالد وهو يحاول التماسك: الآن لا شيء، سننتظر حتى الغد وسنرى ماذا سيحدث
قاطعتهم بنان وصوتها يرجف من قوة توترها: ماذا إن كانت منتهى؟
منتهى بابتسامة هادئة: وماذا إن كنت أنا؟ لن يستطيعوا المساس بي.
يوسف: لا تكوني واثقة هكذا، لا أحد يعلم ما الذي تحمله الأيام القادمة.
منتهى بهدوء: في أسوء الظروف سنغادر اليمن، لا تقلقوا .. كل شيء سيكون على ما يرام.
زفر يوسف بعصبية ثم جلس وهو يضع رأسه بين كفيه.
جلس خالد بالقرب منه ثم تحدث بهدوء: يوسف ألا تثق بي؟
نظر له يوسف نظرةً مليئةً بالقلق.
خالد ابتسم بثقه: لا تثق بي.
هز يوسف رأسه بأن بلى أثق بك

ابتسم خالد: إذا أقسم لك بأنني سأحميكم جميعاً.
صداقتنا دامت لعشرين عاماً، هل خذلتك ولو لمرة واحدة في هذه المدة؟!
هز يوسف رأسه نافياً.
خالد: إذاً لن أخذلك هذه المرة أبداً.
ثم أكمل: هيا منتهى خذي بنان واذهبا للنوم فقد تأخر الوقت جداً، وأيضا غداً ستذهبن للدوام في الجامعة بشكل عادي جداً.
يوسف: ولكن..
خالد: سيذهبن، وأنا وأنت أيضا سنذهب إلى المنظمة، و عمار وطارق إلى الورشة، وأيضا سنكمل مشروعنا الذي نعمل عليه.
منتهى بصراخ: خالد هل جننت؟! نحن قاب قوسين أو أدنى من أن نُكشف وأنت ما زلت تتحدث عن المشروع !!
خالد بحده: لن نتوقف عما بدأنا به. يا منتهى وإن قتلنا فليكن لأجل شيء يستحق.
منتهى وصوتها يرتفع :لا أريد. أنا لا أريد أن أفقد شخصاً آخر.
خالد بعصبية يحاول كبتها: لا أحد يستطيع الوقوف في وجه القدر، ولو كنتِ تستطيعين حماية أحد من الموت ما كانت دموعك على نصر عالقة بجفونك حتى الآن.

شعرت منتهى بصدمة قوية، تجمدت دموعها بعينيها من قسوة كلامه. هي تعلم هذه الحقيقة ولكنها لم تكن تتوقعها من خالد. هناك أشياء نعلم أنها حقيقه ولكن لا نقوى سماعها من أولئك الذين نهرب منها إليهم.
يوسف بصراخ : هل جننت؟!

خالد و هو يأخذ نَفَسَه، يريد أن يهدئ أعصابه، لا يريد للموقف أن يتأزم أكثر، أمسكه يوسف من قمصيه وهو يصرخ: هذه ستكون المرة الأخيرة، الأخيرة يا خالد التي تحدثها هكذا ليس منتهى، لن أسمح لك بجرحها. أختي ليست للجرح يا صديقي.

منتهى وهي واجمة: كفى يا يوسف.

ثم أمسكت بيده: هيا بنا. كان لايزال واقفاً ينظر لخالد.

سحبته بقوه: هيا يوسف.

ذهب الجميع وتركوا خالد ما يزال واقفاً مكانه.

في صباح اليوم الثاني كانت منتهى زاهية جداً بألوان حجابها الزاهية ومسحة خفيفة من مساحيق التجميل التي ما زادتها إلا جمالاً. توجهت إلى شقة بنان، دقت الجرس وما إن رأتها بنان حتى انصدمت، ابتسمت منتهى: ماذا؟ ألم تتجهزي للمحاضرة؟! لم يتبق عليها الكثير.

كانت بنان تنظر إليها وهي مندهشة، توقعت أن لا تنهض اليوم بعد ما حدث ليلة البارحة أو على أقل تقدير ستكون واجمة حزينة وليس بهذا الاشراق.

منتهى تبسمت لأنها تفهم بماذا تفكر بنان، أكملت وهي تبتسم: هيا، اذهبي لتبديل ملابسك. ثم أكملت وهي تغمز بعينها وهي تبتسم: سأساعد خالتي في إفطار الصغيرتين، اذهبي هيا.

ذهبت بنان لتبديل ملابسها، وعندما أكلمت ذهبت لمنتهى إلى المطبخ.

بنان: انتهيت.

منتهى: هيا بنا إذاً.

بنان: منتهى هل أنتِ بخير؟!

ضحكت منتهى: أجل .. لماذا؟!

بنان بتردد: ما حدث ليلة البارحة

منتهى: ماذا عن ليلة البارحة؟!

بنان بنفاذ صبر: منتهى لا تفقديني صوابي. هل تشعرين بحجم المصيبة التي نحن فيها؟ أيضا ما حدث بينك وبين خالد.

منتهى وهي ترشف من القهوة: خالد وعدني بأنه سينهي الموضوع وأنا أثق به أكثر مما أثق بنفسي، أما عما حدث .. فخالد نطق بهذه الكلمات بالفعل ولكنني واثقة بأنه لم يكن يقصدها، تبسمت منتهى بطريقة طفولية شريرة. فهيا بنا

ذهبت الفتاتان إلى الجامعة، وعمار وطارق إلى ورشة العمل، بينما خالد ويوسف إلى المنظمة. كان الوضع بين خالد ويوسف متوتراً جداً فيوسف ما يزال يشعر بالحنق، لم يتوقع أبداً أن يجرح خالد منتهى بهذه القسوة، بينما خالد يشعر بتأنيب الضمير.

ذهب خالد إلى مكتب يوسف..

خالد: هذا ملف القضية 26هلّا قرأت العبارات التي حددتها وقارنتها بالقضية 4 أشعر أن لهما علاقة بنفس الصفقة.

يوسف بوجوم: حسناً.

خالد بتردد: أيضا لدي شيء مهم للقيام به اليوم، ولن يكون لدي متسع من الوقت لأعود إلى هنا.. لم يجبه يوسف ..

خالد: يوسف أنا آسف.

لم يجبه يوسف فاقترب منه أكثر. خالد: أنا آسف، لا أعلم حقاً ماذا أصابني. لقد كنت أشعر بتوتر بالغ، فما حدث ليلة البارحة أربكني وأخرجني عن شعوري، مجرد فكرة أن منتهى قد تتأذى أفقدتني أعصابي .. زفر يوسف ولم يجب

تنهد خالد واردف بهدوء: لا أريد الذهاب إلى مشواري اليوم وأنت تشعر بالضيق مني، يوسف أقسم لك أنني لم أكن أقصد.
نظر له يوسف وقد طلت نظرة شقاوة من عينيه، وبابتسامة مشاكسة: أرني كيف ستقبل منتهى اعتذارك، أقسم بأنك سترى أسبوعاً أسود.
ضحك خالد وهو يعلم عناد صغيرته، وأنها ستعذبه كثيراً لترضى، ولكن لا يهم فلتعذبه إن كان هذا سيرضيها.
يوسف وهو يضحك: لماذا تضحك؟! يا إلهي كم أشتاق لرؤيتها عندما تراك وتتصرف وكأنك غير موجود.
خالد وهو يبتسم: أجزم بأنها عندما ذهبت اليوم إلى الجامعة اختارت حجاباً ذا ألوان مشرقة ورسمت على وجهها ابتسامة كبيرة و رائعة.
ضحك يوسف بقوة: كيف علمت؟!
خالد: لأني أعرف طفلتي العنيدة، ستتعبني كثيراً ولكن لا بأس.
حسنا إذاً لقد تأخرت، سأذهب الآن.
يوسف بتساؤل: إلى أين ستذهب؟ ليس لدينا أية اجتماعات اليوم في الخارج.
خالد بتلعثم: مشوار شخصي نوعاً ما، إن سارت الأمور على ما يرام سأخبرك
يوسف وهو يمثل العصبية: هل تخون اختي؟
خالد وهو يلكمه على بطنه بخفه ويضحك: يبدو أنك تريدني أن أقتلك اليوم.
ضحك يوسف: حسناً اذهب كي لا تتأخر عن مشوارك السري.

في المساء كانت منتهى تجلس في بيت عمها حين ضرب جرس الباب. كان يوسف عائداً لتوه من المنظمة، استقبلته منتهى بابتسامتها الرائعة. عندما رآها تذكر حديثه مع خالد وضحك كثيراً. هذه الأنثى تعلم حقاً كيف تبدو قوية.
يوسف وهو يجلس على الأريكة: أشعر بالتعب .. هل هناك أي أخبار جديدة
منتهى: إلى الآن لا .. هل تعتقد بأنهم حقاً قد اكتشفونا؟!
يوسف بحيرة: لا أعلم، عمار يقول بأنه لا يستطيع الجزم ما إذا توصلوا إلى أرقام الحواسيب التي استعملناها .. ولكن لماذا لا نرى أي ردة فعل حتى الآن؟!
منتهى: ربما يخططون لطريقة معينة لاعتقالنا.
يوسف: هو اعتقال وليس تمثيل فلم لا يحتاجون كل هذا الوقت .. أشعر أن هناك شيء خاطئ.
تنهدت منتهى بقلق
ابتسم لها يوسف: هيا منتهى تصبحين قبيحة عندما تكشرين
نظرت له منتهى بغضب: أنا سأذهب إلى منزلنا تجنباً لأن أرتكب جريمة هنا.
ورحلت وقف يوسف ولحق بها يريد الاعتذار منها، ولكنهم قابلوا خالد أمام الباب.
خالد: يوسف هل أتممت المقارنة بين .. وبتر جملته عندما رأى منتهى
نظرت له بلا مبالاة وأكملت حديثها مع يوسف: حسنا يوسف أراك غداً
خالد: منتهى
لم تجبه بينما يوسف يتابعهم بابتسامة واسعة. ابتسمت منتهى ليوسف ثم دخلت منزلها وأغلقت الباب.. ولم تجب خالد .. زفر خالد بعصبيه وضحك يوسف
نظر له خالد بعصبية: ما الذي يضحكك؟!

استمر يوسف بالضحك. لم يتمالك خالد نفسه وبدأ يضربه بمزاح وضحك الاثنان. كانت منتهى تشاهدهما من العين السحرية التي توجد في الباب وهي تضحك.

منتهى

أتممتُ صلاة العشاء وتجهزت للنوم، وقبل أن أغفو أضاء هاتفي بصوت رسالة من برنامج واتس أب، تبسمتُ .. أعلم أنها منه ..

"آسف" .. لم أجب

"منتهى أنا آسف" .. لم أجب

"منتهى أنا آسف جداً " .. لم أجب

"منتهى أنا آسف جداً جداً" .. أيضا لم أجب.

فأرسل لي رموز الأكل والورد الموجودة على تطبيق الواتس اب، ضحكت كثيراً

ثم أرسل: لم أكن أعي ما أقول منتهى، خوفي عليكِ جعلني لا أرى، أنتِ أغلى ما أملك. أنا أتنفس بك، أنتِ قطعة من روحي، إن أصابك شيء أموت حقاً .. تصبحين على خير.

تبسمت. لا يوجد أحد في العالم يفهمني مثله، هو يعلم أنني لن أجيبه الآن، فكرت أنني غداً سأتحدث معه فوضعنا الآن لا يسمح بهذه التصرفات الطفولية.

منزل يوسف اليوم التالي

التوتر يسود الجو، كانت منتهى تضع رأسها بين كفيها ويوسف يدخن بشراهة بعد أن تناقلت وسائل الاعلام خبر إعدام أحد أعضاء جماعتهم ولكنهم جميعا بخير ولم يفهموا إلى الآن الغرض من هذا الإعلان الكاذب .. لقد بدأ عمار وطارق بالتأكد من هوية الشاب الذي تم إعدامه.

بنان: منذ متى وأنت تدخن يا يوسف؟

نظر يوسف إلى السيجارة وهو يهز رأسه: لا أعلم، أشعر بأني بحاجة إليها.

وقفت بنان وأخذتها من يده وأطفأتها، ثم ذهبت وجلست بالقرب من منتهى

بنان: كل شيء سيكون على ما يرام صدقيني.

تحدثت منتهى بعصبية: ما هو الذي سيكون على ما يرام يا بنان؟! هل تستوعبون ما الذي حدث؟! لقد أُعدِم شخص بريء بسببنا. لقد استعملونا كطعم لإعدامه.

يوسف: ربما كان أحد المحكومين بالإعدام، ولكنهم ادّعوا بأنه منا للضغط علينا أو لإخافتنا.

منتهى: أو ربما..

قاطع حديثهم صوت جرس الباب

الفصل الثالث

نظر يوسف من الطارق من خلف الباب فوجد أنه خالد وعمار وطارق، فتح الباب بسرعة.

خالد: لقد علمنا هوية الشاب ومتى وكيف ولماذا تم إعدامه.

تحدثت منتهى: من هو؟

خالد: شاب عمره 22 عام يدعى عبد الله، تم اعتقاله بالأمس من منزله بتهمة الانتماء لنا وأعدم اليوم فجراً.

منتهى: من الذي فعل هذا وما هو غرضهم؟

عمار: غرضهم أن نسلم أنفسنا. لم يكتشفونا بعد، ويضغطون علينا بإعدام الأبرياء

طارق: للأسف قد أعلنوا بأنهم تعرفوا على المزيد من الأعضاء وهذا يعني أنهم سيتسمرون بإعدام المزيد.

وقفت بنان بصدمة: والعمل ؟ نحن بالتأكيد لن نقف متفرجين.

منتهى: سنسلم أنفسنا.

خالد: لا يجب أن نتسرع بقراراتنا.

يوسف: حياة الناس. لا مجال للمجادلة فيها يا خالد. لقد رحل شاب بالفعل ولا نريد أن نخسر المزيد.

خالد وهو يقبض بيده بعصبية : الحقراء عرفوا كيف يلعبون بنا .. لقد وضعونا بين المطرقة والسندان، إما أن يقتل بسببنا عدد لا محصور من الأبرياء، أو نقوم بفضح أنفسنا .. أخبروني كيف ستنتهي حرب هي رؤوس أموال البعض إلا بأطنان دماء.

سكت الجميع لدقائق لا يسمع سوى أنفاسهم المتلاحقة.

منتهى بصوت هادئ وواثق: كنا نعلم أننا نخاطر. أعتقد أن هذه اللعبة يجب أن تنتهي. كان خالد يجلس وهو يضع رأسه بين كفيه، رفع رأسه: ماذا تقصدين؟

منتهى: كلامي واضح يا خالد. أقصد أن هدفنا هو إنقاذ الناس وليس قتلهم، لن نكون تلك الحجة التي يعدمون بسببها مئات الشباب الأبرياء. يجب أن نسلم أنفسنا.

عمار: هم لا يريدوننا يا منتهى .. لقد توصلنا لمعلومات في غاية الخطورة. إذا كشفنا عنها ستدمر أحزاب كاملة، هم يريدون المعلومات وليس نحن.

منتهى: حسنا إذا فلنعيدها لهم

طارق: ماذا عن مسئوليتنا تجاه هذا الوطن؟

منتهى: الوطن هو الإنسان فلتحرق الأرض ولا تسال قطرة دماء واحدة.

عمار: ولكننا هكذا سننقذ ملايين.

منتهى: وسنقتل أشخاص أيضاً.

طارق: عشرة مقابل ملايين .. ولكل حرب ضحاياها.

صرخت بهم منتهى: حسناً فلنكن نحن الضحايا عوضاً عن أبرياء لا ذنب لهم

تنهد خالد: لم أتخيل أبدا أن يكون ردهم بهذا القذارة. أي حقراء هؤلاء الذي يجعلون أرواح الناس بنداً في صفقاتهم ؟!

يوسف: بما أننا لم نكشف بعد لماذا لا نغادر اليمن ونعلن كل شيء من هناك؟ وبهذا نبطل حجتهم.

خالد: يجب أن لا نتسرع.

منتهى: ولكني أجدها فكرة منطقية.

عمار: ولكننا ما نزال بحاجة لبعض الوقت.

خالد: حالياً يجب أن نصبح حذرين في تصرفاتنا .. أمهلوني أسبوعاً واحداً بعده سنقرر ما الذي سنفعله.
خالد: هيا يا يوسف، يجب أن نذهب إلى المنظمة ثم التفت لمنتهى وبنان: اذهبن للجامعة ومن ثم إلى البيت، لا تأتين إلى المنظمة.
هزت منتهى رأسها بالموافقة و انصرفوا جميعاً.

..

..

نهضت منتهى من فراشها بتكاسل، تناولت دواء صداع ثم جلست، ضمّت نفسها وبدأت بالبكاء. منتهى لم تخف الموت يوماً ولكن فكرة أن تفقد أحداً من ثلاثتهم تصيبها بألم حاد إذا كانت قاومت من بعد نصر وحاولت الوقوف وماتزال تشعر بالألم والوحدة فكيف بلا بنان أو يوسف أو بلا خالد؟!
أغمضت عينيها وبدأت دموعها بالانهيار، لم تصدر أي صوت .. كانت فقط دموعها تتساقط دون أي ضجيج. سمعت صوت هاتفها يرن كان الاتصال منه تبسمت بهدوء، تعلم أنه يشعر بها.. ابتسمت منتهى..
خالد: مساء الخير
حاولت أن لا يتضح على صوتها أنها كانت تبكي: مساء الخير.
خالد بحزن: منتهاي لماذا البكاء ألا تثقين بي؟
تنهدت منتهى، كانت تعلم بأنه سيكشفها: أنا خائفة خالد، بدأت أشعر بأن هذه اللعبة أكبر منا بكثير، وأننا سندفع ثمنها غالياً.
خالد بثقه وهدوء: منتهى! ما حدث لنا وما سيحدث هو قدر، كل ما علينا فعله هو الاستمرار باتجاه هدفنا.

منتهى: هذا الهدف أصبح مصدر رعب بالنسبة لي .. أستقبل اليوم أول الدماء التي ستروية. لقد دخل القتل في هذه اللعبة والقتل كما المسبحة، بعد أن تنفك أول خرزاتها لا تنتهي إلا بالأخيرة، وعرس الدم هذا لن ينتهي بشخص واحد.

تنهد خالد: صلِ من أجلنا كثير يا منتهى.

تبسمت منتهى بهدوء

خالد: ابتسامتك رائعة.

ضحكت منتهى: كيف علمت؟

خالد: منتهاي أنا أراكِ بقلبي. منتهى أعدك أن ينتهي كل هذا ونعيش حياة طويلة سعيدة. تبسمت منتهى ..

تبسم خالد ثم أردف: منتهى، تأخر الوقت و يجب أن تنامي، غداً لديك جامعة.

لوت منتهى شفتيها: لا أستطيع النوم

ضحك خالد بقوة: هل أحكي لصغيرتي حكاية لتنام؟

ضحكت منتهى: خالد أنا طالبة طب الآن. كم هو محرج أن تعاملني هكذا

خالد: منتهى طالبة الطب تلك ليست منتهاي، أنتِ منتهاي الطفلة، طفلتي المدللة.

تبسمت منتهى ..

خالد: أي قصة تريدين أن أحكي لك؟

منتهى: غنِّ لي.

خالد :حسنا هيا اذهبي للفراش وتغطي جيداً.

بدأ خالد الغناء بصوت هادئ حنون :

"نامي عالهدى نوم الطفل نامي مثل شي وردة على كتف سياج

صغيره الاميره والهوى حرامي ياخوف قلبي ينسرق هالتاج

يالي كحلة عيونك بلون ايامي
نامي هووون بضلوعي يوعى الكون وماتوعي
تعبانه رمشك للغفى محتاج "
نامت منتهى أخيرا و أقفل خالد الهاتف.

أشرقت الشمس لتعلن عن ميلاد يوم جديد، كانت منتهى قد استيقظت ولكنها لم تنهض من فراشها بعد لوقت طويل. جلست تنظر للسقف بتفكير دون أن تفعل أي شيء سوى التفكير. نظرت للساعة؛ كانت قد مرت ساعة ونصف وهي تفكر. تنهدت ونهضت بتكاسل، كانت تشعر بضيق ولكنها كالعادة يجب أن تكون قوية، يجب أن تقف بجانب خالد .. خالد يحتاج دعمها، صنعت لها قهوتها وعادت للتفكير ماذا إن كان الحل الوحيد أن يسلموا أنفسهم؟ هل ستتحمل ما سيحدث ليوسف وبنان وخالد؟! هل سيحتمل قلبها رؤيتهم يتعذبون؟! هل ستحتمل خبر إعدامهم؟! خرجت منها زفرة قوية ولكن ما الحل؟؟ هل ستحتمل أن ترى شباب وطنها يعدمون واحداً تلو الآخر بسببهم؟!
تذكرت أنه بسببهم هناك عائلة فقدت أحد أفرادها، هناك أم ثكلت أو ربما ابنة تيتمت، فكرت أنه ربما كان لذلك الشاب الذي أعدم أختاً تحبه كما كانت تحب نصر أو ربما له زوجة أو خطيبة أو حبيبة فقدته للأبد.. يا إلهي! ماذا يفعل الظلم؟!
اتصلت بيوسف وهي تبكي.
يوسف: أهلا منتهى.
منتهى وهي تبكي: يوسف ماذا سنفعل؟

يوسف بحماس: منتهى حبيبتي لا تبكِ، سيكون هناك حل بالتأكيد. حتى و إن اضطررنا للمغادرة.
منتهى: وهل سنكون بمأمن هناك ؟
يوسف: بالتأكيد .. كفي عن البكاء أرجوك.
مسحت منتهى دموعها: ما اسمه
يوسف باستفهام: من تقصدين؟
منتهى وقفت وهي تتجه إلى حاسبها المحمول: الذي أعدم أمس.
كان يوسف يرتدي ملابسه ولكنه توقف، صدمه سؤالها: لماذا؟
منتهى: أريد أن أرى كيف كان يفكر ؟
تنهد يوسف، هو يعرف عنادها و أنها سوف تعلم من هو منه أو من غيره فقرر إخبارها. أخبرها باسم الشاب ثم استأذن منها ليكمل تجهزه للذهاب للمنظمة. أغلقت منتهى وبحثت عن اسم الشاب في موقع الفيس بوك فوجدته. بدأت بقراءة آخر منشوراته بعضها كان تعزيه وضعها بعض أصدقاءه. كانت كلها حزينة .. أن تودع من كنت تحب إلكترونيا يعني أنك ما زلت تملك الأمل بإجابة منه، ترسل وتنتظر أن ترى تمت المشاهدة، تنشر على صفحته وتتمنى لو أنه يضع إعجاباً. رأت منشورات كثيرة تودعه، تدعو له، تنعيه، ثم وصلت لآخر منشور له:
"وبعد آلاف السنين سنكتشف أن هذه الحياة ماهي إلا ثوان لا تستحق الحزن عليها" .. شعرت بأنه كان يعلم بأنه سيرحل. تمنت لو أنها تعرف نهاية هذه القصة ولو أن بيدها تغييرها، أخذت هاتفها واتصلت بخالد.
خالد: صباح الورد
تبسمت منتهى على صوته ثم أكملت: خالد ماذا سنفعل؟

خالد: منتهاي أنا مشغول جدا الآن ولكن أنا أيضا أريد الحديث معك ومع بنان هلّا أتيتنّ للمنظمة لنتحدث؟

جلست منتهى وقد شعرت بقلق: هل هناك شيء جديد؟

تنهد خالد وأكمل وهو يقف مستنداً على مكتبه: لا ولكن أريد أن أتحدث معكم جميعاً.

هزت رأسها منتهى بمعنى أنها فهمت ثم أكملت: هل يمكننا المجيئ الآن؟!

نظر خالد لساعته: الآن؟ أ ليس لديكم جامعة؟!

منتهى: لا فلدينا اليوم إجازة.

خالد: حسنا إذاً بعد ساعة سنجتمع.

منتهى نظرت لساعتها: حسناً أتركك الآن لأتجهز.

خالد: مع السلامة

منتهى: مع السلامة

وقبل أن تقفل. خالد بسرعة: منتهى

منتهى: نعم؟

خالد: أحبك.

تبسمت منتهى برقة: و أنا أيضاً.

خالد: وسنكون بخير، صدقيني.

تنهدت منتهى.. تبسم خالد: إذاً اذهبي لتتجهزي.

اتصلت منتهى ببنان لتخبرها بأن تتجهز، وبعد ساعة بالضبط كانتا بالمنظمة.

كان يوسف ينتظرهن في مكتبهن في بادئ الامر استغربت منتهى وجوده ولكنها شعرت أنه يريد رؤية بنان.

منتهى بضحكة: لا أصدق يوسف شخصياً جاء لاستقبالي.
يوسف وهو ينظر لبنان: هل لديكِ شكٌ بمقدار حبي لك؟!
زادت ضحكت منتهى: بالطبع لا، و أنا أيضا أحبك.
ضربها يوسف على رأسها بخفه: هلا انقلعتي من هنا؟ أريد أن أتحدث إلى خطيبتي قليلاً.
تغيرت ملامح منتهى، شعرت بأن هناك مشكلة ما بين يوسف وبنان، حتى بنان شعرت بأنها مختلفة قليلاً هذه الأيام، شعرت بتأنيب الضمير على صديقتها فمشكلتهم هذه جعلتها منشغله عنها ولم تعد تسأل عن حالها، أيقظها من سرحانها صوت يوسف: منتهى أخرجي.
خرجت منتهى وهي تشعر بقلق على صديقتها
جلست في الردهة وتنهدت
خالد: ماروكو الصغيرة تتنهد، ماذا حدث هل ضربك يوسف؟
التفت مفزوعة ثم رأت خالد، تبسمت: أخفتني وأكملت وهي تجاوبه لا لم يضربني يوسف .. تذكرت منتهى نصر، هو الذي أطلق عليها اسم ماروكو، تذكرت صباح استشهاده عندما سألها لما تنهدت ثم تبسمت.
نظر لها خالد: ما أجمل الشمس التي تشرق من ابتسامتك.
اخفضت منتهى رأسها: خالد لقد اشتقت لنصر.
زفر خالد: رحمه الله .. أنا أيضاً، لقد اشتقت إليه حقا.
منتهى: والآن ماذا سنفعل؟
خالد: سنغادر اليمن .. لا خيار أمامنا.
هزت منتهى رأسها وكأنها كانت تعلم أن هذه هي الطريقة الوحيدة.

في المكتب عند يوسف وبنان

يوسف: بنان ماذا هناك ؟!

تبسمت بنان بتوتر: لا شيء.

يوسف بصوت عالي قليلاً: لم تجيبي على مكالماتي منذ يومين وتتهربين من الحديث معي، ماذا هناك ؟

بنان وهي تبتسم وبهدوء: أخبرتك لا شيء صدقني يا يوسف.

يوسف وهو يقف أمامها وينظر في عينيها: أنا لا أكذبك بنان ولكني أشعر بك. لا أريدك أن تنفصلي بعالمك هكذا، أخبريني ماذا هناك؟

لم تجبه ولكنها فجأة جلست وغطت وجها، شعر يوسف بقلق بالغ عليها وجلس على ركبتيه أمامها.

يوسف بقلق واضح: بنان ما بك؟ ماذا هناك؟

بنان من بين دموعها: أعمامي عادو يختلقون لنا المشاكل.

شتم يوسف بقوة ووقف وضرب على المكتب بيده: ألم ننتهي أبدا من مشكلتهم ؟

بنان وهي تمسح دمعها: لا أعلم يوسف، مقتل والدي قتلني، هدمني، كسرني وعوضاً عن أن يكونوا هم سندي و يقفوا إلى جانبي يزيدون وجعي وجعاً وألمي ألماً. أنا اشعر بالتعب يا يوسف منهم، من أسلوبهم ورجعيتهم، من تطفلهم في حياتي، أتمنى حقا لو أني لم أنسب لهم.

يوسف: وماذا يريدون هذه المرة؟

بنان بتلعثم: يريدون نصيبهم من ميراث المنزل.

شعر يوسف بأنها تخفي شيء آخر: هل هذا كل شيء؟

نظرت له بنان بحزن وهي مترددة، هل تخبره ماذا أيضا .. قررت أنها لن تخبره، ليس اليوم: أجل.
تنهد يوسف: بنان نحن يجب أن نتزوج وفي أقرب وقت، دعينا على الأقل نكتب العقد لتكوني أنتِ ووالدتك والصغيرتين في حمايتي قانونياً ومن بعدها أنا سأعرف كيف أتعامل معهم.
تنهدت بنان بحرقة قوية ..
يوسف: بنان ماذا هناك؟
بنان وهي تقف: لا شيء، لقد تأخرنا.
نظر لها يوسف بشك: هل أنت متأكدة أنك أخبرتني كل شيء؟
بنان وهي تبتسم: أجل
يوسف موكداً: بنونة تأكدي تماماً أنك في حمايتي و لن يؤذيك أحد مجدداً، لن أسمح لهم حتى إن أرادوا حصتهم في البيت، أنا سأعطيهم قيمتها.
ثم أكمل هيا بنا، سيقتلنا خالد إن تأخرنا أكثر.

بدأ الاجتماع..
كان خالد واقفاً يشرح لهم ما عليهم فعله.
خالد: يجب أن نكمل عملنا. أولاً كموطني لدينا كثير من المشاريع الخيرية التي لا يجب أبداً إهمالها، و أيضا أنا ويوسف وعمار وطارق لدينا لمسات أخيرة لآخر ملف ستنشره عصابة الرداء الأبيض وبعدها سنبحث عن طريقة للمغادرة.
منتهى بتردد: ولكنني لا أريد أن أترك بلادي.
خالد: هذا هو الحل الوحيد يا منتهى.

عمار: يجب أن ننهي عملنا بأسرع وقت لكي يتسنى لنا التفكير في الخطوة القادمة.
بنان: ألا يمكننا التوقف والاكتفاء؟
يوسف: لا يا بنان. ما توصلنا إليه مهم جداً وسيغير أشياء كثيرة فعلاً في مستقبل هذه البلاد.
منتهى: إذا لنكتفِ بما لديكم.
خالد: لا نستطيع، مازلنا نستطيع فعل المزيد.
طارق: لا تقلقوا سننتهي قريبا، لن نستغرق أكثر من شهر ونصف الشهر.
بنان: إنها مدة طويله حقاً
خالد بابتسامة مشاكسة وهو ينظر ليوسف والأخير أيضا يبتسم: ستكون مدة كافية للكِ أنتِ ومنتهى لتتجهزن.
نظرن إلى بعض باستغراب، قالت منتهى مستفهمة: نتجهز لماذا؟
خالد بنظرة حالمة وهو يبتسم: لعرسنا، أنا و أنتِ و يوسف وبنان.
احمرت وجنتا بنان و كذلك منتهى لم تتمالك نفسها فغطت وجهها بيديها.
يوسف بجدية: حسناً نحن فعلاً لا وقت لدينا، يجب أن تكونا تحت حمايتنا رسميا خاصة لأننا نريد المغادرة
بنان بحزن: هل سنعود ؟
خالد: لا نعلم بعد، كل الخيارات مطروحة.
هزت منتهى رأسها بتفهم ثم أردفت: ماذا عن موطني؟ هل ستقفل؟
خالد: أفكر جدياً أن اسلم إدارتها لمجموعة من الشباب
يوسف: هل هناك شخص محدد؟
خالد: إلى الآن أعتقد أنه عماد اخاك ولمياء اختي

منتهى: ولكن بعد أن نكشف سيتعرضون لمضايقة.
خالد: هذا ما أخشاه
طارق: اتركوا القلق من المستقبل، قد نموت اليوم
تبسمت منتهى: فعلاً.
خالد: اتفقنا إذاً.

مر أسبوع كامل لم يلتقوا فيه، كانت المشاكل تزداد تعقيداً ولا خيارات لديهم. وضع البلاد يزداد سوءاً والأوضاع الأمنية والمعيشية تتردى، كانت منتهى وبنان منشغلتين بالجامعة والعمل الخيري للمنظمة فقط، بينما يوسف وخالد وعمار وطارق يعملون على آخر القضايا التي سيفضحونها. كان الجميع في حالة توتر دائمة يتمنون أن لا يسمعوا أي خبر إعدام آخر، لم يكونوا قد حددوا موعد السفر بعد ولكنه خيار مطروح.
في طريق العودة من الجامعة كانت بنان واجمة وحزينة ومهما حاولت منتهى أن تعلم ما بها فهي لا تتحدث، بدأت منتهى تشعر أن هناك أمر كبير في حياتها ولا تريد أن تخبرهم به. لم تتحدث معها منتهى ولكنها اكتفت بأن تمسك يدها نظرت لها بنان وابتسمت، هي تعلم أن منتهى تحاول الوقوف إلى جانبها ولكنها متعبة جدا حتى من نفسها و لا تريد أن تقحم منتهى أو يوسف في مشكلتها. دخلت بنان إلى البيت لتجد ذاك الحقير بانتظارها.
صرخت: ماذا الآن؟ ما جديدكم اليوم؟
مهند ابن عمها: لا شيء جئت لكي نتفاهم وجهاً لوجه وبعقل.

بنان: عن أي عقل تتحدث؟ تريدون نصيبكم من إرث المنزل، حسنا سيصلكم ماذا أيضا؟

مهند: لست هنا اليوم لأتحدث عن الورث أنا هنا لأتحدث عنك

بنان وهي تكاد تجن: ماذا عني؟ ماذا تريدون مني ؟

مهند: ذاك المعتوه التافه اتركيه، أنا لن أقبل أن ترتبط ابنة عمي بحقير كهذا، بنان هذه هي المرة الاخيرة التي اتحدث معك فيها، المرة القادمة سيكون لنا تصرف فعلي أنا أولى بك من هذا المنحط.

بنان: أنا خطيبته وقريباً سأكون زوجته، ولا يحق لك أو لغيرك منعي. أنت لست ولي أمري ولا حتى والدك .. والدتي ما تزال على قيد الحياة و هي وحدها من تقرر. ثم ألا تملك ذرة كرامة؟ أنا أكرهك فكيف تفكر الارتباط بي؟!

صرخ مهند: لا تعتقدي أنني أريدك لأجلك، أنا أريد أن أحمي اسم وسمعة العائلة وأن أحافظ على بنات عمي. أيضا لا تعتقدي أن والدتك تستطيع حمايتك منا وهذا إنذاري الأخير. ستفسخين هذه الخطبة وستتزوجينني وستأتون للعيش معنا.

وخرج وأغلق الباب خلفه بقوة، جلست بنان وهي تبكي تشعر بألم شديد ما هذا الألم، ما هذا الظلم؟! لِمَ لا يشعرون بها؟! مسحت دموعها بسرعة لا تريد أن تراها والدتها هكذا، ولكن والدتها رأتها و احتضنتها ودمعها ينزل.

والدتها: سأحاول حمايتك منهم أعدك

بنان وهي تشهق من البكاء: أريد فقط أن أفهم لماذا؟

والدة بنان: لأن هذه الدنيا ليست عادلة أبدا يا بنان. ثم أكملت: هيا بدلي ثيابك. بدلت بنان ثيابها وساعدت والدتها في تحضير الغداء ومن بعده في تنظيف المطبخ أكملت وهي تشعر بإنهاك شديد، جلست على جهازها المحمول وهي شاردة

وتشعر بحاجة ماسة لأن تراه، ذلك الفيديو التي منعت منه، فتحت موقع يوتيوب وكتبت بأصابع مرتعشة العنوان الذي تريده، كانت دموعها تتساقط حتى قبل أن ينفتح المقطع. بدأ الفيديو، كانت دموعها تتساقط بقوة وهي تكتم شهقاتها. هذه هي المرة الأولى التي ترى فيه الفيديو بعد المرة التي رأته في التلفاز لكن هذه المرة تراه بوضوح، تراه أمامها، لا تعلم من أين أتتها كل هذه القوة لتتابع حتى وصلت لنهاية الفيديو وصرخت بـ آاه قوية سمعتها والدتها وأختاها الصغيرتان وعادت بذاكرتها إلى الوراء.

5 ديسمبر2013

الهجوم الارهابي على مستشفى وزارة الدفاع العرضي

استيقظت بنان يومها متأخرة قليلاً، نهضت مسرعة لتتجهز للجامعة، أكملت تجهيزاتها بسرعة وخرجت لتتناول الإفطار مع عائلتها، والدها ووالدتها وأختيها الصغيرتين. ذهبت لتقبل رأس والدتها ومن بعده والدها فاحتضنها كثيرا: كيف تجري أمور الدراسة معك؟!

ابتسمت بنان بعفوية: ما زلت في سنتي الثانية، لا توجد هناك صعوبة كبيرة.

ابتسم لها والدها بوقار: بنونتي، يجب أن توسعي مداركك وتكثري من القراءة، مهنتنا صعبه جداً إنها ارواح أناس، في أيدينا ويجب أن نحافظ عليها ولو بأروحنا.

هزت بنان رأسها بأنها فهمت، ثم أكملت إفطارها سريعا كي لا تتأخر على منتهى وقبل أن تخرج ناداها والدها ذهبت اليه مسرعة فأعطاها مبلغاً من المال

بنان: ولكن لديّ ما يكفيني.

ابتسم والدها: لربما احتجتِ شيء.
قبلت بنان والدها: أنت أعظم أب في العالم.
والدها: وأنتِ أجمل طبيبة رأتها عينيّ. اخوتي دائما كانوا يشعرونني بالنقص لأنني لم انجب ولد، لا يعرفون أني أفتخر بك أكثر من أي شيء آخر يا بنان، أنتِ من ستمثلينني وستنهين مشواري وستحملين اسمي يا ابنتي.
تبسمت بنان
أكمل والدها بلهجه جادة قليلا: هيا كي لا تأخري على منتهى أكثر.
ذهبتا للجامعة وفي أثناء المحاضرة الثانية سمع الجميع أصوات انفجارات شعرتا بالرعب، لم تمض سوى دقائق حتى وصلهم الأمر من إدارة الجامعة بإخلاء الجامعة والعودة للمنزل، اتصلا بيوسف ولم يكن يجيب ولا عماد ولا خالد ولا والد بنان أو حتى والد منتهى، لا أحد أبدا كان يجيب، لا الهاتف المحمول ولا هاتف المنزل. قررتا العودة بتاكسي للمنزل، وبينما هن في التاكسي كان صاحب التاكسي يتحدث عن هجوم ارهابي انتحاري يستهدف مستشفى شعرت بنان بدقات قلبها تتزايد وبقلبها ينقبض ولم تعد قادرة على التنفس سألت منتهى: مستشفى؟ لماذا؟ ماذا يوجد به ليستهدفوه؟
أجاب صاحب التاكسي: وزارة الدفاع، إنهم يستهدفون مستشفى العرضي بوزارة الدفاع.
صرخت بنان وبدأت بالبكاء حاولت الاتصال بوالدها، حتى منتهى كانت تحاول الاتصال وتحاول ولا مجيب. وصلتا إلى البيت ساعدت منتهى بنان في الصعود ولا يوجد أحد في البناية سوى والدة يوسف ووالدة خالد واخواته. سألتا أين ذهب الجميع ؟؟ أجابتهما والدة يوسف أنهم ذهبوا لإحضار والد بنان. انتظر الجميع في

الشقة كانت بنان تبكي وهي تدعو الله أن يحمي والدها، بينما لا تعلم منتهى لما تذكرت فجأة نصر ويوم رحيله فأخذت تبكي هي الأخرى. مرت أربع ساعات لم يصلهن أي خبر سوى مكالمة وحيدة من عماد بأنهم ذهبوا لإحضار والد بنان وسيأتون حالاً.

عاد الجميع بعد ست ساعات كادت بنان أن تجن فيها. و ما إن رأت والدتها حتى جرت لها وضمتها بالمقابل ضمتها والدتها كثيرا نظرت بنان لوالدتها وقد شعرت بأن هناك تغيير كبير طرأ عليها، سألت في شك: أين والدي ؟

نظر الجميع لها في صمت فأكملت بصراخ: أين والدي؟

ضمتها والدتها كثيرا دفعت والدتها بعيدا وهي تصرخ بهستيريا أين والدي ؟!!

يوسف: بنان اهدئي يجب أن تتماسكي أنتِ مؤمنة.

بنان بهدوء :مؤمنة؟ ثم أكملت بصدمة: هل مات؟ هل مات والدي؟

والدتها: إنا لله وإنا إليه راجعون.

لم تتحمل بنان الصدمة، أغمي عليها، ضلت ثلاثة أيام لا تتحدث ولا تأكل، كل ما تفعله هو التحديق. كانت منتهى ملازمة لها طوال اليوم ولكن بنان لم تكن تشعر حتى بوجودها. في اليوم الرابع بدأت بالبكاء في حضن منتهى حتى جف دمعها وشحب صوتها وعادت للنوم، في المساء أكلت قليلاً و كان هذا التطور ملحوظاً في حالتها، ثم عادت للنوم ولكن في تمام الساعة العاشرة كانت النساء يشاهدن التلفاز ولا أحد مع بنان في غرفتها كي ترتاح، بدأت الفضائية اليمنية بعرض الفيديوهات لهذا الحادث الدموي الإرهابي الذي استهدف أشرف المهن وأكثر الأماكن قدسية.

استيقظت بنان بهدوء، سمعت أصواتاً من الخارج، فتحركت دون أن تحدث أي صوت ولكنها تسمرت مكانها عندما رأت الفيديوهات تعرض أمامها.
وقفت صامتة تتساقط دموعها بدون صوت وهي ترى مسخ بشري يرتدي زي رجال الأمن و يتقدم نحو مجموعة من المرضى وهم يجرون ناحيته ضناً منهم أنه رجل أمن، ولكنه يلقي عليهم قنبلة .. وفيديو آخر عن ممرضة تركض في ممرات المستشفى فتباغتها طلقة من الخلف لتسقط صريعة، أما الفيديو الثالث الذي أدمى قلبها واغتال روحها، أوجعها حتى النخاع فكان لطفلة تم استهدافها برصاص حي ولكن فجأة يظهر طبيب يزحف ناحيتها كي لا يلفت الانتباه ويحاول إسعافها ولكن ذلك المسخ البشري الأشبه بالزومبي في أفلام الرعب الرخيصة قد انتبه له. كان الطبيب منهمكاً في محاولة إنقاذ الطفلة فلم ينتبه وماهي إلا ثوانٍ حتى تخترق صدره رصاصة لتلقيه صريعاً بجانب الطفلة التي كان يحاول إنقاذها. هنا صرخت بنان بأعلى صوتها وسقطت أرضاً. لم يغمى عليها ولكنها كانت تصرخ وتبكي، هذا الطبيب لم يكن إلا والدها، ما كان ذنبه ليقتل بهذه الوحشية؟ ماذا صنع لتسيل دمائه ؟!

هرع الجميع إليها، احتضنتها منتهى كثيراً وهي تبكي.

بنان ببكاء حاد: ماذا صنع؟ منتهى أخبريني..

منتهى وهي تبكي: لا شيء .. لا شيء سوى أنه حاول إنقاذ طفلة.

بنان: لقد قتلوه، كان عقاب إنقاذ روح أن يقتل! بأي شرع يؤمنون؟! و إلى أي دين ينتمون؟

منتهى وهي تبكي: ليس لنا .. لا ينتمون لديننا ولا لأخلاقنا. نحن لسنا بهذه الوحشية، ليس لنا بنان، لا ينتمون إلينا.

صرخت بنان وهي تبكي. لم تتخيل أن يكون مقتل والدها بهذه البشاعة، أي قلوب متحجرة تقتل طبيباً يحاول إنقاذ طفلة؟! إنهم وحوش.. ليسوا بشر.. تلك الرصاصة التي اخترقت قلب أبيها هدمت حياتها.

عادت بنان من ذكرياتها على صوت والدتها تسالها ما بها. أبعدت والدتها ودخلت غرفة أبيها، أقفلت الباب وبكت حاولت والدتها التحدث معها أو إقناعها بالخروج ولكن لا فائدة. اتصلت والدتها بمنتهى ومنتهى بدورها اتصلت بيوسف.
وقف يوسف ومنتهى أمام شقة بنان، دخلت منتهى مسرعة بينما انتظر يوسف في الخارج وهو يشعر بقلق بالغ يكاد يخرج قلبه من محله.
منتهى: ماذا حدث؟
والدة بنان: لا أعلم .. كانت طبيعية واجمة قليلاً ولكن ليس بهذا الانهيار وفجأة صرخت وبدأت تبكي، لا أعلم ما الذي حدث لها.
منتهى: أين كانت؟
والدة بنان: في غرفتها.
دخلت منتهى إلى الغرفة سريعاً وبدأت تفتش عن شيء كتبته أي شيء يدلها ماذا حدث إلى أن رأت جهاز بنان مفتوح على موقع اليوتيوب، ذهبت مسرعة وهي تدعي الله أن لا يكون استنتاجها في محله فتحت سجل المشاهدة، ضربت بيدها بقوة على الطاولة. كما توقعت تماماً، لقد شاهدت الفيديو مرة أخرى.
ذهبت إلى غرفة والد بنان مسرعة وهي تضرب الباب بقوة.
منتهى بصراخ وصوت من يشارف على البكاء: ألم أخبرك بعدم مشاهدته مجددا؟! لماذا بنان؟! ماذا توقعت أن تري؟! لماذا تدمين جرحك كلما اندمل ؟!

صرخت بنان: لأنه لم يندمل أبداً ولا لدقيقة أو لثانيه أو حتى لحظة .. وجعي على والدي لم يغادرني أبدا .. مع كل مرة أنكسر فيها أو أشعر بأنني وحدي في عالم لا يعرف الرحمة .. أشعر وكأنه مات الآن وكل ما جار علي الزمن وظلموني من أنا من لحمهم ودمهم أشعر وكأنه مات اليوم .. أبي يموت فيني كل يوم ..

لم أعد أريد هذه الحياة، لم أعد أريد الاستمرار. لم يعد قلبي قادراً على النبض، أنا عاجزة عن حمايتي وحماية أختاي ووالدتي وحماية مستقبلي.

ضربت منتهى الباب بقوه حتى كادت أن تكسره ففتحت لها بنان.

صرخت منتهى بوجه بنان ودمعها يتساقط: لم تعودي تريدي الاستمرار؟! ماذا عني؟! ماذا عن 18 عام من حياتنا ألا تعني لكِ شيئاً؟! ألا تفكرين بمدى الألم الذي أشعر به عندما أراكِ هكذا؟! وأيضا ماذا عن ذلك الواقف في الخارج وقلبه يكاد يقف من خوفه عليكِ؟! هو أيضا لا يهمك؟ لا تريدين الاستمرار حتى و لو من أجله؟! لست وحدك بنان، حتى أنا أفتقد نصر كثيراً ولكني سأبتسم من أجله، ضمتني بنان وهي تبكي: لماذا كان عليهم أن يخربوا حياتنا هكذا؟ منتهى ما الذي كانوا سيخسرونه لو تركوا لي والدي أو تركوا أخاكِ ؟

هل حققوا العدالة عندما قتلوا أخاكِ؟! هل كان جرم أبي في انقاذ طفلة يستحق عليه هذا الحكم بالإعدام؟! هل كان جرم أخاكِ أنه حلم بمستقبل أفضل لبلاده أن يعدم؟ منتهى عن أي إسلام يتحدثون وهم لا يقتلون إلا أطهر الناس؟! وعن أي حماية لليمن يتحدثون وهم لا يقتلون إلا شباباً لا يريدون سوى مصلحة الوطن؟ تمنيت لو أن والدي كان طبيباً فاسد لا مبال، لو أنه كان فاسداً لما قتلوه، لو أنه كان جزاراً يتاجر بالأعضاء أو مستهتراً لا تهمه أرواح الناس لما قتلوه في هذه البلاد.

لا يرحل إلا الشرفاء، حتى نصر لو كان سياسياً فاسداً لكان هرب وما قتلوه، لكان وقف في الصفوف الأخيرة وبعدها ظهر في الإعلام يندد بما حدث وما قتلوه.

منتهى وهي تمسح دموع بنان ودموعها تتساقط: لأن هذه الأرض ليست مكانهم لأنهم أطهر من هذا العالم بكثير .. لو كان نصر حياً ورأى إلى أين وصلت بلادنا لكان سيتألم كثيراً، حتى والدك لو كان حياً لتألم كثيراً.

بنان: ولكن دمائهم ضاعت هدراً، لم يحاسب أحد، منتهى لم يدفع ثمن رحيلهم سوانا.

تنهدت منتهى: وهذه هي مهمتنا، يوسف وخالد يحاولون الوصول للرؤوس الكبيرة وكل من شارك في الحادثتين وصدقيني سوف يصلون.

بنان باندهاش: لم أكن أعلم، لم يخبرني يوسف.

ابتسمت منتهى: ولا أنا، لم يخبرني لا يوسف ولا خالد، لقد علمت هذا الأمر صدفة. لا تعلمين يا بنان مقدار المعلومات التي جمعوها عن الكثير من الحوادث التي حدثت منذ 2011. لا تتخيلين صفقات الاتجار بالبشر وتسليح القبائل المتناحرة وإثارة الفتن بينها والتخابر مع دول خارجية والتخطيط لحوادث ارهابية وصفقات أغذية وأدوية فاسدة. هذه غير المخدرات وجرائم القتل.

شهقت بنان: كل هذا؟!

هزت منتهى رأسها بإيجاب: عمار استطاع اختراق هواتفهم النقالة وحواسيبهم وطارق استطاع جمع الوثائق والصور حتى يوسف وخالد إنهم يشتغلون بجهد لا تتخيلينه، وأعتقد أنه لم يتبق لهم إلا هاتين الحادثتين.

تنهدت بنان: أنا خائفة عليهم كثيراً.

منتهى: سننجو صدقيني.

ظهر شبح ابتسامه على وجه بنان وأشارت برأسها: نعم.
خرجت منتهى ليوسف لتطمئنه كان يوسف يقف مستندا على الجدار ومغمضاً عينيه، ما إن سمع منتهى تقترب منه حتى فتح عينيه.
يوسف بلهفة: ماذا هناك ما بها؟
منتهى وهي تتلعثم: إنها بخير
صرخ يوسف: منتهى أرجوك، بنان لم تعد طبيعية أبداً.. أصبحت تتجنبني و كثيرة الشرود واجمة وحزينة دائما، ماذا هناك ؟
نظرت له منتهى ثم جلست على السلم: أعتقد أن هناك مشكلة مع أعمامها تخفيها عنا.
تنهد يوسف وجلس بالقرب منها: حتى أنا أشعر أنها تخفي شيء. هل أتصل بهم؟
هزت منتهى رأسها بأنها لا تعلم ثم أكملت: لكن أخاف أن يزداد تعنّتهم معها.
يوسف بقلق واضح: ماذا قالت لك؟
تنهدت منتهى وهي تنظر له بتردد: لقد قالت أنها كل يوم تشعر بسببهم بأن والدها توفي اليوم.
قبض يوسف علي يده بعصبية ثم وقف، وقفت معه منتهى وهي قلقة من أن يتصرف بتهور.
منتهى: يوسف لا تتصرف بتهور ستؤذيها هكذا.
يوسف بصراخ: يجب أن يقفوا عند حدهم، لقد رأيت ابن عمها الحقير يخرج من البناية اليوم لابد وأنه هو السبب.
منتهى: وإن كان هو. يوسف هم أعمامها وأنت مجرد خطيبها، لا تدخل معهم بعداوة ستخسرها.

زفر يوسف بعصبية وهو يشيح بوجهه عن منتهى: هذا الأسبوع.
منتهى نظرت له باستغراب: ماذا تقصد ؟!
يوسف بعصبية وهو يشير بيده: هذا الأسبوع سوف يتم العقد ومن بعدها سأعرف كيف أجعلهم يندمون.
وترك منتهى وذهب، ضمت منتهى نفسها وتنهدت، لا تعلم لماذا تشعر بالقلق والكوابيس تراودها، لماذا تشعر بأن هذا العام سيكون أصعب الأعوام عليهم..

مازالوا في منتصف مارس

الشهر الثالث من هذا العام الذي لا تعلم كيف سينتهي؟ أو هل سينتهي وهم هنا أم قد تركوا اليمن وهربوا؟! توقفت عن التفكير وعادت إلى منزلها..

استيقظنا مبكرا على أصوات مدافع ولا أحد يعلم ما الذي يحدث .. كل المؤشرات تدل على حرب وشيكة بعد أن استقال الرئيس ومن بعده الحكومة وتمت محاصرتهم جميعا تحت الإقامة الجبرية .. ذهبت إلى منزل عمي لأستفسر عن الذي يحدث فوجدت يوسف أمامي.

منتهى: ما الذي حدث ؟

يوسف: لا أعلم

انظم إلينا خالد، سألته: خالد، ما الذي يحدث؟ إلى أين تتجه البلاد؟

خالد: صدقيني لا أعلم إن كنتي تسألين عن وثائقنا هل تحمل أي أدله فدعيني أخبرك أنني منصدم من هذا الفلم الذي نعيشه.

سالته بصدمة: ماذا تقصد؟

أجابني يوسف وهو ينظر لخالد بنظرات تحمل معنى لا تخبرها: لا شيء

نظرت لهم بعصبية: لم أعد طفلة يا يوسف.

تنهد خالد: أعلم، ولكن بعض المعلومات من الآمن لك أن لا تعرفيها.

منتهى: لي أو للمعلومات؟

يوسف بملل: منتهى أرجوك، يبدو أنكِ تبحثين عن مشاكل اليوم ونحن لسنا بمزاج يسمح لنا بذلك.

شعرت بالجرح من كلامه ولكني تجاهلته وتحدثت مع خالد: خالد أخبرني ماذا قصدت بجملتك.

خالد: منتهى حبيبتي إنه موضوع يطول شرحه.

نظرت له بغيظ: كن صريحاً وقل أنك لا تريد أن تخبرني.
خالد: حسناً أنا لا أريد أن أخبرك.
وقفت بعصبية وتركتهم، تبعني خالد ولكنني صرخت به: أتركني إن كنت لا أعني لك شيء هكذا، فلنفترق، سيكون من الأفضل لو افترقنا. أفضل أن أرتبط برجل يثق بي عوضاً عن شخص لا يستطيع حتى أن يكون صريحاً معي.
طلت من عينيه نظرات غضب لم أشاهدها من قبل. تحدث من بين أسنانه وهو يمسك يديه بغضب: أقسم يا منتهى بأننا سنفترق إن عاودت هذه التصرفات مجدداً.
ظهرت الصدمة على ملامحي، تجمع الدمع في عيني، أردت الرحيل.. لا أريد أن أبكي أمامه، ولكنه أوقفني: اسمعي، أنا أحبك للحد الذي يجعلني أخاف عليك أكثر من نفسي والمعلومات الاخيرة كل من يعلمها معرضة حياته للخطر، وأنا لن أعرض حياتك للخطر بسبب طفولتيك هذه .. وأيضا هذه هي المرة الأخيرة يا منتهى التي تتحدثين عن انفصالنا فيها، ثم ذهب.. جلست و أنا أتنهد بعمق..
يوسف: أنتن البنات تأتيكم أوقات تصبحن أصعب من معادلة فيثاغورث وأكثر ثقلاً منها.
أجبته و أنا لا أنظر له: أنت سيكون حسابك عسير انتظر فقط.
رأيت ابتسامته: لقد خرج جون سينا الذي بداخلك، سألحق بصديقي إذاً.

بعد أيام من الإقامة الجبرية للرئيس المستقيل وحكومته وإعلان اللجنة الثورية العليا، تفاقمت الأمور وتحركت الجيوش من صنعاء إلى الجنوب، تمت محاصرة مدينة تعز التي شهدت مسيرات حاشدة وكذلك صنعاء أيضا ازدادت هذه العاصفة عندما هرب الرئيس إلى الجنوب ومن بعدها إلى السعودية.

كانت الأوضاع تشتعل كالنار ومئات الأحداث تحدث في اليوم الواحد كفلم يعرض بالطريقة السريعة .. في خضم هذه المعارك تناسى الناس جماعة الرداء الأبيض هذا ما سهل علينا بقائنا والتخطيط لخطواتنا القادمة.

21 مارس 2015

استيقظت منتهى مبكرا جداً، صلت القيام كثيرا ودعت لنصر، أكملت صلاة الفجر ولبست عبايتها وطرحتها و اتصلت بخالد، كان الوقت ما يزال مبكرا جداً.

خالد وصوته يدل على أنه ما يزال نائماً: صباح النور والورد.

منتهى بجدية: أريد التحدث معك.

خالد وقد استفاق وجلس على سريره: ماذا حدث هل هناك جديد؟

منتهى بصوت واجم: لا شيء ولكني أريد التحدث معك والآن.

خالد: حسناً منتهى ماذا هناك؟

منتهى: أريد أن أحدثك وجهاً لوجه، يوسف أيضا سيكون موجود.

خالد وهو يعلم أنها لن تتحدث في الهاتف مهما حدث: حسنا خمس دقائق وأصعد اتصلت منتهى بيوسف حتى هو شعر بقلق بالغ لماذا تتصرف منتهى هكذا فجأة.

بعد ربع ساعة أضاء هاتفها باتصال من خالد لقد صعد، فتحت الباب ورأتهم الاثنين ينظرون لها باستغراب.

منتهى :صباح الخير

نظر يوسف لخالد باستغراب ثم أجابها: صباح النور ماذا هناك منتهى؟

منتهى بهدوء: فلنبق كلنا في البيت اليوم.

يوسف: لماذا؟

منتهى: لأنني أشعر بشعور سيئ وبقلق بالغ.

خالد: أعلم أن اليوم هو ذكرى رحيل نصر رحمه الله، ولكن منتهى نحن يجب أن نذهب إلى المنظمة.

منتهى: ليس بسبب رحيله، أنا أشعر بقلق، أرجوكم لا تخرجوا اليوم.
اقترب منها يوسف وأمسك يديها: منتهى يا حبيبتي لن يحدث شيء، لدينا مواعيد مهمة، أنتِ تعلمين بأنه لم يتبق لدينا الكثير من الوقت.
تنهدت منتهى ولفت نفسها بشالها ودخلت إلى شقتها.
نظر خالد ليوسف: اتصل ببنان لتبقى معها، هذا اليوم من كل سنة يكون صعب عليها. هز يوسف رأسه بالإيجاب ثم خرجا إلى المنظمة..

صنعاء الساعة الخامسة والنصف عصرا

خرج يوسف وخالد من المنظمة، وفي طريقهما إلى المنزل أوقف خالد السيارة ونزل ليشتري بعض الأغراض من محل. جلس يوسف ينظر إلى خالد فرأى نقطة حمراء تتحرك فوق قميص خالد ببطء شديد حتى وقفت واستقرت على منطقة القلب استوعب يوسف ما يحدث وصرخ باسم خالد وركض نحوه سحبه إليه واحتضه.
لم يكن خالد يعلم ما الذي يحدث لولا أنه رأى رصاصة تخترق الجدار الذي كان يقف أمامه مباشرة .. نظر ليوسف برعب.
صرخ به يوسف: هل انت بخير
إجابة خالد: نعم .. ما الذي حدث؟
يوسف: يجب أن نغادر الآن .. هناك من يريد التخلص منك.
ركبا السيارة وانطلقا بسرعة فائقة..

وصلا إلى المنزل، أوقفا السيارة ولم ينزلا منها، تحدث خالد بعد أن استجمع أنفاسه: لقد كنت سأقتل .. يوسف كيف أنقذتني ؟

يوسف: لا أعلم .. رأيت تلك النقطة الحمراء وقفزت إليك .. خالد هل يعني هذا أننا كشفنا؟

هز خالد رأسه نافياً: لا أعلم، يجب أن نغادر هذا الأسبوع فحياتنا الآن فعلاً في خطر.

يوسف: حسناً إذا فلنعجل بعقدي قراننا.

هز خالد رأسه بالإيجاب والصدمة لا تزال تتملكه.

في اليوم التالي كانت الاستعدادات قائمة لإقامة حفلتي العقد معاً كانت والدة بنان قد اتصلت بعمها وابنه وأخبرتهما بذهاب يوسف وعائلته لهم للاتفاق على موعد العقد كما هي العادات. حضر الكثير من عائلة بنان وكذلك من عائلة يوسف، كان الوضع متوتراً جداً في المجلس. بدأ والد يوسف بالحديث.

والد يوسف :لقد اتينا اليكم لنتشرف بطلب ابنتكم الدكتورة بنان لأبننا يوسف

عم بنان: كنا لنتشرف بكم ولكن.

صمت الجميع في المجلس نظر يوسف لخالد برعب وهو يشعر أن هناك مصيبة ستتفجر بعد كلمة ولكن، لم يكمل العم كلامه بل تكلم مهند: نعتذر منكم و لكن بنان خطيبتي.

ابتسم خالد بغيض وكأنه كان يعلم هذه الإجابة وتبادل نظرات ذات مغزى مع مهند لم يفهمها سواهما الاثنان، حتى يوسف لم ينتبه للحوار الذي دار بنظراتهم

كان يوسف سيهب ويصرخ بعصبيه ولكن استوقفه خالد وتكلم وهو يحاول كبت غضبه: ماذا تعني بكلامك؟

مهند باستفزاز واضح: أعني أنني ابن عمها و أولى بها من الغريب، وطلبتها لي وحتى وإن لم تكن لي فلن تكون لغيري.

هب يوسف صارخاً: نجوم السماء أقرب لك منها، أنت تتحدث عن خطيبتي يا معتوه، لا قوة في الكون ستجبرها على شيء لا تريده.

التفت مهند لوالد يوسف وتحدث بهدوء: يبدو يا عم أن ولدك لا يعلم شيء عن الأصول.

زاد الهرج وسط المجلس والجميع يؤيدون مهند لقد كانت ثورة يوسف نقطه في صالحه، تحدث والد منتهى وهو يحاول إصلاح الموقف: ولكن هذه ليست من عادتنا لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه.

مهند بثقة: جميل أنكم تفهمون في هذه العادات ومع ذلك ضربتم بها عرض الحائط ابنكم خطب ابنة عمي بعد أن طلبتها أنا.

شعر يوسف بالاختناق عن ماذا يتحدث هذا المعتوه؟ علاقته بمهند لم تكن رائعة منذ البداية بسبب اختلافاتهم السياسية ولكن لا يذكر أبداً أن مهند كان يريد بنان.

أكمل أحد الموجدين: يبدو أنكم لا تحترمون العادات ولا التقاليد ولا تنتمون لنا، نحن نعتذر لكم فابنتنا لابن عمها.

وقف يوسف وصرخ: ماذا تقصدون؟ إلى أين تريدون الوصول؟ إلى أنني وبنان لن نتزوج؟ حسنا إذاً ليكن بمعلوماتكم أن بنان لي، هي تريدني ومادامت تريدني فلن أتخلى عنها ما حييت، هل تسمعون؟

تبسم مهند باستفزاز: حسناً إذاً هي التي ستتخلى عنك.

أمسك يوسف بياقة مهند وهو يصرخ: سأقتلك، أقسم بالله العلي العظيم أني سأقتلك لو اقتربت منها أو حاولت إجبارها.
وقف الجميع لفك النزاع بينهما، تحدث أحد الموجودين من أهل بنان بانتهاء الزيارة وأنه لا بنت لهم ليوسف، سحبوا يوسف للخارج وهو يتوعد بمهند.

في طريق العودة كان خالد من يسوق السيارة ويوسف يجلس بجانبه، أما البقية فقد تحركوا بسيارة عماد. كان يوسف يزفر بقوة وهو يقبض يده يحاول السيطرة على أعصابه. أوقف خالد السيارة بطريقه مفاجئة وصرخ به يوسف: ماذا هناك؟
أجابه بهدوء: يوسف بين بنان وموطني من تختار؟
نظر له يوسف باندهاش وقد صدمه السؤال: خالد ماذا هناك؟ هل ترى أنني الآن في وقت مناسب لأفكر بهذه الفلسفة؟!
خالد: أنا لا أتفلسف .. أجبني يا يوسف
تنهد يوسف وتهدج صوته: ليتني لا أملك قلب، ليتني منصف لدرجة تجعلني أختار موطني، ولكنها بنان التي لا سعادة لي بدونها، ستنتهي حياتي بخروجها منها. هذا – و أشار على قلبه – يعشقها إلى الحد الذي يجعلها أغلى من روحي. إن كان اختياري لها جبناً فأنا جبان في خذلانها شجاع في حبها.
تنهد خالد وأجابه: لن أخذلك يا يوسف، أعدك أنني سأحاول أن لا أخذلك. ونظر ليوسف نظرة مليئة بالأسف استغربها يوسف ثم عادوا إلى المنزل.
عاد الجميع إلى البيت و كان يوسف في قمة غضبه، دخل غرفته وأغلق الباب خلفه بقوة .. كانت منتهى ستلحقه إلا أن والدته أوقفتها ..
والدة يوسف: دعيه الآن يهدأ، يوسف يصبح كالوحوش عندما يغضب.

هزت منتهى رأسها بأنها تفهمت الموضوع .. وتركته.
كانت والدة يوسف ومنتهى يعددن الأكل، لمى الصغيرة كانت نائمة، أما عماد فقد كان يشاهد التلفاز. فجأة سمع الجميع صوت ضرب متتالي على الباب بطريقة مرعبة للغاية. فتح عماد الباب وهو يشعر بخوف كبير و ما إن فتح الباب حتى دفعه القادمون بقوة وسمع صراخ يأمر النساء بعدم الخروج، حاول عماد منعهم من الدخول ولكن اثنين منهم أمسكوه وكتفوه، ومع أصوت الصراخ صعد خالد وخرج يوسف من غرفته فسأله أحدهم: أنت يوسف؟
يوسف بعصبية: من أنتم وكيف تتهجمون على البيت بهذه الطريقة؟!
ضربه الرجل بقوة بعقب بندقيته حتى أسقطه ارضا والدماء تسيل منه.
حاول خالد الدفاع عنه، اشتبك معهم ولكنهم تكاثروا عليه وأسقطوه وأخذوا يضربونه بعنف، حاول يوسف النهوض بالرغم من ألمه الحاد ونزيفه لكي يدافع عن خالد الذي يبدوا وكأنه فقد الوعي، زحف حتى وصل إليه وارتمى فوقه وأخذ يتلقى الضربات بدلاً عنه، كانت منتهى تبكي بصراخ وهي ترى ما يحدث أمامها، لم تعد تستطيع الصبر أكثر. وخرجت وهي تبكي تحاول منعهم
منتهى ببكاء: يكفي يكفي
خالد بصراخ: ادخلي
لم تستجب منتهى وحاولت منعهم من ضرب يوسف
صرخ خالد بقوه :يكفي منتهى ادخلي الآن!!
أشار لهم قائدهم أن يتوقفوا وأخذوا يوسف معهم، كان يوسف خائر القوى تماماً، لم يقاوم حتى، وجروحه تنزف بشدة، تم سحبه من بينهم جميعاً، حتى خالد لم يكن قادراً على الحركة من شدة الضرب، وعماد كذلك. وحدها منتهى كانت تبكي بينما

تمسكها والدة يوسف خوفاً من أن تلحق بهم، كان خالد لا يزال على الأرض من آثار الضرب. والدة يوسف كانت تتصل بوالده ووالد منتهى تخبرهم باختطاف يوسف.

حاول خالد الوقوف ولكنه لم يستطع من الألم المبرح الذي يشعر به، ولكنه حاول وحاول، كانت منتهى واقفه تبكي وهي تراه يحاول الوقوف اقتربت منه وهي تبكي حاولت مساعدته ولكنه أبعد يدها حاول مرة ثم ثانية ثم ثالثة ولكنه كان يقع في كل مرة، جثى على ركبتيه وصرخ ب آه مليئة بحرقة وألم ووجع، وقف بعدها وهو يشعر بألم لا يوصف في إحدى يديه يبدو أنها قد كسرت.

منتهى بخفوت: هل اكتشفونا؟

خالد وصوته قد بح من صراخه: لا.

وصلت في هذا الوقت بنان وسألت بسرعة: منتهى ما الذي حدث؟

منتهى بسكون: يوسف لقد اختطفوه.

شهقت بنان: من ولماذا؟ هل اكتشفونا ؟؟

أجابها خالد بحرقه: لا نعلم.

جلست وهي تبكي: إذاً من اختطفه هكذا من بينكم ولماذا؟ ماذا يريدون؟

لم تجبها منتهى ولا خالد مضت دقائق قبل أن يرن هاتف بنان برقم مهند وضعته على الصامت، ليس وقته الآن ولكن خالد سألها بقلق واضح: من المتصل؟

أجابت ببرود: مهند

صرخ بها أجيبيه حالاً، استغربت بنان صراخه ولكنها أجابت كانت تستمع لكلامه بصمت وبدأت دموعها بالتساقط، اسقطت الهاتف من يدها وغطت وجهها وبدأت في البكاء بحرقة.

أجابها خالد: بنان إياك والتخلي عن يوسف إياك
بنان وهي تبكي: أنا آسفة.
وقفت منتهى وهي تدعي أن لا يكون ما حدث الآن بسبب مهند.
منتهى وهي تنظر لبنان: بنان ما أفكر فيه ليس صحيحاً أليس كذلك ؟
جلست بنان وغطت وجهها بكفيها وشهقت ببكاء حاد
بنان: بلى، مهند هو من طلب منهم اختطاف يوسف إنه يساومني إما أن أقبل به و إما أن أنسى يوسف للأبد.
وأكملت بنان بصوت خالٍ تماماً من أي مشاعر: وأعتقد أنني أعرف ماذا سأختار.
نظرت لها منتهى بشك أكملت بنان: سأتزوجه، يجب أن أترك يوسف.
شهقت منتهى بينما صرخ خالد: إياك بنان، هل جننتِ؟! هل تريدين أن تقتلي يوسف؟! هو يفضل الموت ألف مره في اليوم على أن يتركك.
بنان: وأنا أفضل الموت ألف مرة في اليوم على أن تمس منه شعرة.
صرخت منتهى : لا يستطيعون أذيته بالتأكيد سيفرجون عنه، بنان إياك والتخلي عنه فيوسف ما كان ليتخلى عنك أبداً.
بنان: ولا أنا، لن أتخلى عنه ولن أتركهم يؤذونه.
صرخت منتهى وهي تبكي: لماذا تفسرين كلامنا بطريقتك بنان إن تزوجت مهند سيقتله يوسف إياك والتضحية بسنين عمرك معه .. بنان إنه يوسف من عشقته منذ طفولتك، يوسف ذاك القلب الذي تختبئي فيه طوال حياتك
نظرت لها بنان ودمعها يسيل من عينيها هزت رأسها بتفهم
منتهى وهي تصرخ: لن تتركيه
بنان بالتأكيد: لا

منتهى: عديني بنان أنك لن تتخلي عن يوسف
بنان بوجوم: أعدك. ثم تركتهم ..
لم تكن منتهى تقوى على اللحاق بها، كان كل ما يحدث وكأنه حلم أو كابوس.
دخلت بنان غرفة والدها وأقفلت وأخذت تبكي بقوة وتصرخ من الألم، تعالى صوت رنين هاتفها، كانت رسالة من مهند: لا خيار ثالث أمامك نعم أو لا.؟
ترددت كثيراً، فكرت وفكرت مرت عليها تلك الدقائق وكأنها سنوات من الألم والوجع. اتخذت قرارها، كتبت الرد ودموعها تسيل بقوة ضغطت على زر الإرسال وهي ترجف وتبكي لم تكن تتخيل أبدا أنها ستكمل حياتها بدونه، بدون حنانه وقربه، لم تتخيل أبداً أنها ستأخذ قرار الفراق هي، أخذت تصرخ: سامحني يا يوسف سامحني، لقد قتلوا والدي ومن بعدي أنا لقد حرموني منك وأنت روحي التي أحيا بها، سامحني يا أغلى ما في حياتي، لقد كسروني بك أوجعوني بحبك، لقد أخذوا مني ما تبقى لي من الحياة، لقد دفنوا ابتسامتي يا يوسف.
تعالى صوت رنين هاتفها للمرة الثانية، كانت أيضا رسالة من مهند: يتم التنفيذ الآن، دقائق وسيأتي والدي لك لكي توقعي.
انزوت على نفسها وأخذت صورة والدها تحدثه وهي تبكي: أنظر ماذا فعل بي أخوك وابنه، أخذوا مني من أحب، حرموني حياتي و أوجعوا قلبي. انظر ماذا فعلوا بي من أنا منهم، انظر ماذا فعلوا بي من تركتني أمانة لديهم.
لو كنت هنا لما استقوى عليّ بهذه الطريقة، لو كنت هنا ما تجرأ أحد على تعذيبي هكذا، لو لم تقتل لما قتلت أنا الآن، لو لم تقتل لكنت عشت أنا. ليتك هنا.. ليتك تعود لتحميني، وصرخت بقوة أرجوك عُد لتحميني .. ليتك لم تمت .. ليتك بقربي .. ليتك هنا.

اختلف قاتلينا يا والدي في مذاهبهم واتفقوا في تدميرنا، لماذا تركتني وحدي في هذا العالم؟ تركتني عاجزة عن حمايتي من بطشهم. لماذا لم تأخذني معك تلك الرصاصة التي اخترقت صدرك يا والدي؟ ليتها استقرت في قلبي الذي ذبحوه اليوم .. لقد قتلوني يا والدي كما قتلوك بدم بارد..

سمعت صوت جرس الباب وقفت وهي تتحرك بالية تامة وكأنها جسد بلا روح، وذهبت لفتح الباب أخذت الورقة من عمها ووقعتها، نظر لها عمها بأسى، كان سيقول شيء ولكنه توقف، أخذ الورقة وخرج.

نزلت منتهى لِبنان، وعندما رأت عمها يخرج من عندها وهو يحمل ورقة في يديه شهقت بخوف وركضت مسرعة لبنان، وجدتها تجلس وهي تنظر للفراغ اقتربت منها منتهى.

منتهى بعدم تصديق: لم تستسلمي أليس كذلك؟

أنزلت بنان رأسها وعاودت البكاء.

رفعت منتهى رأس بنان وصرخت: تزوجته ؟ تركتي اخي؟

أشاحت بنان بوجهها فأخذت منتهى تهزها من كتفها وقالت وهي تصرخ: لقد أضعتِ يوسف يا بنان أضعته للأبد، لقد..

لم تتمالك بنان نفسها، دفنت رأسها في حضن منتهى وأخذت تبكي بقوه ضمتها منتهى وهي تبكي معها. عادت والدة بنان من الخارج والتي كانت تشتري بعض الأشياء لعقد بنان ولا تعلم أي شيء من الذي حدث، وجدت الفتاتين تبكيان بحرقة، هرعت لهما وهي تتسأل ماذا هناك؟ ولكن ما من إجابة ..

ظلتا صامتتين وهي تسألهما، فاتصلت بوالدة يوسف التي بدورها أخبرتها بما حدث، ظنت أنهما تبكيان من خوفهما على يوسف لم تكن تعلم أن بنان قد تزوجت مهند بناءً على أن وكيلها هو عمها، حاولت أن تطمئن بنان ولكن لا فائدة، فجأة سمع الجميع أصوات صراخ أسفل البناية، لقد عاد يوسف، لقد تركوه.

هرع الجميع إليه، كان مرمياً على الأرض وملابسه ملطخة بكثير من الدماء ساعده، والده ووالد خالد ووالد منتهى على الوقوف، خالد كان ينظر لهم و لا يستطيع الحراك بعد أن كسرت يده.

استطاع يوسف الوقوف بصعوبة ومشى وهو يترنح ويحاول الجري ويبعد أي أحد يحاول أن يمسك به. صعد وهو يترنح بقوة، سقط وعاود الوقوف و استمر بالصعود حتى وصل إلى بيت بنان، كان باب الشقة ما يزال مفتوحاً، والده ووالد منتهى ينظرون من الخارج بينما منتهى وبنان ينظرن من الداخل.

تقدم باتجاه بنان وصرخ: إنه يكذب أليس كذلك؟ الحقير ال... ابن عمك يكذب أليس كذلك؟!

لم تجبه بنان بل أنزلت رأسها فصرخ بها بعنف: أجيبيني، سأقتله اقسم بالله أني سأقتله إن كان ما أخبرني به حقيقة.

بكت بنان وهي تنظر ليوسف: لم أكن لأتحمل أن تصاب بأذى.

صرخ يوسف بصوت محروق: ليتهم قتلوني، بنان ليتهم أخذوا روحي، ليتهم سفكوا دمي .. ما معنى حياتي الآن؟

صرخت بنان: يكفي.

يوسف بصراخ: لا أصدق أنهم فرقوا بيننا، لقد هدموا كل شيء فوق رؤوسنا أحلامنا آمالنا، لقد أضاعوا كل شيء، لقد أخذوك مني وأخذوا معك كل شيء كل أحلامي كل قوتي .. بنان لقد قتلوني بك.

سمع الجميع وقتها صوتاً يخترق الجميع ويقف أمام يوسف.

مهند: فعلاً لقد أخذنا كل شيء ولا يحق لك التواجد هنا.

التفت إليه يوسف ونظر له بغضب تقدم نحوه بصعوبة بسبب الضرب الذي تعرض له وضربه على وجهه. نظر له منهد باستفزاز و أوقعه أرضاً وأخذ يضربه بقوة وعنف. تدخل الجميع للفض بينهما أخذوا يوسف وأخرجوه كان يقاومهم بضعف وقد بح صوته و يصرخ: لا تتركوها معه، لا تتركوا حبيبتي معه.

أدخلوه إلى منزله وأجلسوه، كان يوسف خائر القوى، لم يستطع خالد النظر له أو محادثته، صمت الجميع وبعد دقائق من الصمت تحدث والد منتهى بضرورة أخذ الجميع للمشفى، يوسف وعماد وخالد بدأوا بسندهم إلى السيارة، كان عماد يستطيع المشي بينما خالد ويوسف لا يستطيعون الحراك.

قررت الأمهات تجهيز ملابس لهم بعد إبلاغهن بأنهم سيبقون في المشفى لعدة أيام، كانت لمياء تمسك حقيبة تحتوي على ملابس خالد وقبل أن تركب السيارة مرت سيارة مسرعة صدمتها وهربت.

هرع الجميع لمساعدتها وتم إسعافها هي الأخرى لنفس المشفى، وصل الخبر لخالد و يوسف وعماد وأصر خالد على الانتظار أمام غرفتها بالرغم من الكسر المضاعف الذي أصيب به في يده اليمنى، نقلوه إلى صالة الانتظار أمام غرفة عمليتها.

المشفى غرفة يوسف

منتهى

بدأت أصابع يده بالارتخاء قليلاً، يبدو أن المهدئ قد بدأ مفعوله، مسحت برقة على شعره، أغمض عينيه وكأنه يريد أن ينسى كل ما حدث اليوم، رأيت دمعة يتيمة تتسلل من عينه، إلهي! يا يوسف ما فعلوا بنا؟! بدأت دموعي أنا بالتساقط لقد قتلوك اليوم، لقد سلبوك روحك، سرت في جسدي رعشه خوف قوية حينما تخيلت أنني قد أخسر خالد بنفس الطريقة، أن أستيقظ صباحا لأجد كل شيء قد انهار فوق رأسي .. انتظم نفسه، لقد نام إذاً، قبلت رأسه بخفه كي لا أيقظه وذهبت لوالدتي سماح استأذنها لأن أذهب لخالد و لمياء .. أجابتني بالموافقة ثم استوقفتني وقالت لي لقد نام يوسف، لا فائدة من بقائها هنا ستأتي معي.

خالد

شعرت بأحد يقترب من الكرسي الذي أجلس عليه لم أرفع رأسي شعرت بأنها هي دئما ما يغطيني طيفك يا منتهى.
منتهى: هل ما زلت تشعر بألم؟
خالد: ألم شديد.
منتهى: لقد قال الدكتور أنك أصبت بكسر مضاعف.
خالد: يوسف ولمياء، بالتأكيد سيكون مضاعف.
تنهدت منتهى: خالد سيكون كل شيء على ما يرام.
صرخت: ما الذي سيكون على ما يرام؟ هل ستعود بنان؟ هل سيغفر لي يوسف؟
منتهى: خالد على ماذا تلوم نفسك؟ لم يكن خطأك ليغفر لك .. لماذا تعيد هذا الطلب ؟
أخفضت رأسي، لن تفهمني لا أحد سيفهمني في هذه اللحظة، خرج الدكتور من غرفة العمليات أخبرنا أنهم قاموا بواجبهم وبعد 24 ساعه ستكون تعدت مرحلة الخطر.
أعادوني إلى غرفتي .. 24 ساعة سأبقى منتظراً أفكر ماذا صنعت بنا ؟
إلى أين وصلت بهم؟ وثقوا بي وأضعتهم. 24 ساعة سأتذكر فيها كثيراً ابتسامة أختي، ابتسامة يوسف التي أضعتها .. ليتهم أضاعوني أنا، ليتهم يقتلوني ويعتقوهم .. والأطفال الذين يقتلون كل يوم من لهم؟!
البؤس الذي يرسم ملامح البشر من له؟!
الأرض التي ترتوي بالدماء من لها ؟!

لن أخون وطني ولو دفعت الثمن كل ما هو غالٍ في حياتي. اغفر لي يا يوسف فقد يعرف الغفران طريق قلبك إن خنتك أنت، ولكن إن خنت وطني كيف سأغفر لي؟

بعد 24 ساعة

استيقظت لمياء، هناك بعض الرضوض في رأسها، أخرجوا يوسف وخالد من المشفى، ولكن خالداً رفض المغادرة وفضل البقاء بالقرب من لمياء، لم يكن قد التقى بيوسف بعد .. وكأن لا نية له بأن يلتقيه. منتهى قررت البقاء مع بنان في شقتها لتخفف عنها ما أصابها.

في العمارة

شقة بنان

منتهى

أمسح على شعر بنان التي تضع رأسها علي وأنا أتمنى لو أنني أستطيع محو ذكرياتها مع كل مسحة، دموعها لم تجف بعد، سأضل أحتضنها هكذا حتى تقوى على محاربة وجعها .. أي وجع أصابوك به يا رفيقتي؟! أي طريقة لا إنسانيه اختاروها لقتلك؟! جلست بنان ومسحت دموعها.

بنان: منتهى ما الذي حدث؟! مهند لم يطلبني من أبي أبدا ولم نكن على علاقة جيدة أساساً.

منتهى: لا أعلم، صدقيني لا أعلم.

بنان وقد عادت تبكي: لماذا؟! فقط أريد إجابة، ألا يحق لي أن أعلم؟! هذا المجتمع الذي يقتلنا كل يوم بعادته ألا يملك أي تبرير لفظاعة ما يفعله بنا؟! منتهى إلى متى سأضل أخسر هكذا؟! إلى متى ستوجعني الحياة بمن أحبهم؟! من قتل والدي؟! من أخذني بعيدا عن يوسف؟! هل يتألمون مثلي؟! هل سينتقم لي الله منهم ؟! لماذا علينا أن نعيش في عالم مليءٍ بالوحوش؟! إما أن نكون منهم أو يدمروننا!! ألم نتعلم من أفلام الكرتون ونحن أطفال أن الخير دوماً ينتصر؟! لماذا نخسر دوماً؟ لماذا لا يختارون إلا أكثر ما يكسرنا ليوجعونا به؟! منتهى ماذا تبقي لي ؟ يا ليت رصاصتك يا والدي اخترقت صدري.. ليتني أنا التي مُتُّ..

ضممتها مرة أخرى: لو كانت الحياة تمتلك تبريراً لما تألم أحد .. هذا العالم ظالم يا بنان ظلمنا وسيستمر بظلمنا إلى أن نموت أو نتوقف عن مواجهته ونخضع.

ابتعدت بنان: لا .. ليس بعد الآن .. من الآن سنواجه هذا العالم بطريقته منتهى
رأيت في عينها نظرة لم أرها من قبل، وكأن بنان جديده ولدت.
وقبل أن أجيبها رن هاتفي، كانت والدتي سماح تشكي من يوسف منذ يومين يحبس نفسه في الشقة المهجورة في الدور الثالث ويرفض الأكل أو فتح الباب لأحد. أخبرتها أن لا تقلق، فلدي مفتاح احتياطي لهذه الشقة، سأذهب له الآن، أخذت المفتاح وصعدت له فتحت الباب بهدوء، كانت الشقة مظلمة إلا غرفة واحدة ينبعث منها نور خافت، وقفت على بابها رأيت يوسف فيها كان يعطي الباب ظهره ومستغرق في الرسم كان يضغط على الفرشاة بقوة و يملؤها بالألوان بعصبية ويرسم وكأنه يروح عن نفسه بالرسم تلفت حولي ووجدت ثلاث لوحات جدد
أيعقل أن يوسف رسم ثلاث لوحات في يومين؟
اقتربت منه وربت بيدي على كتفه، رمى الفرشاة وصحن الألوان إلى الأرض وتنهد بعمق قائلاً: منتهى أنا خسرت كل شيء.
انحنيت واخذت فرشاته وألوانه: أنت ما زلت تملك الكثير يا يوسف، ما زلت تملك حياتك وأحلامك وطموحاتك، يوسف أنظر لعبقريتك في الرسم، أنت ما زلت تملك فنك وهدفك ورسالتك في هذه الأرض.
يوسف: لماذا كان عليهم أن يختاروها هي لأعاقب بها؟!
منتهى: لأنها أحلى ما في حياتك .. هل تريدهم أن يعاقبوك بشيء تكرهه مثلاً؟!
يوسف: يعاقبوني بي أنا، هلا تركوا من نحبهم خارج بنود هذه الصفقة
منتهى: يوسف طريق الحزن لا نهاية له ولكن له مسلكان إما أن تقرر أن تحول حزنك ووجعك من طاقه تخنقك إلى طاقة تغير بها هذا العالم وتنقذ سكان هذه البلد العالقين في مستنقع الفساد والضياع أو تجعله طاقة تخنقك وتخنق معك

حلمك وهدفك. وقبل أن تقرر، تذكر عندما أوجعك أي الطريقين أرادوا لك وانظر هل ستحقق لهم ما أرادوا أم لا ؟ وتذكر أنك الآن حر لم يعد لديك من تخاف خسرانه.

ووضعت الفرشاة وصحن الألوان في يده وتركته وخرجت وأنا ادعو الله أن يختار القرار الصائب .

يوسف

كم هو مؤلم أن يكون كلام منتهى هو الحقيقة الوحيدة .. لا أمل لي بالنجاة من بئر الحزن الذي رميت به، ولكن مازال أمامي حلم سأتناسى به كل أعاصير الخيبات.

تناولت هاتفي واتصلت بخالد يجب أن نكمل مشوارنا وبعد أن خسرت كل شيء أصبحت أكثر قوة من أي وقت مضى .. ذهبت إلى المشفى، كان خالد يقيم فيه ليبقى بجانب لمياء، لم نكن قد التقينا أنا وخالد منذ الحادثة وصلت وسألت الممرضة عن رقم غرفتها.

وأنا أمشي اصطدمت بشخص، رفعت رأسي وتمتمت بصوت خافت: اعتذر. ومشيت خطوتين قبل أن أتوقف لأحاول التذكر أين رأيت هذا الرجل من قبل، يبدوا مألوفاً لي بطريقة غريبة، وبعد دقيقة من التذكر صرخت إنه صديق ذاك الحقير مهند ما الذي يفعله هنا جريت خلفه بسرعة لأرى إلى أين سيذهب، ولكنه كان قد اختفى عن الأنظار فعدت أدراجي.

كنت أجلس على الأرض منهك القوى أشعر بأني لن أستطيع الوقوف أبدا لا أقوى على طلب المساعدة من أحد .. لن تضل هكذا كثيراً سيأتي صديق ذات يوم ليسندك، كنت أردد هذه العبارة دائما وشعور بالذنب يخنقني أكبر أكاذيب الوجع هي الخيانة المشروعة ارحموا الخائنين فجحيم الذنب يفتك بضمائرهم وإن كابروا ..
كنت مستغرقاً في أفكاري عندما شعرت بيدٍ تمتد لي لأقف كان يوسف يقف أمامي ويمد يده لي أمسكت بيده ووقفت وضممته بقوه وأنا أربت على كتفه أي الكلمات ستعوضك خسارتك يا صديقي ولكني أعدك بأن أحميك بروحي وأن أعوضك أكبر خسائرك وأن أبكيهم دم أولئك الذين كسروا قلبك.
ابتعدت عنه قليلا ..
يوسف: يجب أن نكمل مشورانا.
خالد بتوتر: يوسف الملفات بالكامل يجب أن تغادر صنعاء والليلة
يوسف باندهاش: لماذا؟
خالد وهو يحاول انتقاء جملة: أشعر بخطر، أنا لا أستطيع السفر الآن بسبب كسر يدي وأن سافر أي منا غيرك سيلفت الأنظار أما أنت فلديك دعوه إلى ماليزيا للمشاركة في مسابقة الرسم تستطيع أخذها والمغادرة بها وإعلانها من هناك
يوسف: لكن ماذا عنكم؟ ستتعرضون للخطر.
خالد: أنا ومنتهى سنكتب عقدنا اليوم و سآخذها إلى تعز وطارق وعمار إلى عدن ومن بعدها سنبحث عن طريقة للخروج واللحاق بك.
يوسف:خالد أنا لا أفهم لماذا كل هذا الخوف؟ لم نكشف بعد.

"قاربوا على اكتشافكم"
قطع عليهم صوت قائل هذه الجملة مما أخافهم ولكنها كانت بنان.
التفتا إليها وهما يشعران بصدمة أدارت وجهها عن يوسف وتحدثت مع خالد
بنان: أنا لن أخون موطني أبدا .. قد نسلك طريق الخيانة أحيانا كي نحافظ على ما تبقى من الخير .. ويجوز أن تخان الخيانة .. سأراقب كل تحركات مهند وسأخبركم أخبار قادتهم أولاً بأول وسأمدكم بأي معلومة من شأنها أن تضيف إلى رصيدكم

يوسف

مع كل كلمة كانت تنطقها كنت أشعر بألم .. تعمدت استخدام صيغة أنتم وبطريقة ضمنية أخبرتني أنها لم تعد منا، قالت أنها لا تستطيع خيانة موطني وليس أنا .. لأنها خانتني، أن تضحي بمن يحبك بحجة الحفاظ عليه هذا أقبح أوجه الخيانة، عذر يستعملونه من يريدون أن يصبحوا الضحية بدلاً عن الجلاد .. ولكنها ضحية وأنا كذلك ضحية وجلادنا حر طليق ككل جلادي الوطن العربي.
اتفقنا أن يتم عقد خالد اليوم بعد العصر، وأن أسافر أنا في نفس الليلة، وكانت رحلتي بعد منتصف اليل.

الساعة الثانية صباحاً 27 3 2015

يوسف

النيران تلفني من كل مكان، أصوات قوية تهز المطار غبار وبارود وأصوات صراخ ولا أعلم ما الذي يحدث.

منتهى

ضوء الشمس يشق طريقه وسط الظلام ثم يختفي ليعاود الظلام مع صوت برق يصم الآذان لا يعلوا عليه إلا أصوات الصراخ والفزع هل ستنتهي هنا؟ هل سيستطيع يوسف المغادرة؟ هل هو بأمان؟

خالد

لم أعد قادراً على التفكير من أين يأتي كل هذا الهجوم هل هو من الجنوب؟
هل تدخلت قوات درع الجزيرة؟
قبل عشر ساعات

أن تقرر أن توهب حياتك لوطن تعيس يعني أن تعيش فرحك فرحة مكسورة.. يتم الآن عقد قراني على خالد وقلب يوسف شهيد كما استشهد نصر وروح بنان مغدورة كما غدر أباها وفي عيوننا ابتسامة مكسورة وعلى شفتينا دموع برائحة الابتسامة. إلهي! كم نشبه أرضنا .. ضمتني والدتني كثيرا وهي تبارك لي وتعالت أصوات الزغاريد والموسيقى، غمرني شعور رائع وجدت دموعي تشق طريقها ضمتني بنان كثيراً وهي تبكي وتبتسم وأنا أبكي وأبتسم ألا يحق لنا يا رفيقة حياتي أن نبتسم بلا دموع؟! وجدت جميع النساء يتأهبن لدخول خالد ويوسف ووالدي. انتابني شعور بالخجل وكأني لأول مرة أرى خالد، خوف وارتباك لم أستطع السيطرة على رجفت يديّ أمسك بيدي والدي وقبلها ثم قبل رأسي أما يوسف فسحبني له بقوة وضمني وقبل رأسي وهو يهمس لي ترافقك السعادة دئما يا أحلا من حمل دمي.

تقدم مني خالد و أهداني باقة ورد جوري أخذها يوسف وهو يحاول أن يخفف من حدة ارتباكي. يوسف بشقاوة: أو خالد شكرا هدية رائعة كنت أعلم أنك تحبني هكذا

خالد بعصبية وارتباك: يوسف أعطني الباقة.

مدها له وكلما أراد خالد أن يأخذها سحبها يوسف حتى ضحك جميع الحاضرين.

أهداني إياها يوسف وأخذتها وأنا ابتسم ثم نظر لخالد وتحدث بجدية

يوسف: أعطيتك اليوم نظر عيني ونبض قلبي خبئها بين جفونك، هذه أمانة يا خالد

تبسم خالد: وعظمة من نفخ فيني الروح وأحياني سوف أحافظ عليها لآخر لحظة في حياتي. ضمه يوسف بقوة وبعدها نظر لي ووضع يدي في يد خالد وابتعد قليلا. شعرت برجفه فجائية جراء لمسته و تسارعت نبضات قلبي احمر وجهي وشعرت بصعوبة في التنفس أمسك خالد بيدي وقبلها ثم أبعد دبلتي من يدي اليمنى ونقلها إلى اليسرى وضم يديّ الاثنتين بين يديه.

خالد: أعدك أن أحميك بروحي وأن أحبك حد الثمالة أن تكوني إيماني الوحيد في الحب وما سواك كفر، وأن تكوني ملاذي في الوجع وضحكتي في الفرح وأن يكون حضني هو بيتك وعشقي هو زادك وأن لا اسكن إلا في وطن عينيكِ أعدك أن أهواك إلى ما بعد المنتهى.

قبل رأسي بعدها وضمني، لم أكن أعلم أن الأمان يولد كل هذه الرجفة، لم أكن أعلم أن أجمل لغات الحب هي الدموع، وأن اندماج الأرواح يولد كل هذه الطاقة .. أؤمن أن الحب هو الشي الوحيد الذي نزل من الجنة عندما أنزل الله أبونا آدم لم ينزل معه ذهب أو أموال أو قوى خارقة، لم يترك له من رائحة الجنة سوى أمنا حواء لأنه يعلم أنه بالحب وحده نستطيع الاستمرار، الحب هو الضوء الذي سيهدينا عندما نضيع وهو الجدار الذي سيسندنا عندما ننكسر، هو الاستمرار عندما توقفنا الحياة، وهو النجاة وسط إعصار الكراهية والطائفية، هو الخيط الأبيض في كنزات الظلام الذي نرتديها، وهو ما تبقى لنا من أمل لنفتح أعيننا كل صباح وسط كل هذا الدمار .. ويبقى الحب أجمل النعم ..

أكملنا مراسيم الاحتفال وانصرف الجميع ولم يتبق سواي أنا وخالد ويوسف، كنا في شقة عمي، وقفنا على الباب لنودع يوسف وأنا اشعر بألم بالغ وبقلق حاد ولا أعلم لماذا..

همست ليوسف وأنا أضمه: انتبه لنفسك، بعد أن تعلن كل شيء قدم لجوء مباشرة و اختبئ حتى تتأكد أنك بمأمن، أرجوك يوسف أرجوك كن بخير.
مسح على شعري: سأكون بخير أعدك، أنتِ أيضاً كوني بخير وانتبهي لصديقي كثيراً.
ابتسمت له والدمع يترقرق من عيني.
تقدم ناحية خالد وضمه كثيراً وقال له: أنا أثق بأنك ستجعلهم بأمان و سيكونون بخير بحمايتك .. ولكن أقسم عليك بمن خلقني وخلقك وغلاة أهم لحظاتنا أن تكون أنت بخير.
ربت خالد على كتف يوسف، أخذ يوسف أشيائه وذهب للمطار، لم يوصله خالد كي لا يلفتا الأنظار، و ما إن خرج يوسف حتى تنهدت بقوة ربت خالد على كتفي قائلاً: سيكون كل شيء على ما يرام صدقيني.

الساعة 1 صباحاً من نفس اليوم
عاجل: انطلاق عملية عاصفة الحزم

منتهى

الساعة الآن الواحدة ليلاً، لم أستطع النوم، أشعر بقلق بالغ أتمنى أن يستطيع يوسف مغادرة اليمن بسلام، من الغد سيتغير كل شيء من حولنا .. أعلم بأننا لن نبقى في أرضنا كثيراً بعد أن يعلن يوسف عن الوثائق التي معه، قطع عليّ استرسالي في التفكير ضوءٌ قويٌّ أضاء السماء ظننته برقاً، فصنعاء تغرق في الأمطار منذ يومين ولكن هذا الضوء أحمر صارخ أشرق كشمس واختفى و أعقبه دوي انفجار هز أنحاء المنزل، أيعقل أن يكون هذا الدوي صوت رعد؟! بلا وعي توجهت إلى نافذة غرفتي وأنا أشعر بتوجس غريب، كان عقلي يترجم أن ما حدث للتو ما هو إلا قصفاً، ولكني لا أصدق، لا يعقل من سيقصفنا الآن؟! لقد انتقلت الحرب للجنوب، وقفت أمام النافذة ورأيت ذلك الضوء مرة أخرى، ومن بعدها سمعت دوي الانفجار، لقد تأكدت الآن أن ما يحدث هو قصف، لقد سمعت أصوات صراخ الأطفال ارتديت حجابي وهرعت مسرعة إلى السلالم وجدت أبي في صالة المنزل سألته بكل خوف: ما الذي يحدث؟
أجابني بأنه لا يعلم وخرجنا، لم تكن هذه المرة الأولى التي نتعرض فيها لهذا الموقف، ففي بلد تحتفل كل عام بحرب من الطبيعي أن يحفظ سكانها إرشادات السلامة قبل أناشيد الحب، وأول إرشادات السلامة أن لا نتواجد في الأدوار المرتفعة، نزل جميع أهل البناية إلى الطابق الأرضي وجلسنا على الأرض، لم يكن

لدينا إلا ضوء بسيط ينبعث من كشاف يدوي في ضل انقطاع الكهرباء، الرهبة والفزع على وجهه الجميع ولا أحد يعلم ما الذي يحدث.
تحدثت بنبرة أقرب للهدوء وأنا أحاول أن أتمالك نفسي: ماذا عن يوسف؟
أجابني خالد بنفس النبرة: لا يجيب.
بعدها بثواني تحدث عماد: عملية اسمها عاصفة الحزم تشارك بها 11 دولة لإعادة الحكومة الشرعية بطلب من الرئيس.
خالد بانتباه: هل انت واثق
عماد: هذا ما تتناقله وسائل الإعلام الآن. وأكمل: يتحدثون عن تدمير ثلاثة من المعسكرات. وسكت قليلاً وأكمل باختناق: والمطار.
وقف خالد كالملسوع وصرخ: ماذا تعني؟ هل قصف المطار؟
أخذ هاتفه وحاول مرارا وتكرارا الاتصال بيوسف ولا إجابة، صعد السلالم بسرعة فائقة تبعته منتهى، رأته يدخل شقتهم ويأخذ مفاتيح سيارته، أوقفته
منتهى: إلى أين؟
خالد: ليوسف يا منتهى.
منتهى بخوف واضح: خالد لا يمكنك الخروج الآن ستقتل.
خالد: الذي لا يمكنني فعلاً هو أن اترك يوسف، أنا سأقتل حقا لو تخليت عن صديقي.
أعلنت دموع منتهى الإنذار وتساقطت بهدوء، كانت تفقد حتى القدرة على الانهيار أو الصراخ وكأنها تجمدت وأصبحت امرأة من جليد، قبلها خالد على رأسها وهمس: سأعود، أعدك بذلك، ثم تركها وذهب.

يوسف

إنها الجحيم، المطار يحترق، رائحة الدخان والنار حولي من كل مكان. الجميع يهرب، أخذت شنطتي التي تحتوي على أهم الوثائق، وهرعت إلى ساحة المطار الخارجية، وجدت أمامي رجلاً يفتح سيارته فذهبت إليه متوسلاً أن يأخذني معه. وافق فركبت معه، وما أن أدار محرك السيارة حتى سمعنا صوت انفجار قوي حرك السيارة حتى كادت تنقلب. فزع الرجل لدقائق ثم أدار السيارة و انطلقنا بسرعة كبيرة و نحن نرى الضوء الأحمر يشرق فجأة ليتبعه دوي انفجار يهز السماء والأرض، ابتعدنا عن المطار أخذت هاتفي وقمت بتشغيله و اتصلت بخالد الذي أخبرني أنه اصبح بالقرب من المطار فطلبت من الرجل التوقف ونزلت انتظر خالد

منتهى

لقد مرت ثلاث ساعات بالفعل ولا أثر لهما، كنت أجلس في الزاوية أضع رأسي بين أرجلي وأبكي بصمت، لم أعد احتمل المزيد، أقسم أنني لم أعد أحتمل .. شعرت فجأة بشخص يحتضنني، كان والدي همس لي: سيكونان بخير. انفجرت بالبكاء وقلت: خسرت نصر وقبله والدتي، أشعر أن الخسارة ترافقني. لقد ولدت مع الوجع، أصبحت أخشى أن أحب أحداً كي لا تصيبهُ لعنة حبي.
قاطعني والدي: كنتِ النور الذي أتت به الحياة لي .. ألا تري أنك أهم ما في حياة كل من هم حولك؟ ثم مسح دموعي بصمت وعاد ليضمني..

خالد

بعد أن اتصل بي يوسف ذهبت لأحضره من حيث وصف لي، وما إن صعد معي حتى ضُربت قاعدة الديلمي الجوية القريبة من المطار والتي كنا نقف أمامها مباشرة مما أدى إلى انقلاب السيارة بسبب الضغط، خرجنا منها ونحن نشعر برعب وهلع شديد ولم نعلم ما نفعل أو إلى أين نذهب. دخلنا إلى حارة صغيرة وقف على إحدى بنايتها رب أسرة يتفقد اتجاه القصف، وما إن رآنا حتى دعانا للاحتماء في منزله إلى صباح اليوم الثاني وبعد أن دخلنا وارتحنا قليلا صرخ يوسف: الشنطة ونهض مسرعاً.

وقفت معه وأنا أشعر بهلع: أين نسيتها؟

يوسف: في سيارتك أنا لم... قاطعته على عجلة وقد اتخذت قراري: سأذهب لإحضارها.

يوسف وهو يحاول منعي: سنذهب بعد أن يهدأ القصف أو على الأقل تشرق الشمس.

أجبته بعناد: لن أنتظر ولو مت لأجلها، أنا لن أخسر كل شيء.

تنهد بعمق وأجاب: ستبقى عنيداً .. سأذهب معك.

حاولت منعه ولكنه أجاب على الفور: لن تذهب وحدك، إما معك وإما لن تذهب ابتسمت بالرغم أن الوقت ليس وقت ابتسامة ولكنه يصفني بالعنيد في حين أنه أعند مني .. لم يستطع الرجل الطيب الذي استضافنا أن يمنعنا من الخروج ولكنه أعطانا كشافاً يدوياً ونصحنا بعدم استعماله إلا للضرورة كي لا نلفت الأنظار.

خرجنا برعب وذهبنا إلى حيث انقلبت السيارة، كانت ما تزال منقلبه أخذت حجراً وكسرت زجاجها الخلفي، زحف يوسف إلى داخلها وأخرج الشنطة، كان هاتفينا قد دمرا بالكامل، ولكن لحسن الحظ أن قرص الفلاش الذي يحتوي على الوثائق المهمة لا يزال بخير. لم يكن لدينا أي نسخه منه وهذا لسريته بالطبع ولأن حمل وثائق كهذه يعني حمل قنبلة مؤقتة .. جلس يوسف على الأرض مستنتداً على السيارة بعد أن انقطع نفسه وهو يحاول جاهداً الوصول إلى الفلاش، رأيت من خلفه ذلك الضوء الأحمر، سحبته من يده بسرعة واحتمينا خلف جدار قريب وسمعنا بعدها دوي انفجار قوي اهتزت له الأرض من تحتنا، جلسنا بعدها الاثنين على الأرض نشعر بإرهاق شديد وبخوف يسيطر علينا، مضت ساعة أخرى ونحن على نفس وضعنا وأشرقت بعدها الشمس وتوقف القصف تماما وكأن شيئاً لم يكن .. مشينا كثيراً، لم يكن هناك وسائل مواصلات ولا نملك أساساً نقوداً للدفع فضللنا نمشي لساعة كاملة حتى وصلنا إلى بنايتنا.

بعد يومين

منتهى

مرت يومان منذ انطلاق العملية التي أطلق عليها اسم عاصفة الحزم .. توقفت الحياة في المدارس والجامعات والشركات، كل شيء أغلق أبوابه حتى موطني أقفلت ولكننا سنجتمع اليوم في منزل يوسف لنناقش خطتنا الجديدة فالأوضاع الأخيرة دمرت كل ما خططنا له وقصف المطار أعاق يوسف أو أي أحد منا من المغادرة وهذا الأمر زاد من توتر خالد ولا أعلم لماذا.

منزل يوسف

طارق: هناك طريقة واحدة لمغادرة البلاد وهي الحدود

خالد برفض :لا

عمار: ولكنها الطريقة الوحيدة

خالد بعصبية: والأخطر أننا لن نصل إلى الحدود، سنستوقف قبلها

عمار: ولماذا سيوقفوننا؟ خالد هم لم يكتشفونا بعد.

قاطعهم طارق: ولكن ألا تعتقدون أن الأوضاع الحالية بحاجة إلى عملنا أكثر من أي وقت آخر؟

نظر له يوسف باستفهام: ماذا تقصد؟

طارق: أقصد أننا الآن أمام حرب قذرة، أجزم أن خلف كواليسها الكثير لنكتشفه

خالد برفض: سنقتل.
عمار: نحن في كل الأحوال عالقون هنا .. إما أن نحاول أو أن نخسر كل شيء.
تنهد خالد وشعر أنهم على حق، في كل الأحوال لن يستطيعوا المغادرة الآن
خالد: حسناً ولكن يجب أن نأخذ حذرنا.

دخل خالد إلى منزله ورى العائلة كلها تجلس وأمه تضع يدها على رأسها وتبكي، ترك مفاتيحه وأسرع لها، جثى أمامها وهو يمسك يدها.
خالد: ماذا هناك؟ نظرت له والدته وزادت في بكائها.
صرخ في اخوته بخوف: ما الذي حدث؟
تحدثت لمياء ودموعها تغرق وجهها: عادل لقد... نهض خالد برعب: ماذا حدث؟
تحدث محمد بسخرية وشماتة: لقد ذهب لمقبرته بيده.
امسكه خالد من ياقة قميصه: ماذا تقصد؟
أبعد محمد خالد و تحدث: لقد ترك رساله قال فيها أنه ذهب لقتال الجماعات المتطرفة في الجنوب.
جلس خالد: ذهب ليقاتل أبناء وطنه؟! جيرانه وإخوانه وأبناء عمه!
ذهب ليرفع سلاحه في وجه سنده ويريق الدماء على الأرض الذي نبت منها؟!
محمد نبرة استهزاء: هو اختار طريق الهلاك إلى جهنم وبئس المصير.
وقف خالد وضربه على وجهه: الجحيم هي الفتنة التي أعمت أعينكم .. جهنم هي الجهل الذي قررتم تغطية عقولكم به .. جهنم هي قلوبكم التي أصبحت أقسى من الصخور.. نظر له بأسى وتركهم وقبل أن يغادر أخبرهم بأنه سيعلم كيف يعيده.

كان يوسف يضع رأسه في حضن والدته وهي تمسح على شعره. تنهد يوسف بحرقة.

والدته: منذ صغرك عندما تهزمك الحياة تجري إلى صدري وتحتمي به ولكنك الان لم تعد تبكي، على الأقل ليس أمامي.

يوسف بابتسامة قهر: عندما كنت طفلاً كانت دموعي تعيد لي ما أضعته .. لو ما زال لها نفس المفعول فسأبكي هذه المرة بعدد رصاصات الحرب لتعود لي التي خسرتها.

والدته: بعض الوجع لا يواجه، يُنسى فقط .. تعود فقط على أنها الآن أصبحت لرجل آخر.

يوسف: لم أكن أتحدث عن خسارتي لِبنان، بل عن خسارتي لبلادي .. و نحن التعساء الذين يعشقون وطن يغرق بالدماء.

تبسمت والدته فهي تعلم أن ابنها مراوغ جيد: ولكنك لم تخسرها، بلادك لن تتخلى عنك أبداً، ستخسرها عندما تخذلها .. واسمع مني يا يوسف، من يخسر بلاده يفقد قيمته. أمسكت والدته بيديه وقبلتهما: سحر رسمك هي هبة من الله ليديك لتخبر بلادك أنك معها لتنتقم بها من كل من ظلمك لتعيش خيال السعادة التي حرمتك منها الحياة.

قبل يد والدته ثم قال: رائحتك يا أمي هي مسكن آلامي وقبلتك هي القوة التي سأكمل بها

تركت بنان هاتف مهند برعب بعد أن نسخت منه كثير من الأرقام و الصور والمعلومات، تنهدت وهي تفكر ماذا لو علم بالذي تفعله، لن يكفيه قتلها، قطع عليها تفكيرها صوته. مهند: بنان

بنان بفزع: أخفتني.

مهند بابتسامة واسعة: لماذا؟

تصنعت الابتسامة: لا شيء، هل أعجبك الأكل ؟

تبسم وأجاب: بالتأكيد .. سأذهب الآن هل تريدين شيء؟

عادت لتتصنع الابتسامة: لا.

جلست بعد أن خرج ووضعت رأسها بين كفيها وهي تتنهد، سمعت صوت والدتها: أنا لست راضية على الذي تقومين به .. الأخطاء لا تصحح بأخطاء

بنان: والبادئ أظلم.

والدة بنان: لا تكوني جبانة، إما أن توقفيه عند حده وإما أن تستسلمي، لكن بالأسلوب الماكر هذا أنتِ تخسرين مبادئك.

بنان ضحكت بحسرة: أواجه؟ أنا في أول مواجهة معه خسرت أهم ما في حياتي .. هذا العالم غابة والبقاء فيه للأقوى، وهو أقوى مني بكثير ولكني ما زلت أملك كذباتي لأنتقم منه.

والدة بنان: حسناً إذاً، أنتِ تنتقمين منه، لا تفي لمبادئك، ضعي الأمور في نصبها الصحيح كي لا تعيشي تخدعين نفسك. اسمعي مني يا بنان، اكذبي على العالم كله و لكن لا تكذبي على نفسك.

بنان: نعم أنا أكذب .. أنا أنتقم من مهند، أنتقم لي وليوسف. وتركت والدتها..

بعد مرور ثلاثة أسابيع

منتهى

تزداد الأوضاع صعوبة، توقفت الحياة بشكل كامل. انقطعت المشتقات النفطية تماما إلا من السوق السوداء، وبارتفاع 500٪. انقطع التيار الكهربائي تماماً وبسبب انقطاع المشتقات النفطية لم تتوفر بدائل .. لم يتوقف القصف وعمت الحرب كل محافظات اليمن. تردى الاقتصاد إلى أضعف حالاته، انعدمت أهم الأدوية، باختصار لقد بدأت اليمن تنهار ببطء .. في هذه الأسابيع اكتشف الشباب ما أسموه صفقة العمر، أخبرني يوسف أنه اكتشف أن القدر من أوقفه تلك الليلة ليعود ويكمل مشواره لأن كل ما وصلوا له في الشهور الماضية يوازي في أهميته ما توصلوا له في هذه الأسابيع، أخبرني أنه تأكد الآن أن مستقبل هذه البلاد مرهون بنا. قرروا مغادرة اليمن بأي طريقة .. أعتقد أن ما توصلوا له قادر على إيقاف هذا النزيف وهذه الحرب التي تثبت كل يوم أنها بلا نهاية.

أغلق خالد هاتفه بعصبية بعد أن وجد هاتف محمد اخاه مقفلاً وصرخ بأخيه أيمن قائلاً: كيف تركته يذهب؟

أيمن: أقسم أنني لم أكن أعلم.

خالد بصراخ: أخذ معه حقيبة ملابسه وكل ما يخصه، هل توقعت أنه سيذهب للتنزه مثلا!؟

أخفض أيمن رأسه في حزن.

ضرب خالد بيده الجدار: أقسم أنني سأقتلهما الاثنين .. سأعيد تربيتهما عندما يعودان، سيتركان هذه الأرض، لا يستحقان البقاء هنا.

تحدثت والدته بدموع: أعِدهما واصنع بهما ما شئت.

تنهد خالد: إلى أي جهة ذهب محمد؟ إلى أي بقاع الوطن ذهب عادل؟ كيف سأعلم؟ كيف سأجدهما؟ .. تركهم وخرج وهو يشعر أن الأرض تضيق به.

أكمل يوسف اللمسات الأخيرة للوحته، في هذه الأسابيع رسم الكثير من الرسمات، لون الورد ولون الدم، لحن الحزن وصدى الأمل، لقد رسم في أسابيع بمهارة لم يرسم بها طيلة حياته على ضوء الشموع وتحت أصوات المدافع ولكنه أكمل 9 لوحات فعلا
:رائعة

تلفت ليجد والدته تنظر للوحته.

تبسم ثم قال: لا أعلم ما الذي يحدث، أشعر وكأن يد أخرى ترسم.

والدته: لأن روحك هي التي ترسم.

تنهد يوسف: في ظروف أخرى لابد أنني كنت سأفخر بهذه الموهبة.

والدته: إذا كنت تعتقد أن الظروف ستكون ملائمة في يوم من الأيام فأنت مخطئ، هذه قوانين الحياة تأخذ وتعطي.
يوسف: لو كان لي حق الاختيار لاخترت أن تأخذ الرسم وتترك لي بنان.
والدته: لأنك لا تعلم كم تحتاج بلادك فنك.
تبسم يوسف: ربما.
احتضنته والدته بحب: سأبقى اسندك دائما يا يوسف حتى تنسى، و حتى يشفى جرحك.

كانت بنان تمشي بهدوء كي لا تصدر أي صوت، تسللت لغرفة مهند لتبحث عن أي شيء قد يفيد خالد وبدأت بالبحث ولكنها سمعت صوت خلفها فانتفضت بخوف ووضعت يدها على صدرها.
مهند بابتسامة: ماذا تفعلين هنا؟
بنان : أردت أن أكتشفك أكثر، أن أرى زوجي كيف يفكر وبماذا يهتم
مهند وهو بنفس الابتسامة: حسنا إذا ابحثي براحتك.
تلفتت وهي تحاول التظاهر بأنها تكتشفه ولكنها استغربت وجود كاميرا رقمية
بنان: هل هي لك؟!
حك شعره بإحراج: إنه حلم قديم، أن أصبح مصوراً.
بنان باستغراب: لماذا قديم ؟
مهند بتنهد: لا أعتقد أن حياتي الآن تسمح لي بمهنة مسالمة كهذه.
بنان: كن ما تريد هذه الحياة قصيرة.

مهند: أشعر أحيانا بأني أغبطك .. لقد دخلتِ أكثر المهن إنسانية في العالم، أشعر أن قوتك تأتي منها.

نظرت له بنان بصدمة، لم تكن تتوقع أبداً أن مهند يفكر هكذا، تلفتت لتخفي صدمتها رأت مكتبته تحركت لها كالمسحورة علم اقتصاد كتب باللغة الإنجليزية، وروايات و الكثير من كتب إدارة الأعمال، بدأت تقلبها بصدمة، نظرت له باندهاش : هل هذه أيضا لك ؟

تبسم: كتب جامعتي إنها من الزمن القديم

بنان: ماذا درست انت ؟

مهند: إدارة اعمال.

تبسمت بصدمه قوية: أنا لا أصدق.

مهند بضحكة: أعلم .. بنان أعلم أنك لم تري مني إلا جانبي البشع، وكي لا أكذب لم يتبقى إلا هو، كل ما ترينه هو أطياف شخص كان يؤمن بأحلامه فعلمته الحياة أن السبيل الوحيد لتحقيقها أن يخسرها.

بنان بقوة: لأنك جبان، هناك ألف طريقة لتكن ما تريد ولكنك اخترت الانضمام لجماعه مسلحة تحرك حياتك كلعبة شطرنج.

قهقه مهند: ستكبرين وتعلمين أنك في بلد لا نجاة من الضياع فيه إلا بالاندفاع له.

بنان: إلى متى ستحاول تبرير فشلك؟

مهند بعصبيه بسيطة: ماذا تعلمين عني لتقرري أنني أبرر فشلي؟ اسمعي بنان بعد أن تري فاشل يستحوذ على المنحة التي أنتِ أحق بها لأنه يملك وساطة وتري جاهل يشغل الوظيفة التي أنتِ أحق بها لأنه أيضا يملك وساطة، وتري كل شيء في حياتك يضيع لأن لا وساطة لك تسندك، ستتحالفين مع الشيطان نفسه.

بنان: والدي لم يكن ليرضخ أبداً، واجه كل شيء من ترغيب وترهيب ولم ينتمِ إلا لمبادئه.

تنهد مهند: والدك كان عظيم، كان قدوة .. أنا لست هو، وليتني أستطيع أن أكون هو.. نظرت له بنان بقوة: إذا كنت تحترمه هكذا لماذا إذا سببت لي كل هذا الأذى؟ تجاهل سؤالها.

مهند بحماس: لدي شيء أعتقد بأنه يهمك.

بنان بتعجب: يهمني أنا ؟

أخرج مهند من خزانته صندوق كبير وفتحه وأخرج منه كيس وأخرج من داخل الكيس قميص أبيض كتب عليه اسم والدها، إنه القميص الذي استشهد به.

احتضنته بنان بشغف وقاومت دموعها قائلة: لم أكن أعلم أنك تملكه.

مهند: لا أحد يعلم هذا.

بنان بحنين: أشتاق له كثيرا .. الذي قتله قتلني معه.

تردد مهند كثيراً ولكنه ربت على كتفها، استنشقت هواء ومسحت وجهها كي لا تنزل دموعها وتركته وغادرت، لم يتبعها أو يوقفها، و اكتفى فقط بالوقوف.

20 أبريل

استيقظت منتهى فجراً وهي تسمع أصوات يوسف وخالد في سلالم البناية، لقد عادو إذاً بعد أن قضوا يوماً كاملاً في محطة الوقود لتعبئة سيارتهم، خرجت لهم وهي تضحك.

منتهى: الحمد الله على السلامة، هل أحضرتم ولي العهد السيد وقود؟

يوسف بإحباط طفولي: بعد يوم كامل في المحطة .. لا ..

ضحك خالد والإرهاق يظهر في ملامحهم: ولكن لا تنكر لقد كان يوماً جميلاً.

منتهى بابتسامة: أخبروني ما الذي حدث؟

خالد: لقد اكتشفنا وسيلة تواصل اجتماعي جديدة، وجدنا كل سكان صنعاء هناك، هل تذكرين الطفل الذي ضربه يوسف حينما كنا بالإعدادية؟ لقد التقينا به.

ضحكت منتهى وشاركها يوسف الضحك ثم أكمل: التقيت أيضا ذلك الرجل الذي كنت أقرع جرس منزله ثم أهرب لقد التقينا به أيضا.

جلست منتهى وهي تضم نفسها بشالها: إذاً لقد عشتم يوماً جميلاً حقاً.

يوسف: ومرهق ومخيف لقد حدث إطلاق نار وأكمل وهو يضحك: وكان هناك رجل أراد إحراق المحطة بعد أن انتظر يوماً كاملاً وعند وصوله أغلقوا.

منتهى بابتسامة طفولية ونبرة خاصة: خالد.

هز خالد رأسه وهو يبتسم بسخرية: أعرف هذه النبرة، ورائها طلب مستفز.

ضحكت وأكملت ببرائة: أريد أن أذهب إلى المحطة الخاصة بالنساء.

نظر ليوسف: أرأيت؟ أخبرتك أن لا تتحدث أمام الأطفال .. منتهى حبيبتي أقسم أننا لم نذهب للتخييم والتنزه.

منتهى بحماس: أرجوك يا خالد، جميع نساء الحارة سيذهبن.
يوسف بسخرية: ما شاء الله، ما رأيكن أن تقمن حفلة هناك؟!
منتهى: بنان أيضا ستكون معي أرجوكم.
انطفأت ابتسامة يوسف عندما قالت بنان أجابها ببرود: الوضع خطير يا منتهى. محطة النساء على الجانب الآخر من جبل فج عطان وهو يقصف منذ يومين بعنف.
منتهى بعناد: ومحطتكم أيضاً على الجانب الآخر ولكنكم تذهبون، هيا خالد أرجوك ثم أننا سنحتاج إلى جميع السيارات.
نظر خالد ليوسف وهو يتأفف: لماذا خدعتني لم تخبرني أنها بهذا العناد؟
يوسف: لقد خطبتم لمدة طويلة كان يجب أن تكتشف بنفسك.
نظرت لهم منتهى بغيض..
خالد: يبدو أن جون سينا سيخرج.
يوسف: هل أخذنا ما أتينا لأجله؟
خالد وهو يضحك: أجل.
يوسف: إذاً لنذهب قبل أن يخرج.
ضحك خالد بصوت عالي وتحدث مع منتهى: حسنا اذهبي ولكن عودي قبل أن تغرب الشمس حسنا؟
وقفت منتهى وهي تصرخ بحماس: حسناً .

الساعة 11 ظهراً – 20 ابريل

منتهى

جلست في السيارة وبنان بقربي، يبدو من الطابور الذي أمامي أن السيارة ستبقى ثلاثة أيام، نساء صنعاء كلهن هنا بالرغم من القصف المستمر، تحدثت بنان:
هل تعتقدين أنهم سيكملون قبلنا ؟
أجبتها مؤكدة: بالتأكيد لقد سبقونا بيوم كامل.
ابتسمت، أكملت بحماس: بعد قليل سنذهب لنصلي الظهر في المول القريب ونشتري لنا طعام، إنني جائعة..
..

خالد

لقد مللت من الجلوس في السيارة، كان يوسف يتصفح هاتفه، نزلت ووقفت مستنداً على السيارة وأنا اشعر بشيء يهتز من تحتي وكأن هناك زلزال آتٍ. مضت ثواني بعدها رأيت غيمة كبيرة من دخان ونار كأنها شيطان مارد يخرج من كهفه. اللعنة أي جحيم سيسببه انفجارها إذا كان هذا فقط الدخان الذي يسبق الانفجار؟! صرخت بأعلى صوتي: انتبهوا! وفتحت أبواب السيارة التي من جهتي كي لا يكسر الضغط الزجاج، ويوسف بالداخل هزنا بعدها انفجار لم تشهد صنعاء قبله ولا بعده .. شيء دمر في طريقه منازل وحارات كاملة، تكسرت زجاجات منازل و سيارات المنطقة بالكامل، انقشعت الأرض بالمعنى الحرفي، لقد استمر صوت الانفجار وحده ما يزيد عن الدقيقتين، وفي هذا الوقت القصير سبب

دمار سنحتاج إلى سنين لإعادة بناءه، مضت دقائق وقفنا بعدها والجميع يشعرون برعب شديد صرخ يوسف وهو يلهث: منتهى وبنان!
ضربت رأسي، لقد نسيت أنهن اليوم في محطة النساء التي تقع على الجانب الآخر من الجبل، صرخت بيوسف: يجب أن نذهب لهن بسرعة.
يوسف: ولكننا لن نستطيع إخراج السيارة من الطابور.
بعد نصف ساعة من الانتظار عثرنا على سيارة أجرة تأخذنا إلى محطة النساء.
..

منتهى

بوابة جحيم انفتحت ثواني فقط اعتبرت نقطة تحول في تاريخ هذه المدينة .. لا أصدق بأننا نجينا من الموت، لقد رأيته اليوم أمامي، شعرت بأن هذه القنبلة مصنوعة من موت ودمار فقط، لقد كان الوضع في فوضى تامة، أصوات صراخ ورائحة بارود وزجاج يغطي الأرض بأكملها، جلسنا في السيارة أنا وبنان، لم نستطع الخروج ولا التحرك، لا مجال للتحرك أساساً وقد تكسرت زجاجات السيارة بسبب قوة ضغط الانفجار. لم أعد أعلم كم من الوقت مضى قبل أن أرى خالد ويوسف يقتربون منا، نزلت مسرعة اقترب مني خالد وسأل بخوف:
هل أنتِ بخير؟ هل كل شيء على ما يرام؟
اشرت برأسي: نعم. وتجمعت الدموع بعيني: ما الذي حدث؟
أمسك بيدي يريد أن يطمئنني ولم يتحدث

يوسف

ركضت باتجاه بنان ولكني توقفت، لقد فقدت الحق في أن أكون هنا، نظرت لها وهي تجلس في السيارة كانت تنظر لي هي الأخرى التقت أعيننا حاولت أن أقترب ولكني لم أستطع، رأيت الدمع يتجمع في عينها قبضت على يدي بغيض وعدت أدراجي وأنا أشعر بأن شيئاً ما يجثم على صدري، رأيت بعدها منتهى تذهب إليها. سيعودان مع خالد إلى المنزل و أنا سأذهب لإخراج سيارتنا من الطابور ثم سألحق بهم .. لقد كان يوماً كارثياً بحق..

12 يونيو 2015

استيقظت منتهى على رنين هاتفها. أجابت وهي تشعر بنعاس، كانت الساعة لم تتجاوز الخامسة صباحا، شعرت بخوف لماذا يتصل خالد الآن.

منتهى: نعم

خالد: منتهى حبيبتي يجب أن نغادر صنعاء حالاً.

منتهى بصدمة: الآن؟

خالد: قبل أن تسطع الشمس ولا وقت للشرح.

منتهى: حسناً سأجهز ملابسي وملابس يوسف.

خالد: أنا وأنتِ فقط.

منتهى بصدمة: خالد لا أستطيع.

خالد بصراخ: لقد أخبرت والدك منتهى، حياتك بخطر ألا تفهمي؟

لم نعد نملك الوقت، يجب أن نغادر صنعاء أنا وأنتِ فقط وحالاً.

منتهى بعصبية مماثلة: وأنا لن أترك أخي ولن أترك بنان وعمار وطارق.

خالد: لم يكشف غيرنا .. سنذهب إلى تعز ومن بعدها إلى عدن ومن ثم نغادر اليوم ونعلن مسئوليتنا الكاملة أنا و أنتِ فقط، منتهى إما أن ترافقيني وإما أن أذهب لوحدي.

تنهدت منتهى بعمق: حسناً أحتاج إلى نصف ساعة فقط.

أقفلت وهاتفها المحمول يشير إلى 2٪ سينطفئ حالاً، ولا وسيلة لشحنه.

أكمل يوسف لوحته وبدأ بترتيب لوحاته استعداداً للمعرض الذي سيقيمه، يحاول الاتصال بخالد منذ الصباح ولكنه لا يجيب .. لقد اتفقا أن يسافرا بعد غد بكامل الوثائق التي لديهم وتركها معه وانصرف ولكنه يشعر بقلق بالغ فخالد يتعامل بحذر وكأنه قد تم اكتشافهم .. وهذا ما جعلهم يحتاطون في كل تصرفاتهم ويقلقون من أقل الأشياء.

حينما قطع عليه صوت والده يناديه ليجيب عمه. خرج يوسف وسلم على عمه والد نصر.. والد نصر: لماذا لم تسافر؟

يوسف: إلى أين؟

والد نصر بتوتر: أخبرني خالد أن والدته مريضة وأنك ستسافر انت وهو ووالدته ومنتهى إلى خارج اليمن وأن كل شيء بأمان وتحت السيطرة.

يوسف باندفاع: متى أخبرك؟

والد نصر: البارحة .. لقد غادر هو ومنتهى فجر اليوم.

كانت منتهى تراقب الطريق بصمت.
خالد: منتهاي ألا تشعري بالجوع؟
منتهى: لا .. خالد هل انتهى هاتفك من الشحن؟ أريد أن أشحن هاتفي.
خالد بتلعثم: أعتقد أن الشاحن متعطل.
منتهى: لقد رأيته يشحن هاتفك منذ قليل!
خالد: حقاً؟ أعطِني هاتفكِ سأحاول .. أرأيتِ؟! .. إنه متوقف.
منتهى بضجر: أردت أن أطمئن على والدي واطمئنه، هلا أعطيتني هاتفك؟
خالد: ولكن هاتفي لا يوجد به رصيد .. سنتوقف في محطة قريبة ونشتري أكل وأشحن هاتفي بالرصيد. وضعت منتهى رأسها على زجاج السيارة وأغمضت عينيها. اعتقد خالد أنها نامت فأرسل رسالة سريعة من هاتفه وانتظر الرد ووصل فابتسم. شاهدت منتهى الموقف دون أن يشعر فشعرت بانقباض في قلبها .. لماذا يكذب خالد عليها؟

أقفلت بنان هاتفها، تنهدت بعمق ثم ضغطت على زر الاتصال بمهند ودعته لمنزلهم لأنها تريد أن تتحدث معه في شيء مهم وفي منزلها.
بنان: أختي تشعر بتوعك وترفض أن أصحبها للمشفى، هلا حاولت إقناعها؟
نظر لها مهند بابتسامة واسعة وربت على كتفها ودخل إلى غرفة الفتاتين استأذنت بنان بأنها ستعد له كأساً من العصير. وبهدوء فتشت عن هاتف مهند الذي يضعه في جيب جاكيته أخرجته وبدأت بالبحث بسرعه فائقة حتى وصلت إلى الاسم المطلوب أبو زياد، وبدأت بكتابة الرسالة "سيغيرون السيارة تتبعوا هذا الرقم 2773" وبعد أن ضغطت على زر الإرسال شعرت بيد تمسك يدها فشهقت

برعب عندما رأت مهند يقف أمامها أخذ الهاتف من يدها وسحبها إلى غرفتها وأقفل الباب كي لا تسمع الفتاتان.
مهند: هل جهزتِ كذبة هذه المرة أيضا؟ دعيني أخبرك أنا ما الذي يحدث، من اللحظة الأولى وأنتِ تبحثين عن معلومات تقدميها لخالد أليس كذلك؟!
بنان بقوة: خالد ويوسف ومنتهى لا علاقة لهم، أنا أبحث عن معلومات أسربها للصحافة لأنتقم منك.
قبض مهند على يديه بقوه وأخذ تحفة كانت بنان تضعها على درجها ورماها على باب غرفتها حتى تكسرت و صرخ: إلى متى ستستمرين بهذا الكذب؟
أجابته بنان بنفس الصراخ: أنت آخر شخص يحق له التحدث عن الكذب و الأخلاق، كل ما أنا فيه الآن هو انعكاس لتصرفاتك الحقيرة، كيف سأواجه شخص مثلك إلا بالكذب.
مهند باستفزاز: ألا ترين أنها طريقة جبانة جدا؟
بنان بنفس الاستفزاز: أنا أرى أن الجبن أحد الصفات الوراثية في عائلتنا.
امسكها مهند من زندها وضغط عليها بقوة ودون أن يفكر: لو كانت صفة وراثية لكان والدك يقف الآن بيننا يحميك مني.
شعرت بنان بخنجر ينغرس في قلبها واتخذت قرار سريع بالثأر لجرحها، أبعدته عنها بقوه: والدي علمني حماية نفسي لأنه كان يعلم أنه لا يوجد رجال من خلفي ليحموني.
اسكتها مهند بضربة على وجهها تناثر من قوتها شعرها، غطت دموعها وجهها.
شعر مهند بالصدمة والاشمئزاز من نفسه، كيف وصل لهذه المرحلة من البشاعة و من قلة الأصل والمروءة، قبض على كفه وأخذ نفس عميق، كانت دموع بنان بمثابة

رصاص تطلق عليه .. وقفت أمام الباب تحاول فتحه هو يعلم أنها لن تأتي وتطلب منه المفتاح وهي تعلم أن الباب لن ينفح ولكن من قوة الألم الذي تشعر به كانت تضرب على الباب بقوة وهي تبكي حتى يئست وجلست على الأرض واضعة رأسها بين أرجلها وبكت بقوة.

مهند: بنان قفي ستجرحين نفسك بالزجاج المتناثر.

رفعت رأسها ونظرت له ثم أخذت قطعة زجاج وقبضت عليها بقوة وهي تحركها حتى جرحت يدها

مهند وهو يصرخ: هل جننتي؟

رفعها من الأرض وسحب يدها بكل قوته وفتح قبضتها ورمى الزجاجة وقد امتلأت بالدم. مهند وهو يتحدث بصراخ: هل جننتي ؟

بنان: الجنون حقا هو باق هنا، أنا متعبه منك ومن الحرب ومن الحياة ومن رحيل والدي أنا متعبة من كل ما يحدث.

مهند بنفس الصراخ: أنتِ من أقحم نفسه في هذه اللعبة، أنتِ من تبعتِ الخائن، إنه يلعب بكم يميناً ويساراً ليصل إلى مبتغاه، أنتِ من سلمتي حياتك لحقير باع صديق عمره وزوجته.

بنان بصدمة: هل جننت؟ عن ماذا تتحدث؟

مهند وهو يشعر بأنه قد دمر كل شيء بكلامه، ولكنه قرر فليذهب كل شيء للجحيم، سيخبر بنان الحقيقة وليحدث ما يحدث: خالد اقصد عصابة الرداء الأبيض اقصد كل الوثائق التي جمعتموها.

شهقت بنان برعب: هل اكتشفتمونا ؟

مهند: منذ ثلاثة اشهر وخالد يعلم أننا نعلم، ولأكون أكثر وضوحاً لقد قام خالد

بتوقيع صفقة معنا. ضربته بنان على صدره بقوه حتى غطى الدم الذي في يدها ثوبه الأبيض. بنان: لن أصدقك، لن أصدق كذبتك .. خالد كان ليدفع حياته في سبيل موطني في سبيل منتهى ويوسف، كف عن كذبك أرجوك.
مهند وهو يعلم مقدار الصدمة التي تشعر بها بنان أمسك يديها بهدوء: أقسم لك أن خالد قد باعكم وعقد صفقة معنا منذ اليوم الأول لإعلان اكتشافكم وزواجي منك كان أحد بنود هذه الصفقة .. الذي تعرضي حياتك للخطر لجلب معلومات له هو نفسه الذي اختار قتل قلبك وقلب صديقه.
منذ البداية انكشف أمركم ولكننا اتفقنا معه على أن يسلمنا كل فضائح و أسرار أعدائنا مقابل مبلغ كبير من المال وحمايته هو و عائلته، بالنسبة لكم كان الاتفاق بأنه يأخذ منتهى كشخص من أفراد عائلته وأنتِ ستكونين تحت حمايتي، أما يوسف وعمار وطارق فسيتركهم لمواجهة مصيرهم بعد أن نتلف كل ما يضرنا ونفضح كل ما يفيدنا.
بنان بصراخ: ألن تكف عن محاولتك البائسة هذه؟
مهند: حسنا إذا، لقد أخذ خالد معه منتهى وكل الوثائق، وسيغادر البلاد في الساعات القادمة. هذه الحقيقة سواء أقنعتك أم لم تقنعك، لقد أخبرتك من قبل أن هذه الحياه غابة والبقاء فيها للأقوى .. عندما انضممت لهم كنت أبحث عن سند يعوضني خسارتي إلى أن علمت بقصتكم وأنك معهم قررت حمياتك وفاءً لدين قدمه لي عمي منذ زمن بعيد .. خالد خائن و أنا كذلك، ولكن أنا أركعتني الظروف وخالد اختار نفسه وباعكم.
بالمناسبة أعتقد أن صديقتك بخطر ، لا أظنها سترضخ للاستلام بسهولة، وهي لم ترى وجهه الآخر بعد، لا تعلم كيف سيجبرها على السفر ونسيان كل شيء.

يوسف بصراخ: ماذا تقصدين؟
بنان وهي تبكي وتقف أمام يوسف: أقصد أن خالد قد خاننا جميعاً.
يوسف: ابن عمك الحقير يريد الإيقاع بيننا، خالد لم يَـخُنّا.
بنان بصراخ: فكر قليلا ستجد كل الأدلة من حولنا ونحن الذي لم نرى .. اعتذاره الدائم شكه وشعوره بالقلق، زواجي المفاجئ من مهند، لقد اختار خالد بالفعل يا يوسف ودفعنا نحن ثمن اختياره.

......

كانت دقات قلب منتهى تتزايد مع كل كلمة موساد، بيت أبيض جماعة ارهابية، أي جحيم هذا؟! لم تتمالك نفسها وبدأت دموعها بالسقوط، بحثت عن خالد بعينيها ولكنها لم تجده وبعد ثوان رأته يدخل من السلالم، تعجبت متى خرج وأين ذهب!
منتهى: خالد أين كنت ؟
خالد بتلعثم: وردني اتصال هام.
..
يوسف بتساؤل: إلى أين ستذهب؟ ليس لدينا أي اجتماعات اليوم في الخارج.
خالد بتلعثم: مشوار شخصي نوعاً ما، وإن سارت الأمور على ما يرام سأخبرك.
يوسف وهو يمثل العصبية: هل تخون أختي؟
خالد وهو يلكمه على بطنه بخفة ويضحك: يبدوا أنك تريدني أن أقتلك اليوم
ضحك يوسف: حسنا اذهب كي لا تتأخر عن مشوارك السري.
..

أما البقية فقد تحركوا بسيارة عماد.
كان يوسف يزفر بقوه وهو يقبض يده يحاول السيطرة على أعصابه، أوقف خالد السيارة بطريقة مفاجئة، صرخ به يوسف ماذا هناك؟
أجابه بهدوء: يوسف بين بنان وموطني من تختار؟
نظر له يوسف باندهاش وقد صدمه السؤال: خالد ماذا هناك؟ هل ترى أنني الآن في وقت مناسب لأفكر بهذه الفلسفة.؟!
خالد: أنا لا أتفلسف .. أجبني يوسف.
تنهد يوسف وتهدج صوته: ليتني لا أملك قلب لا ينبض إلا بها، ليتني منصف لدرجة تجعلني أختار موطني، ولكنها بنان التي لا سعادة لي بدونها، ستنتهي حياتي بخروجها منها، هذا – وأشار على قلبه – يعشقها إلى الحد الذي يجعلها أغلى من روحي إن كان اختياري إياها جبناً فأنا جبان في خذلانها شجاع في حبها.
......

صرخ يوسف: ومنتهى؟! وأختي؟! إنها في خطر..!
بنان: اتصل لها، أخبرها أن تتركه واذهب لها.
يوسف بضحكة سخرية: هاتفها مغلق منذ الصباح.
بنان جلست وصوت بكائها يعلو: أخبرني مهند أنهم سيغادرون الليلة، يوسف إن غادروا هذه البلاد لن تستطيع الوصول لها أبدا، سيجبرها على تغيير اسمها وتاريخها وكل ماله علاقة بنا.
كسر يوسف كل ما حوله، جلس وهو يلهث: خالد؟ صديق عمري؟

شد شعره وصرخ: ياااااا رب، اعصم قلوبنا من هذه الصدمة يااااا رب، أعِد لي أختي يا رب.

تحدثت بنان بتردد: يوسف أستطيع أن اطلب المساعدة من مهند.

نظر لها بغضب: وهل تعتقدين أن هذا الحقير سوف يقدمها لنا؟

بنان: مهند ليس بالسوء الذي تتخيله، إضافة إلى أني سأطلبها منه بشكل شخصي.

ثار يوسف وصرخ: أصبحتِ ترينه الآن شخصاً جيداً وعلاقتكم الشخصية قوية! هل أحببتِه؟!

بنان: وهل هذا ما تفكر فيه الآن؟!

يوسف بانهيار: اخرجي بنان، أنا سأتصرف، اخرجي من حياتنا..

خرجت بنان وأقفل يوسف بعدها الباب بقوة، وجد والدته تقف أمامه.

يوسف: أنا أضعت كل شيء يا أمي .. دمرت الحياة كل أعمدتي، لقد باعني خالد باعني صديق عمري. اسحبي السكاكين التي في ظهري يا أمي أعيدي لي دفء ليالي طفولتي.. ضمته والدته بقوة وبكت ..

يوسف بغصة: اكتفيت وجع، لم يعد لي ما أخسره، ماذا تريد الحياة أكثر؟

سآخذ منتهى، سنترك كل شيء هنا هذه الأرض لم تعد تعنيني سأخونها كما خانني خالد كما خانتني بنان كما خانتني الحياة سآخذ منتهى وسننسى كل شيء.

ترك والدته ومسح وجهه وخرج من المنزل.

في سيارة خالد

منتهى: لقد توقفنا في الاستراحة هل شحنت هاتفك ؟

ضرب خالد جبهته: لقد نسيت ثم ابتسم: لم يتبق إلا ساعة واحدة ونصل للمنزل الذي سنبقى فيه.

منتهى بشك: حسنا.

أوقف خالد سيارته بطريقة مفاجئة وأمسك بيد منتهى وضمها .. تنهدت منتهى

منتهى

ما الذي تخفيه عني يا خالد؟ دقات قلبك تخبرني أن هناك شيء، تنهُّداتك المتواصلة ونظرة عينيك، لماذا أشعر بهذا الحاجز بيننا؟ لماذا أشعر بالغربة بين أحضانك؟

ابتعد عني وابتسم

خالد: منتهى الأيام القادمة لن تكون سهلة .. كوني بقربي إلى أن ننتهي منها، عديني بذلك .. عديني أن تثقي بي مهما حدث.

منتهى: أنا خائفة من كل شيء.

خالد: سينتهي كل هذا .. اغفري لي منتهى فلتغفري.

منتهى: أغفر ماذا؟

خالد: كل الوجع الذي سببته لك.

منتهى: سأغفر وجعي. تنهد خالد وأكمل طريقهم ..

وقف يوسف وهو يصرخ: ماذا تعني بأن لا رحلات تتحرك؟!
مدير شركة نقل: بسبب انقطاع المشتقات النفطية والخطورة الأمنية للطريق.
يوسف: يجب أن أغادر والآن.
مدير الشركة: للأسف ليس لدي ما أقدمه لك.
خرج يوسف مسرعا وهو يشعر بالغيظ، لا وسيلة للسفر، سيارته فارغة من البترول تماماً وسعر الدبة الواحدة تجاوز الـ26 ألف ريال يمني أي ما يفوق 100 $ وشركات النقل مغلقة، لكنه سيبحث عن طريقة للخروج مهما كلفه الثمن.

جلست بنان أمام مهند. بنان: أنا أرجوك ساعدنا بالعثور على منتهى.
مهند وهو يبتسم بسخرية: ظننتك لا تثقين بي.!
بنان: أنا فعلا لا أثق بك .. ولكن لا خيار لدي إلا الوثوق بك.
مهند: حسناً سأكون عند حسن ظنك ولن أساعدكم.
صرخت بنان: إلى أين تريد أن تصل؟ أتريد أن تنافس الشيطان بشاعة وقبح؟!
ضحك مهند: صدقيني نحن البشر أشد بشاعة من إبليس نفسه، فهو على الأقل لا يدّعي بأنه ملاك.
بنان بانهيار: ولكنك لست هكذا، مهند الذي يمسح الغبار عن كتبه، مهند الذي يصور الأطفال، مهند الذي خبأ قميص والدي .. أنت لست بالقساوة التي تريد أن تكونها .. أرجوك مهند ساعدني بالعثور على منتهى.
تنهد مهند وأمسك هاتفه وأجرى اتصالا وبعد أن أكمل: في تعز وترك لها العنوان.
و قبل أن يغادر: ستكون هذه المرة الأخيرة يا بنان التي أساعدك فيها،
أخذت بنان الهاتف و أخبرت يوسف بعنوان منتهى.

منتهى

وصلنا إلى المنزل الذي سنبقى فيه لمدة قصيرة ثم سنغادر، أخبرني خالد أنه سيذهب سريعا ويعود ولكنه مختفي منذ ساعتين، حاولت الخروج من المنزل ولكنني وجدت الباب مقفل، ربما اقفله خالد للاحتياطات الأمنية ولكن لماذا لم يخبرني؟!
أنا حقا أحتاج هاتفي، أشعر بأني أريد التحدث مع يوسف، لا أعلم لماذا أشعر بقلق يخنقني وبرعب يرتعش له قلبي، قطع عليّ حبل أفكاري عودة التيار الكهربائي، صرخت من الفرحة وأخرجت شاحن هاتفي وأوصلته بمكبس الشحن وبدأت بشحنه.

خالد

أوقفت سيارتي وأنا أتنهد، قرأت الرسالة التي وصلتني مرارا وتكرارا "يوسف و بنان بالفعل يعلموا كل شيء".
رأيت المنزل الذي تركت منتهى فيه مضاءً، لقد عاد التيار الكهربائي إذا بالتأكيد وصلتها رسائلهم، لقد علمت كل شيء إذاً، أغمضت عيناي، إلى أين وصلت نهاية هذه اللعبة، تبسمت بسخرية، لن تغفر لي أبدا خيانتي، و لو أنها رأتني في أحضان فتاة أخرى لكان أخف وطئاً عليها .. لا خيار لي يا منتهى أنا لن أخاطر بعائلتي إنهم أمانة تركها لي والدي، لن أختار اختياراً خاطئاً مرة أخرى .. على هذه الأرض

لا مكان للقيم، إما أن تتحول لبركان يحرق كل شيء وإما أن يقتلعك إعصار فسادها يوما ما ستفهمني.
أخرجت مسدسي من الدرج الخاص بسيارتي تأملته ثم ابتسمت بسخرية وسقطت دمعة حارة علية أنا مجبر على انهاء هذه المعركة معركتنا التي بدأت بحبر وستنتهي بدم. ليتني علمت أن الدفاع عن الأرواح لا يكون إلا بتقديم أرواح أخرى.
وأن معارك الفساد لا انتصار فيها إلا للوطن أو ضده وجميع أطرافها يخسرون كل شيء، كم كنت غبياً حينما اعتقدت أننا سنهرب ونبدأ من جديد، لقد صدق عماد حينما قال إنها لعبة الكبار ونحن أقحمنا أنفسنا في معركة خسرنا أولى جوالتها ولا طاقة لي بخسارة أكبر.
نزلت من السيارة دخلت المنزل بحثت عن منتهى ولم أجدها بحثت المنزل بأكمله وفجأة سمعت صوتها آتياً من خلفي.
منتهى: لقد تأخرت
نظرت لها: أعتذر، كان لدي بعض الأمور المهمة لأنجزها.
كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى كل هذا الكرة والتحدي في نظراتها، لم أكن أعلم أنها فاتنة هكذا بابتسامة السخرية والوجع التي ترسمها على وجهها، كل شيء في حبيبتي اليوم يدل على أنها اكتشفت خيانتي.
اقتربت منها ببطء وسألتها: هل شحنت هاتفك المحمول
أجابتني بنفس الابتسامة: أجل.. خيم علينا صمت رهيب كانت تحدق في عيني مباشرة. أكملت هي: وصلتني رسائل يوسف.
تنهدت بعمق: منتهى يجب أن تسمعيني أنا.

قاطعتني بصراخ: أسمع ماذا؟ أنك خائن أنك بعتنا أنني الآن أعتبر مخطوفة أنك قدمت لهم أخي وصديق عمرك؟!

أجبتها بنفس صراخها: لا اختيار إلا هذا.

قاطعتني بضربة على وجهي وأكملت ودموعها تتساقط

منتهى: لا أعلم أي قدرة خارقة على التمثيل تمتلك .. وأي دم قذر يجري في عروقك، كيف خنت 20 عام من عمرنا، من صداقتك بأخي من ثقتي ووالدي بك، لو أنك مخلوق من ماء جهنم ما كنت لتكون بهذه الحقارة، بهذه القساوة كيف استطعت أن تخون عقدنا المقدس، أن تخون قلبي الذي وهبته لك – وكأنها بدأت تستوعب الصدمة – خالد من أنت؟ أي رجل فيكم تزوجت أنا؟ أي ذكرياتنا حقيقة؟ أي وعودك صادقة؟ خالد سنين عمري ليست وهم، وصرخت ليست وهم، وأخذت دبلتها ورمتها على الأرض وأكملت: يا رب أي حقيقة هي حياتي يا رب أي أمان تبقى لنا.. و أكمَلَتْ: خالد أنا أريد العودة لأهلي.

تنهدت: لم يعد قراري الآن يا منتهى .. يجب أن تنسي كل شيء.

منتهى: أنسى ماذا؟! أهلي أخي أحلامي سنين عمري أم تراك تقصد موطني؟

خالد: كل شيء، يجب أن تغادري والليلة.

منتهى: سأذكر كل شيء وأنساك أنت، سأمحو ملامحك من جدران ذاكرتي. سأنسى حتى خيانتك فنقاء روحي لا يحتمل قذارة تذكرك.

صرخت بألم: يكفي يا منتهى يكفي.

أجابتني بنفس الصراخ: خالد بالنسبة لي ميت من بعد الآن و يا ليتك مت فعلاً..

لم أتحمل قوة كلامها، وجع العالم كله قذف في قلبي كيف لروحي أن تتمنى موتي وقفت جامد كالتمثال حتى رفاهية الدموع لم أجدها.

لا اعلم متى او كيف ولكنني رأيتها تقترب وبيدها سكين.
منتهى: أعطني مفتاح الباب حالاً.
خالد: أتركي هذه التي في يدك، قد تؤذيكِ.
منتهى بصراخ: أنا لا أمزح، أعطني المفتاح الآن.
اقتربت منها وأنا قلق من أن تجرح نفسها، أردت أن أخرج المفتاح ورأت هي المسدس: منتهى انا.. ولكنها باغتتني بضربة من السكين على يدي حتى جرحت
أمسكت يدي وتأوهت بألم، رأيتها تسقط السكين من يدها وتبكي.
أخاف على هذه الطفلة من الانهيار حقا، فالذي يحدث الآن أكبر من طاقتها بكثير،
اقتربت منها: منتهى أنا لن أطلب الغفران، ولن أطالبك بالبقاء إن أردت الرحيل فارحلي أنا لن أمنعك، عشت عمري كله أحميك فكيف سوف أؤذيك الآن؟! .. أنا لا أملك حق التبرير ويوماً ما ستغفرين ولكن تأكدي من شيء واحد، أنا لن أؤذيكِ، أنا لن أوجع نفسي بك، أحببتك منذ كتب عليّ الحب وسأحبك حتى يكتب عليّ الموت.
بكت بحرقة وبانهيار تام: لماذا فعلت بي هكذا؟ لماذا سرقت مني الشخص الوحيد الذي رسمت عليه كل أحلامي؟ لماذا هدمت حياتي فوقي هكذا؟ خالد لماذا فقط أجبني.
أمسكتها وضممتها بقوة. إلهي اجبر كسر قلوبنا اغفر ذنوبنا وكن لنا القوة في وسط كل هذا الانكسار، بكت في حضني كثيرا وبعدها سحبت نفسها.
منتهى: أريد العودة والآن.
خالد: حسناً عودي بسيارتي حتى موقف الباصات ومن هناك اذهبي مع أي عائلة

وقبل أن تخرج أمسكتها وقبلتها بقوة، قاومتني قليلاً ولكنها رضخت واختلطت دموعها بدموعي، كنت أعلم أن هذه اللحظات آخر ما سيجمعنا، أخرجت مسدسي ووضعته في يدها وهمست: عودي ليوسف وأخبريه أن يفرغ رصاص هذا المسدس وأن رحلة بعد غد ما زالت قائمة، وأعطيتها هوية مزوره وتركتها.

كان يوسف يسند رأسه على زجاج السيارة التي يستقلها وهو يعد الوقت ليصل إلى تعز، رن هاتفه، إنها منتهى أجابها بلهفه:

منتهى: لقد تركته.

يوسف بخوف: هل أذاك؟ هل تركك تغادري بسهولة؟

منتهى وهي تبكي: إنه خالد يا يوسف، خالد زوجي، خالد صديقك.

يوسف بغصة: خالد الذي نعرفه مات .. أين أنتِ الآن؟

منتهى: انطلقت بسيارته باتجاه موقف الباصات.

يوسف: حسنا إذا سنلتقي هناك.

..

عقد مهند حاجبيه وهو يفكر، جرى باتجاه هاتفه وأعاد قراءة الرسالة التي أرسلتها بنان من هاتفها كثيرا وبدأت الأمور تتضح أمامه شيئاً فشيئاً، ثم ضرب بيده فجأة وقد استنتج كل ما حدث، أخذ هاتفه، أراد أن يتصل بقائده ليخبره بما توصل إليه ولكن شيئا ما منعه، شعر بالقهر بالعصبية رمى هاتفه و تنهد .. لقد كانت بنان محقة، خالد لم يخونهم.

مرت أربع ساعات ويوسف ينتظر في موقف الباصات ولا أثر لمنتهى، ذهب إلى العنوان الذي أعطاه مهند ولم يجد أحداً في المنزل، هاتف منتهى مغلق، شعر بأنه يكاد يجن، حاول الاتصال بخالد ولا إجابة، شعر بأنه في مأزق وأن ما سيقوم به هو الحل الأخير، اتصل ببنان.

يوسف: لآخر مرة اسألي الحقير إن كان يعلم شيئاً عن منتهى.

بنان: لقد أعطاك العنوان بالفعل.

يوسف: لا يوجد فيه أحد.

بنان: يوسف أنا لا أثق في مهند كثيراً، لقد بدأت أشك في كل من هم حولي.

صرخ يوسف: أنا بحاجة للوصول إلى أختي.

تنهدت بنان: سأحاول معه مرة أخرى.

أقفلت الهاتف مع يوسف وأوقفت السيارة واستغرقت في نوبة بكاء مريرة، شعرت بأنه قسم قلبي حينما قال مات خالد .. مرت ذكرياتنا من أمامي منذ الطفولة حتى الآن لم يخذلني خالد ولا مرة، لطالما كان السند الذي ساعدني على الوقوف .. هذه المرة لن أؤمن إلا بقلبي وليذهب المنطق إلى الجحيم، مسحت دموعي وأدرت السيارة وعدت أدراجي .. خالد زوجي خالد حبيب عمري خالد هو روحي وأنا لن أختار الموت، لو خان العالم كله لن يخوننا خالد، لن يسلمهم يوسف صديق عمره وأخي لن يخون مبادئنا لن يخون موطني .. لا أحد يخطف زوجته ويخون صديق عمره، أنا ويوسف ليل ونهار خالد بدوننا لا حياة له، لن يقدموا له حياة ليبادل بها حياته، خالد لم يخوننا ولو بقتله .. ولو كذبه العالم بأكمله سأصدقه أنا لأنني منتهاه، لا بداية له إلا أنا ولا نهاية له بدوني .. خالد حي وأنا كذلك وكتاب حكايتنا لم يقفل بعد ولن تكون هذه النهاية، أنا سأغير نهايتنا.

دخلت البيت مسرعة لم يكن قد أقفل الباب، وجدته يجلس واضعاً رأسه على المكتب، عندما رآني صدم وقف مسرعاً ولم يتحدث تحدثت أنا من بين دموعي

منتهى: عندما كنا أطفالاً رمى عماد حجرة ليوسف وكنت أقف في المنتصف وقبل أن تصيبني سحبتني وأصابتك أنت، من لحظتها وأنا مؤمنة أن لا خطر سيصيبني طالما أنني بقربك وأنني في خطر طالما ابتعدت عنك.

أخذت هاتفي ورميته وكسرته ثم قلت: والآن أنا بين يديك بلا أي وسيلة للعودة، وكل هذا العالم وكل أصوات المنطق تخبرني أنني عدت للموت بإرادتي، وهذا – أشرت على قلبي – يخبرني أن لا حياة لي بدونك .. لا أعلم إن كانوا طلبوا منك

قتلي أو الاكتفاء بنفيي من موطني، لا أعلم أي خططهم ستنفذ، لم أعد واثقة حتى إن كنت ماتزال تحبني ولكني اخترت العودة إلى بيتي، إلى حضنك .. لا انتماء لي إلا أنت.

جثى على الأرض وبكى كالأطفال: لقد أضعتنا يا منتهى. أنا حقا لا أريد الموت، و لا أريد خسرانك، لا أريد الموت، أعيديني بالزمن يا منتهى، أعيديني .. ظننت بأني قادر على إكمال المعركة لوحدي، ولكن اللحظة التي خرجت فيها سحبت روحي مني، أنا لم أعد قادراً على الاستمرار على الحياة، على البقاء، أشعر بالاختناق - صرخ - متى ينتهي هذا الكابوس؟ متى يعود اخوتي؟ متى تنتهي هذه الحرب اللعينة؟ كيف نتخلص من هذه المواجهة الذي أقحمنا أنفسنا فيها؟ كيف سأختار بين موت وموت، بين وجع ووجع؟

أحبك حد الثمالة، أحبك حد الجنون، أخطأت عندما ظننت أنني سأحميك ببعدي و بخيانتي .. ولكن لا نبض لي بغيابك، أرجوك منتهى لا تتركني، أرجوك منتهى ابقِ بقربي أبقِ لي النفس والنبض والحياة .. أرهقتني الحياة يا حبيبتي أوجعتني السنين ولا أمل لي إلا أنتِ .. منتهى أريد أن أحيا معك لا أريد الموت.

جلست بقربة وضممته وأنا أبكي: سأخذل كل العالم و أنصفك يا خالد سأخذل حتى نفسي وأنصفك أنت.. سحب نفسه مني فجأة ووقف.

خالد وهو يمسح وجهه: يجب أن نغادر حالاً، سيأتون في لحظة.

منتهى: خالد يجب أن تتوقف عما تقوم به، أنا لن أسمح لك بمزيد من الخيانة.

خالد وهو يرتب أشياءنا: وأنا لم أخنكم.

أوقفته ونظرت إلى عينيه: والصفقة التي قمت بها معهم؟ وزواج بنان من يوسف والمعلومات التي سربت لهم؟

خالد بثقة وقوة: لقد تلاعبت بهم.

نظرت له بصدمة: ماذا تقصد؟

خالد: لا وقت لدينا يا منتهى، إن وصلوا سيقتلوننا، عودتك دمرت كل شيء.

وأسرع يرتب بقية أشياءه، وقفت في مكاني أرتب كلماته "تلاعبت بهم، لم أخنكم، سيقتلوننا، عودتك دمرت كل شيء" صرخت برعب عندما اتضحت لي الصورة.

بحثت بسرعة عن المسدس الذي أعطاني إياه وأخذته وبدأت أفرغه من الرصاص ودموعي تتساقط، حاول خالد منعي ولكني استمريت حتى توصلت لما اعتقدت أنه موجود، الذاكرة الرقمية التي بها كل الوثائق صرخت: هل جننت؟

هل كنت تريد أن تدعهم يقتلونك؟ خالد لقد وعدتني أن لا تستسلم، أن نكمل هذا المشوار معاً أن نحيا معاً ونموت معاً

خالد بغصة: لم أكن لأحتمل أن تقتلي .. لقد اكتشفنا يا منتهى ولم يكن أمامي إلا التلاعب بهم والتظاهر بأنني تحت أمرهم وتهريب المعلومات معك ويوسف، هذه الذاكرة تحمل وقف النزف ووقف الوجع.

صرخت به: وأنت؟ وأنا؟ هل فكرت بما سيحدث لي.؟!

خالد: أنا لست أهم من آلاف الأرواح التي تحصد كل يوم، لقد أخبرتك يا منتهى، بدأنا هذه الحرب بحبر وسننهيها بدم.

ضممته وأنا لا أستوعب ما يقول، لا أستوعب فكرة خسارته، أبعدني عنه وقال وهو يوثق يده بيده: نحن الآن في خطر حقيقي، وأنا فعلا لا أعلم خطوتنا القادمة.

استعدت قوتي: لن يؤذونا، أعدك خالد أن يخرج كل ما توصلنا إليه للناس وأن ننقذ هذه البلاد، لن نسمح لهم بإيقافنا.

أمسك بيدي وخرجنا مسرعين وانطلقنا بسيارته بسرعة فائقة..

وصلتني معلومات أن خالد تلاعب بالجماعة وبالتالي قرروا إعدامه، لقد كانت ثقة بنان في محلها .. ولكن ماذا إن علموا أنني كنت أعلم أنه يتلاعب بهم؟ الرسالة التي أرسلتها بنان من هاتفي جعلتني اكتشف ولا أعلم لماذا تسترت عنهم، ربما لأن منتهى لا أريد لها أن تتأذى كي لا تتأذى بنان، أصبح هذا الوضع يشعرني بالاختناق، أريد لهذه القصة أن تنتهي سريعاً، حقيقةً أنا أتمنى أن تنتهي بلا دماء..

لا أعلم لماذا ذهبت إلى بنان وما إن فتحت الباب ورأتني حتى سألتني بلهفة

بنان: هل وجدت منتهى؟

تجاهلت السؤال وتحدثت وأنا أعلم عقوبة تسريب المعلومات: لقد كنت محقة، خالد لم يخنكم .. لطالما كنت محقة أنا حقا جبان الآن، بالتفكير بالموضوع أنا لا أملك شجاعة قرار خالد بالتلاعب بهم، أكاد أجزم أنه لن يتردد ثانيةً بالتضحية بحياته من أجلكم.

أتعلمين يا بنان؟ الجبناء ليسوا من لا يخافون الموت، بل من يهربون من مواجهة الحياة ..

تنهدت: وأنت لست سيئاً يا مهند، ربما تكون أحد الأشخاص الذين آذوني في حياتي ولكنك لست سيئاً كما تريد أن تكون .. أنا لا أفهم لماذا تنتقم من الحياة بك؟ أنت بائس يا مهند، خذلك العالم كلة فقررت التحالف معه وخذلان نفسك.

تنهدت بعمق: لم يعد يهم، انتهت صفحات حياتي منذ أن أصبحت رقماً في أجندتهم أخبري منتهى وخالد أن يغادروا في أقرب فرصة كي لا يقتلوا، فقد أهدروا دم خالد.

شهقت بنان برعب: هل يبحثون عنهم ؟

ابتسمت لها، ليتني أملك شجاعة الإجابة، تركتها وذهبت، ركبت سيارتي.. أي ضياع هذا الذي أنا فيه؟ ضربت المقود بقوة وصرخت: ليس وقتك لا تستيقظ الآن .. تمنيت لو أن ضميري يرضخ لأمري هذه المرة .. لماذا تهون علينا أنفسنا؟ ندمرها ولا يهون علينا الآخرون؟ ألم يكن الأولى به أن يستيقظ عندما قررت أن ادمر نفسي؟! .. أدرت سيارتي وأنا أقسم أنها ستكون المرة التي سأساعدهم فيها.

كانت منتهى تضع طرحتها على عينها وتحاول النوم ولكن القلق مسيطر عليها

منتهى: خالد إلى أين سنذهب؟

خالد: إلى الضالع ومن هناك سنزور هوياتنا ونغادر من عدن.

منتهى: وكيف سنخرج من تعز؟

خالد: لا أعلم، عندما نصل إلى حدودها سوف أبحث عن طريقة.

أمسكت منتهى بيد خالد بقوة وشد هو بدوره على يدها.

منتهى: يزن ويمان ونغم. نظر لها خالد بصدمة

أكملت بابتسامة: أسماء أبنائنا المستقبليين.

ضحك خالد: وأنا ألا رأي لي ؟!

نظرت له منتهى بطفولية: ألم تعجبك الأسماء؟

خالد بحب صادق: طالما أنها اختيارك فهي أجمل الأسماء ولكن ألا ترين أن اسم وليد أكثر جاذبية من يزن؟

منتهى بعناد: بل قديم.

ضحك خالد بصوت عالي
أكملت منتهى بحماس: خالد اختر ثلاثة أحلام تعيش من أجلها
خالد: منتهى وأنتِ ومنتهى.
ضربته بخفه: أتحدث بجدية.
خالد: أن تنتهي الحرب، أن أبحث عن مهنة مسالمة، و أن أكوِّن معك أجمل عائلة بعيداً عن كل هذا الخوف.
منتهى: أي مهنة بالضبط؟
خالد: أمممم، متطوع في حقوق الأطفال مثلاً
منتهى: حسناً إذا سنحققها كلها.
صمتوا قليلاً ولكنها سألته.
منتهى: خالد ما الذي حدث؟ احكِ لي.
خالد: لقد كشفنا منذ اليوم الأول لإعلانهم اكتشافنا، ولكنهم لم يعتقلونا لخوفهم من أن نتلف المعلومات التي لدينا، لقد تنافسات كل الأطراف في الضغط عليّ لتسليمهم الوثائق التي تخص الطرف الآخر.
منتهى: الشاب الذي أعدم كان أحد هذه الوسائل أليس كذلك؟!
خالد:نعم .. لذلك بدأت بالتلاعب بالجميع إلى أن نجد طريقة لتغادروا بها ولكن كان يجب أن أقدم قرابين تثبت لهم فروض الطاعة.
منتهى: يوسف وبنان أليس كذلك؟
خالد: بالضبط .. أقسم يا منتهى أنني لم أكن أملك خياراً آخر
منتهى: ولكن ما الذي حدث بعدها؟

خالد: الذي حدث أن إحدى الجماعات بدأت تساومني بطريقة أحقر، حادث أختي لمياء ومحاولة اغتيالي التي كان يقصد بها يوسف ولكن القناص وصلته المعلومات الخاطئة كلها كانت طرق ضغط عليّ شعرت بأن الجميع تكالب علينا وأنه لا حل إلا الفرار.

منتهى: ولكن الحرب أوقفتك.

خالد: واستمريت أنا بالتلاعب بهم بعد أن تزوجت بنان بمهند شعروا بولائي حقاً ووثقوا، لقد صدقوني حقا.

منتهى: حسنا و ما كانت خطتك لليوم؟

خالد: لو لم آخذك معي لكانوا سيشكون بي لذلك أخذتك ليضمنوا بأنني معهم ومن بعدها سأخبرك بأن يوسف مريض وأعطيك الذاكرة وأدعهم يتتبعون سيارتي.

تنهدت منتهى بألم: لماذا عشت كل هذا لوحدك؟ لقد عشنا كروح واحدة دائما، لماذا لم تشركني بهذه المعركة.؟

خالد: خفت ان اخسرك

منتهى: خالد هل هي نظرية المؤامرة؟

ضحك خالد وأكمل: منتهى لا يوجد هناك قوة في العالم تستطيع تخريب ما يحكمه الشرفاء ويديره المثقفون

منتهى: ماذا تعني ؟

خالد: أعني أن هناك قوى قد تستغل فتنتنا ولكن نحن من نصنعها، هذا الوضع الذي صنعوه منا وفينا لمصالحهم الشخصية .. اسمها نظرية المصلحة يا حبيبتي خذ واعطِ ولتحرق البلاد والعباد.

أمسكت يده بحب، نظر لعينيها هو يعلم أن طفلته تريد منه أن يكون قوياً، وسيكون قوياً من أجلها. ضمها له..
ولكنهم رأوا نقطة تفتيش أوقف خالد السيارة ولكنهم طلبوا بطاقته الشخصية وأول ما رأى الاسم ابتسم الرجل وطلب من خالد إيقاف السيارة.
رن هاتف خالد وقتها برسالة من بنان فتحها ووجد رسالة "إياكم والتوقف لقد عمموا أسمائكم على كل نقاط التفتيش" نظر خالد لمنتهى و أخبرها أن تضع حزام الأمان واستدار بسيارته وأسرع بها حتى ترك آثار غبار قوية، انطلقت في أثره ثلاث سيارات .. تلت منتهى كل الأدعية والأذكار التي تحفظها، كانوا في مطاردة أشبه بالتي تحدث في الأفلام، زادها واقعية أصوات الطلق الناري الذي يسمعونه صرخ بها خالد أن تختبئ تحت الكرسي ولكنها رفضت، استطاع خالد التلاعب بهم حتى اختفى عن أنظارهم تماما ولكن وبسبب سرعته الزائدة انقلبت بهم السيارة.
وقف يوسف في الغرفة التي استأجرها وهو يسمع أصوات القصف وصوت أنين قادم من الطابق الذي تحته، لم تغمض عينه من قلقه على أخته التي لم يعد يعلم عنها شيء ومن شعوره بالحزن على صوت الأنين القادم من الطابق الذي تحته، لم يستطع التحمل أكثر فنزل وطرق الباب ففتحت له الباب امرأة عجوز.
يوسف: أعتذر عن الإزعاج .. أنا جاركم في الطابق العلوي، وأسمع صوت أنين فبماذا أستطيع أن أساعدكم؟
تنهدت العجوز بحرقة: بارك الله فيك يا ولدي ولكن هي حفيدتي تتألم من مرضها فاعذرنا على الإزعاج.
أسرع يوسف بالنفي: أنا لم أنزعج يا أمي ولكن اخبريني اسم دوائها المسكن، قد أستطيع مساعدتها.

رأى طفل في الثالثة عشر من عمره يسأل جدته من هذا فأجابته.
ابتسم له الطفل: دوائها المسكن معدوم، المسكن والمعالج أيضاً.
شعر يوسف بغصة في قلبه: من ماذا تعاني؟
دعاه الطفل للدخول فدخل.
الطفل: أختي تكبرني بعامين فقط، تعاني من سرطان في الدم ولكن أدويتها انعدمت بسبب الحرب.
شعر يوسف بغيض ووقف مسرعاً: سأجلبها لها من صنعاء.
دخلت الجدة وفي يدها كأس من الماء: دوائها انعدم في اليمن بأكمله .. اعذرني يا ولدي لا يوجد لدينا سوى الماء لأقدمه لك.
جلس يوسف بحسرة وهو يتساءل أين العالم من هذه الطفلة؟ لا يعلم لماذا شعر بأنه يريد مقابلتها، هو يعلم أنه لا يحق له مقابلتها أو حتى هذا الطلب.
ولكنه نظر إلى أخيها وجدتها: هل أستطيع زيارتها؟ أعدكم بأنني سوف أساعدها بكل ما أملك.
ترددا قبل أن يسمحا له بزيارتها، أخبراها أن هناك طبيب يريد زيارتها ودعوه للدخول، صدم يوسف برؤية غرفتها كانت مشرقة بالرغم من تواضعها، كانت حيطانها مليئة برسمات مذهلة بالرغم من تواضعها الظاهر من نوع الورق والألوان جلست بصعوبة فمنعها.
يوسف: ابقِ براحتك.
الفتاة: أنا ملاك .. أعذرني لأنني أزعجتك أيها الطبيب.
يوسف: أولاً أنتِ لم تزعجيني أبدا، ثانياً هل هذه رسوماتك؟
ملك: أجل، بعد أن عدم المهدئ أصبحت أفرغ الكثير من ألمي في الرسم.

يوسف: اسمحي لي يا سيدتي الصغيرة، رسماتك رائعة فعلاً.
ملاك بابتسامة باهتة بسبب المرض: هذا ما أردده دائما .. سأصنع بها معرضاً عندما أكبر.. تبسم لها يوسف بحزن ..
ابتسمت هي بمرح أكبر بالرغم من إرهاقها: أعلم أنك كطبيب تحدث نفسك بأنه لم يتبقَ لي الكثير، ولكن سأتشبث بالحياة ما دمت أتنفس، سأمسك يدها لآخر لحظة.
اخترقت الغصة قلب يوسف وشعر بالدمع يوخز عينيه، حاول أن يداري وجهه عنها. فتحدثت الفتاة بلهفة: ما بك أيها الطبيب؟ هل تشعر بالحزن من أجلي؟
هز رأسه نافياً وتحدث بصدق: أشعر بالحزن من أجلي أنا..
نظرت له الفتاة بدهشة: هل أنت مريض أيضا؟
تبسم يوسف من براءتها: تستطيعين القول بأنني خسرت كل شيء.
تحدثت الفتاة بعفوية: أنت لا تملك شيء أساساً صدقني.
نظر لها باستفهام. فأكملت قائلة: أتيت لهذا العالم بلا شيء، وستذهب بلا شيء، كل ما كسبته من أشخاص فرص أحلام شهادات هي مجرد عطايا من القدر ولكنك لا تملكها لتخسرها.
تبسم يوسف: ألا تعتقدين أن هذه الفلسفة أكبر من أن تخرج من طفلة في عمرك؟
ابتسمت: أولاً لست طفلة، ثانياً هذا ما علمتني الحياة.
يوسف: لابد أنها قاسية لتجعل فتاة في عمرك بهذا الفكر والقوة.
أحنت رأسها خجلا: ربما لم تعطني الكثير .. ولكي أكون واضحة أنا لا لم أعد أنتظر منها لا الكثير ولا القليل، ولكن أحلامي هي حقي المشروع وسأتمسك بها حتى أرحل.

ثم نظرت له وقالت بتساؤل: ألن تفحصني أيها الطبيب؟
يوسف: أولاً سأتمنى لك الشفاء دائما، وسأفعل ما بوسعي لتصلي لأحلامك اعدك .. ثانياً المريض حقاً هو من انطفأت لمعة الحياة من عينيه وليس أنتِ .. ثالثاً اليوم كنتِ أنتِ طبيبتي أيتها الملاك الصغير، أعدك بأنني سأعود لزيارتك قريباً.
ملاك: هل لي أن أعلم ما هو اسمك؟
يوسف: يوسف، اسمي هو يوسف.
ملاك: أنا أيضا أعدك أنني لن أرحل قبل زيارتك.
تبسم يوسف وصعد وهو يشعر أن شيئاً ما بداخله تغير بعد هذه المقابلة.
..

فتحت منتهى عينيها بصعوبة، وجدت خالد بقربها غائباً عن الوعي والدماء تغطيه، حاولت أن توقظه و لكنه لم يستجب لها، تحركت بصعوبة ووقفت لإيقاف أي سيارة، وقفت سيارة لأخوين ومن حسن حضها أنهما أطباء ذاهبون لمناوبتهم في المشفى الوحيد الذي ما يزال يعمل في تعز بعد أن أُغلقت كل المستشفيات بسبب تردي الأوضاع، دلتهم على موضع خالد وأخذوه وقاموا بالإسعافات الأولية ثم وضعوه في الخلف هو ومنتهى و في الطريق تحدث معها أحدهم قائلاً: يجب أن تجرى له جراحة حال وصولنا المشفى ولكن..
منتهى بإعياء شديد من الحادث: ولكن ماذا؟
أجابها الآخر: ولكن لا يوجد أي مواد تخدير بالمشفى.
شهقت منتهى برعب: ماذا تقصد؟

: أقصد أننا منذ البارحة إما أن نؤجل العمليات أو نقوم بها بلا تخدير، لقد انعدمت المواد المخدرة تماماً وتحاصرت المدينة ولكن في وضع زوجك فحالته لا تسمح، يجب إجراء العملية اليوم.

أمسكت منتهى بيد خالد ودموعها تغطي وجهها.

وصلوا إلى المشفى وحملوا خالد إلى الطوارئ بسرعة ومن خلفهم منتهى كانت الطوارئ أشبه بالجحيم، مرضى جرحى وأغلبية الأدوية والمسكنات منعدمة ومنع دخولها إلى المدينة والأطباء يواجهون مواقف مستحيلة من الألم ويحاولون توفير البدائل .. أدخلوا خالد إلى غرفة العمليات وأتت لمنتهى ممرضة لتداويها .. إلى وقتها لم تكن منتهى تشعر بالدم الذي يسيل من رأسها لقد تغطى كل ما عاشته على ألمها .. لم تمضِ دقائق على انتهاء الممرضة حتى رأت الطبيب الذي كان معهم في السيارة يخرج مسرعاً، لحقته منتهى وسألته ماذا هناك؟ أجابها: لقد نفد الدم من المشفى ولا احتياطي في المدينة ونحن بحاجة إلى قربتين حالاً من زمرتين مختلفتين الأولى لزوجك والأخرى لشاب مصاب.

أجابته منتهى على الفور: أنا سأتبرع لهم.

الطبيب: أولاً أنتِ متعرضة لحادث ثانياً نحن بالفعل نحتاج إلى زمرتين مختلفتين.

منتهى بثقة: أنا معطي عام .. لن أدع زوجي يتألم أمامي أكثر صدقني.

نظر لها الطبيب بتردد ولكنه وافق، وقبل أن يدخلا خرجت ممرضة مسرعة تسأل عن منتهى أجابتها منتهى بأنها هي قالت لها بأن زوجها أفاق ويريد أن يراها.

الألم يغطي جسمي بأكمله وخاصة كتفي، أشعر وكأن قطعة جمر قد التصقت به، ما الذي حدث؟ مرت آخر دقائق لي قبل أن أذهب في سبات عميق كحلم سريع هربنا من السيارات، انقلبت سيارتنا وتوقف كل شيء، ولكن مهلاً! منتهى لقد كانت معي، أين أنا؟ من أوصلني؟ أين منتهى ؟ حاولت النهوض ولكن منعتني امرأة يبدوا أنها ممرضة.

خالد: أنتِ لا تفهمين، يجب أن أطمئن على زوجتي.

الممرضة: هي بخير صدقني.

خالد: أنا بحاجة إلى أن أراها.

الممرضة: حسناً سآتي بها ولكن لا تتحرك. ذهبت الممرضة وعادت بعد دقائق ومعها ملاكي الحارس، اقتربت مني منتهى وجثت بالقرب من سريري.

منتهى: ستكون بخير .. أغمضت عينيّ بإرهاق وإعياء شديدين..

خالد: اتصلي بيوسف وغادرا إلى صنعاء حالاً.

أمسكت بيدي: لن أتركك وأغادر.

قلت بنبرة يملؤها الرجاء: أرجوك منتهى عودي إلى صنعاء.

منتهى: حسنا و لكن لا ترهق نفسك الآن.

قاطعتنا الممرضة وهي تسال منتهى: هل أنتِ جاهزة ؟

أجابت منتهى: نعم.

تحدثت وأنا أئِن من الألم: جاهزة لماذا؟

أجابتني بأنها ستعود حالاً، لم أعد استطيع احتمال الألم، بدأت بالصراخ والأنين.

بعد أن سحب مني الدم بالكمية التي يحتاجونها ذهبت مع الطبيب إلى غرفة العمليات أصريت أن احضرها معهم، وافق الطبيب أمام إصراري وبمجرد أن دخلنا سمعت صراخ خالد وأنينه، ذهبت له و أمسكت يده بقوة.
خالد بصراخ: أي جحيم هذا؟
تماسكت، خالد يحتاجني قوية الآن: تحمل قليلاً .. ستجرى لك عملية وبعدها ستصبح على ما يرام.
خالد بأنين و صراخ: أشعر بألم يمزق كتفي.
وقفت بقربه: لا خيار لك إلا الصمود، تحمل هذه الدقائق من أجلي يا خالد.
وشددت أكثر على يده فأجاب: غنِّ لي.
نظرة له بدهشة ولكنه أكمل: أشعر بأني سأموت من الألم، غنِّ لي يا منتهى أرجوك.
بدأ وقتها الطبيب بإجراء العملية واختلطت دموعي بدموع خالد وصوت غنائي بصوت صراخه وأنينه. كنت أغني ودموعي تغرق وجهي وأنا أراه يتألم حد الموت:
"عيناك حلمي الذي سيكون، كبيراً كما يحلم المتعبون ، كبيراً كخيرِ بلادي ..
يداك تلوح للعائدين، وتحمل خبزاً إلى الجائعين،
أحب يديك أحب يديك وأكثر أكثر أحب بلادي ..
ستكون لي لو تعشق الأوطان مثلي، سأكون لك، لو عاد للأوطانِ أهلي ..
عرسي هنالك حيث يحملني فؤادي، وأموت فيكَ أموت فيكَ متى تموت على بلادي..
يداك تلوح للعائدين، وتحمل خبزاً إلى الجائعين،

أحب يديك و أكثر أكثر أحب بلادي ..
وأنا أحبك كي ندوس على المدافع.. وتضيق بالأطفال ساحات الشوارع..
و متى يعود الصبح من بين الرمادِ.. سأموت فيك أموت فيكَ،
وقد أخونك مع بلادي.. وقد أخونك مع بلادي.. "

انتهت العملية التي بلا مخدر وكأنها مخاض ولادة أو سكرات موت، كان وجه خالد شاحباً بارداً مجهداً، وأنا ما زلت أمسك يده وأبكي، أخبرني الطبيب أن الخطر انتهى وأنه يجب أن يغادر إلى صنعاء حالاً، ولكن كيف سنخرج وأسماؤنا معممة على كل نقاط التفتيش، جلست واجمة قليلا أفكر ولكن خطرت لي فكرة، يوسف سأتصل به وسنعود معه كيف نسيت أنه في تعز منذ البارحة هاتفي أين هو؟ لقد كسرته وخالد هاتفه في سيارته التي انقلبت بنا، ذهبت إلى الممرضة أطلب منها هاتفها، اعارتني هاتفها واتصلت بيوسف وأخبرته عن مكاننا .. لم تمضِ سوى ساعة حتى رأيت يوسف أمامي، وقفت بلهفه وتعب وضممته.

يوسف وهو يضمني: ما الذي حدث منتهى؟ أنا لم أعد أفهم شيئاً.

أجبته بإرهاق: خالد لم يخنّا، لقد تلاعب بهم وقرر أن يجعلهم يعتقدون أن الذاكرة معه في حين أنها معنا ونهرب بها.

يوسف بغيض: وسيقتلونه..

قلت بحسرة: لو لم أعد، لكانوا قتلوه..

يوسف: وبعد أن عدتِ ما الذي حدث؟

منتهى: هربنا وتم توقيفنا في نقطة تفتيش، وصلت رسالة من بنان أنه قد تم تعميم أسمائنا فانطلقنا بسرعة فائقة وبعد مطاردة تشبه التي نراها في الأفلام نجونا منهم ولكن انقلبت بنا السيارة.

تنهد يوسف: أقسم أنني لن أغفر له كل هذا.

نظرت له بألم، لا طاقة لي لمناقشته الآن.

منتهى: خالد طلب مني أن نغادر أنا وأنت حالاً إلى صنعاء.

يوسف: لن أتركه هنا وأرحل.

منتهى: ولكن أسماؤنا معممة.

يوسف: أسماؤكم أنتم وليس أنا .. ثقي بي .. و لكن هل سيتحمل السفر إلى صنعاء وهو بحالته هذه؟!

منتهى: أعتقد أنه من الأفضل له أن يعود إلى صنعاء، هو بحاجة إلى رعاية طبية جيدة وحمايه أيضاً.

زفر يوسف: حسنا إذا .. سنتوقف فقط لنأخذ شيئاً صغيراً من مكان قريب ومن ثم سنغادر تعز.

..

عند نقطة التفتيش أنزل يوسف زجاج السيارة بكل ثقة أعطى الرجل بطاقته، نظر الرجل إلى منتهى الجالسة في الخلف ونظر إلى وراها

قال له يوسف بكل ثقة: لدي نساء.

نظر الرجل ليرى شخصين يلبسون الستارة، اللبس الصنعاني المخصص للنساء في اليمن، هز رأسه وأشار ليوسف أن يمضي..

تعصف بنا رياح الأيام بين خوف وبقاء، بين حب ولقاء، بين فراق ورحيل، وتبقى قراراتنا هي نقاط التحول، وتبقى النهاية حق للقدر .. مضت الأيام سريعاً بعد أن عدنا إلى صنعاء، أخذ طارق خالد إلى مشفى لم يخبرنا به للاحتياطات الأمنية .. توقفت حياتنا جميعاً بعد أن تأكدنا من أننا كشفنا إلا يوسف الذي كان دائما يردد دائما أنه وجد ملاكه الحارس، أكمل تجهيزاته لمعرضه دون أي خوف و أعلن أن عائدات المعرض ستكون قيمة لدواء ملاك الذي وعدها أن يوفره لها بالرغم من سعره الباهض جدا .. واجه الكثير من الصعوبات ليقيم معرضه ولكنه استمر، و بعد يومين سيكون معرضه الذي جعله حصراً على اللوحات التي رسمها في الحرب .. خالد لم يظهر أو يتصل منذ عدنا إلى صنعاء .. كذلك مهند الذي انسحب من حياة بنان تماما وبطريقة مفاجئة .. لقد صدمت به ظننت بأنه شخص سيء جداً ولكنني اكتشفت أن الحياة هي السيئة.

يوسف

كنت أجلس في شقتي التي حولتها لمرسم، أرتب آخر لوحاتي، سمعت جرس الباب كانت منتهى تخبرني بأن خالد عاد وأنه في منزلنا، نظرت لها بغضب ونزلت مسرعاً وهي تلحقني، دخلت منزلنا ووجدته يجلس في صالة المنزل، كتفه ما يزال مصاباً وقف مباشرةً عندما رآني ولكنه لم ينطق بكلمة ولا أنا، مرت ثواني، اقتربت بعدها منه ولكمته بقوه على وجهه حتى فقد توازنه ولكنه لم يسقط صرخت بي منتهى: هل جننت؟ ألا ترى بأنه ما يزال مصاباً ؟

أمسكته من ياقته بقوة وأنا أصرخ به: ألا يرى هو أي ألم ووجع سبب لنا؟ هل جن هو عندما أراد أن يتركنا؟ عندما فكر وحده وقرر وحده؟ هل أردت التخلي عنا يا خالد ؟

كان خالد يقف ساكناً لا يدافع عن نفسه لا يتكلم ولا يمنعني..

شعرتُ بغيضٍ أكبر ولكنني ضممته بقهر وحسرة، لقد أوجعنا به، جلسنا بعدها لنقرر ماذا سنفعل.

خالد: سيكون من الخطر علينا جميعاً البقاء في اليمن يجب أن نغادر وحالاً.

منتهى: ولكنهم يعملون أين نحن وإلى هذه اللحظة لم يتعرض لنا أحد.

يوسف: لأن كل طرف من الأطراف يريد المساومة على ما توصلنا إليه.

خالد: هذا بالضبط ما يحدث.

منتهى: ولكنكم أكدتم أنهم جميعاً متفقون.

يوسف: على مصالحهم الشخصية ومتى ما اصبح من مصلحتهم فضح شخص أو طرف معين فسينهون وجوده.

منتهى: والمفترض أننا سنكون هذه الطريقة.

خالد: إلا إذا غادر أحدنا وفضح الجميع.

منتهى بعصبية: خالد فكرة أن نضحي بالجميع انساها.

خالد: أنا لن أغادر اليمن يا منتهى، ليس قبل أن أجد إخوتي.

يوسف: هل تعلم من الأساس إلى أين ذهبوا؟

خالد: لدي معلومات عن عادل، سأبحث عنه أولاً وبعدها محمد.

منتهى: وأنا لن أغادر بدونك.

يوسف: و أنا لن أغادر دون أن أطمئن على ملاك.

خالد: و لكن يجب أن تغادر المعلومات وقريباً قبل أن يجبرونا على إتلافها أو استعمالها لمصلحتهم.

يوسف: لماذا لا نبحث عن شخص لا يثير الشبهات ليغادر بها؟

خالد: كي لا ندفع الثمن جميعاً بعدها، هل تتوقع أن المعلومات بعد أن تغادر بلادنا سيبقون على أحد منا؟

زفر يوسف: إذاً فلنكمل ما بدأت به.

نظر له خالد بتعجب وسأل: ماذا تقصد؟

يوسف: أقصد أن نماطلهم حتى نكمل مهامنا هنا ثم نغادر جميعاً.

ابتسم خالد بسخرية: لن تكتمل الحكاية هكذا صدقني.

يوسف بلامبالاة: دعها تنتهي كيف ما تشاء ولكن حاليا نحن سنماطلهم ولا يوجد أمامنا حلول أخرى.

في معرض اللوحات الخاص بيوسف، كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف، يوسف ومنتهى وخالد أكملوا ترتيبات المعرض ويستعدون للمغادرة، خرج يوسف ليشتري بعض الأغراض التي سيحتاجونها غداً في المعرض، بقيت منتهى تتأمل إحدى لوحات يوسف التي لم تكتمل بعد، أخبرها أنه لن يعرضها في معرض الغد وهي ترى فيها مزيجاً من ابتسامة بنان وملامح ملاك وآثار تراث و لون الدم، شعرت بأنها أجمل ما رسم يوسف، وأنها تريد حقا أن ترى نهاية هذه اللوحة، أما خالد فقد وقف أمام آلة بيانو كانت توجد في القاعة التي سيقام بها المعرض اقترب منها وبدأ بالعزف، نظرت له منتهى بدهشة.

منتهى: لم أكن أعلم أنك تستطيع عزف هذه الأغنية.!

تبسم وبدأ في الغناء: موطني موطني، الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك، والحياة و النجاة والهناء والرجاء في رباك، هل أراك سالما منعم وغانما مكرماً هل أراك في علاك، تبلغ السماك موطني موطني يا هناك في علاك قاهراً عداك..

توقف قليلا ..

منتهى وهي مأخوذة بسحر صوته ولحنه: لماذا توقفت؟

خالد: هل تعلمين ماذا يقصد بهذا المقطع ؟

هزت منتهى رأسها بالنفي: الشهداء .. شهداء الحق شهداء الكلمة كل من قتل ظلما في سبيل هذا الوطن كل قطرة دم منهم تهز عروش الطغاة وإن كابروا تزلل أمنهم وتقهرهم، وحده الشهيد من يستحق هذا المقطع .. ثم أكمل:

"يا هناك في علاك قاهرا عداك قاهرا عداك "

كانت منتهى ترى في عينيّ خالد نظرة غريبه وهو يغني، شعرت وكأنها في حلم أو لقطه خارج الزمان تلك اللحظات التي نشعر بأننا سنذكرها للأبد وبأنها أحد أهم

عناوين كتاب حياتنا .. عاد يوسف ورتب الأغراض و أخبرهم أن يستعدوا للانطلاق، رن هاتفه ولكنه بعد أن أجاب بدأ بالصراخ، نظرت منتهى لخالد بخوف، أغلق يوسف هاتفه وصرخ: لقد ألغوا المعرض !

سأل خالد: ماذا تعني بـ ألغوه؟

يوسف: أعني بأنهم يخبرونني الآن أن هناك مشكلة إدارية في وزارة الثقافة وسيتم إلغاء معرضي.

صرخت منتهى: وهذه المشكلة ظهرت الآن قبل المعرض بساعات وأنت تحظر له منذ شهور ؟!!

يوسف بقهر: من أعطاهم الحق في إضاعة تعبي ووقتي وجهدي وطموحي هكذا؟؟

خالد: ستقيم معرضك، أعدك إن قبلوا وإن رفضوا .. ستقيمه.

جلس يوسف وهو يشعر بإحباط: انتظرت هذا اليوم بفارغ صبري يا خالد أفرغت في لوحاتي كل جهدي ووقتي و ألمي .. هذه اللوحات هي جزء من روحي هي أنا أي ذنب ارتكبته ليكسروا ما تبقى فيّ من أمل بالنجاة؟! هؤلاء الذين يشجعون الدم ويقفون الحب أليس الأولى بهم أن يصنعوا تماثيل تقدير لنا؟ ألم يفكروا أن ما صرف على هذه اللوحات من وقت ولون ودمع وحلم يستحق التقدير؟!

الفن هو هدفي الأخير في هذه الحياة، إن أضعته اخبروني لماذا سأستيقظ كل يوم؟

جلس خالد بالقرب من يوسف وربت على كتفه: إياك والانكسار، ليس الآن يا يوسف، محبيك بحاجة لمعرفة ما حدث .. ملاك أيضا تحتاج أن يقام هذا المعرض.

تذكر يوسف ملاك وشعر بقوة تجتاحه، يجب أن يواصل حتى النهاية، لن يستسلم ليس هكذا وليس الآن. تحدث مع خالد: أعلن في الفيس بوك عن إلغاء المعرض و حاول أن تبلغ أكبر عدد ممكن من المدعوين.

منتهى بعقلانية: في كل الأحوال يجب أن تتواجد غداً بالتأكيد لن نستطيع إبلاغ الجميع.

هز يوسف رأسه موافقاً ثم أكمل: خالد، غداً يجب أن تكون هناك تغطية إعلامية

خالد باستفهام: لماذا؟

يوسف بغضب واضح: أنا أعرف كيف أرد اعتباري واعتبار الفن وكيف أوقفهم عند حدهم، جِدْ لي فقط تغطية إعلامية.

خالد: حسنا إذاً.

احتراق لوحة

وقف يوسف ومنتهى وخالد أمام وزارة الثقافة والتي تحوي القاعة التي كان يفترض أن يقام فيها المعرض .. حظر الكثير من الأشخاص الذين لم يصلهم خبر الإلغاء التعسفي للمعرض، أخذ يوسف لوحته التي لم يكملها وأخذ يرسمها أمام الوزارة والحاضرين الذين وقفوا في الشارع إلى جانبه وهو يرسم اللوحة، وحده خالد كان يعلم ماذا ينوي يوسف.. اكتملت اللوحة..

يوسف

وضعت آخر لمساتي على هذه القطعة من روحي .. لن يفهم ماذا تعني اللوحة للفنان إلا أولئك الذين ترسم أرواحهم عوضاً عن أقلامهم، شعرت بأنني أريد أن احتضنها، أن أودع صغيرتي هذه، استعرت نار حسرة وألم في قلبي كما تشتعل نار الحرب في بلدي، أشعر بأن من تسبب في هذه الحرب أقسم أن يجعلها تشتعل في قلب كل يمني على أغلى ما يملك .. نظرت لخالد بمعنى أن مراسيم هذا الاحتجاج قد بدأت، أعلنت للجميع ودموعي تقف في قلبي وشعور بالخذلان يعتصرني أنني سأحرق هذه اللوحة احتجاجا على إلغاء معرضي، أول من اعترض كانت منتهى، ترجتني أن لا أفعل، أخبرتني أن قيمة لوحاتي بالنسبة لها تساوي كنوز، ليتها تعلم أن هذه النار التي سأشعلها ستضيئ للفن في هذه البلاد دروبه .. لقد اعتدنا على التضحية من أجل هذا الوطن يا أختي، ولكنه يرفض إلا أن نقدم له حياة أرواحنا .. أغرقت اللوحة بالبترول وأمسكت عود ثقاب، تمنيت لو أنني

أستطيع التراجع، لو أن هذه النار تحرق كل من استهان بحياتنا وأحلامنا، ولكن لا خيار لي والنار لا تطفئها إلا النار، والظلام لا يبدده إلا الاشتعال، رميت عود الكبريت وأحرقت لوحتي، تمنيت لو أنني استطيع الجلوس والنواح عليها كالأطفال، كانت منتهى هي الوحيدة التي امتلكت رفاهية البكاء في وقتها .. على ضوء اشتعالها رأيت الكثير من الليالي التي هربت بها إلى مرسمي، مرت أمامي الكثير من الذكريات كالفلم الذي يعرض للموتى تماما، هل هي لوحتي تريد أن تشركني نزاعها؟ أن تريني أن لبعض الجمادات أرواح يفتقدها البشر؟ فجأة تبدد بي الألم شعرت وكان لوحتي تبتسم لي تخبرني بأنها ستكون بخير وأنني سأكون بخير وأن من تحت رمادها ستشرق شمس جديدة تطفئ نيران الحزن في قلبي وستهب رياح باردة توقد الأمل من جديد، و حتى وإن يأسنا من إخراج أحلامنا من تحت الأنقاض سنبقى مؤمنين بأنها ستزهر.

فقدت اليوم جزءاً من روحي واهديتها لوطن يحتاجها حقاً..

منتهى

بعد أن أحرق يوسف لوحته انتشر الخبر في كل مكان وتضامن معه العديد من النشطاء وكبار الشخصيات والمنظمات الحقوقية، استطاع خالد أن يجهز له معرضاً آخر أسموه "من تحت الرماد" .. حضره الكثير من المثقفين والأدباء والفنانين بعد الانتشار البالغ لقصة لوحته التي أحرقها، كان أحد أجمل أيام حياتنا، لم أرَ يوسف من قبل بهذه الثقة والاتزان وكأن شيئاً ما اشعل في عينيه، شعرت بالفخر به و بخالد الذَين أنجزا هذا المعرض من تحت الرماد فعلاً.

مرت الأيام سريعاً جداً بعد نجاح معرض يوسف، استطاع أن يوفر كمية من علاج ملاك وننتظر وصولها إلى اليمن، أما أنا فسأغادر صنعاء الليلة للبحث عن أخي عادل الذي انقطع عنا منذ أسابيع، فقد تأكدت من موقعه ستكون الرحلة غاية في المخاطرة ولكن لا خيار أمامي، يجب أن أعيد إخوتي قبل أن نغادر اليمن .. يوسف سيرافقني إلى تعز ومن بعدها سأكمل وحدي إلى الضالع، يقول أنه استطاع أن يوفر مسكّناً لملاك وأنه يحتاج إلى رؤيتها .. استطاع عمار أن يزوّر لنا بطاقات هوية جديدة لنتنقل بها .. لم أعد أعلم حقاً أي هوية يجب أن أحمل في بلادي كي لا أُقتل.

..

وقفت منتهى تودع يوسف وخالد وهي تدعو الله أن يعيدهما سالمين ثم تركها وانطلقا بسيارة يوسف .. توقف يوسف أمام استراحة قبل مغادرة صنعاء لشراء بعض المأكولات والماء وسمعا شاب يبحث عن وسيلة ليذهب إلى تعز نظر له يوسف فرأى شاب يبدو من هيأته أنه طالب ولكن تبدوا عليه أيضا علامات التعب والإرهاق، ذهب إليه يوسف وقال له: أنا وصديقي سنذهب إلى تعز، تسطيع أن تأتي معنا، نظر له الشاب بامتنان وشكره وفي الطريق عرفهم الشاب عن اسمه وحكى لهم حكايته.

أدهم: اسمي أدهم، كنت طالب هندسة مشتقات نفطية في الهند ولكن هذه الحرب اللعينة أوقفت دراستي، أوقفت مستقبلي و حولتني من طالب إلى متسول يبحث عن طريقة للعيش أو العودة.

..

الهند (السفارة اليمنية)

أدهم بصراخ: ماذا تعني بأن المنحة توقفت؟!

موظف السفارة بلامبالاة: أقصد أن الدولة لم تعد تمتلك ميزانية لدعم منحتك.

صرخ أدهم بصوت أعلى: أي دولة هذه التي تمتلك الملايين للحروب وتوقف منحنا نحن؟! لقد كنت الثاني على الجمهورية وأنا هنا من أوائل الجامعة بمختلف الجنسيات مستقبل هذه البلاد هو نحن .. بلد دمر ماضيه وحاضره ألا تستطيعون الإبقاء على مستقبله؟

موظف السفارة: اسمع هذا ما لدي ووجودك هنا لا فائدة منه سواء استوعبت ما نقول أم لم تستوعب فلا يوجد أي مال لدينا لنعطيك.

أدهم وهو يضرب طاولة الموظف بيده: أنا لا أشحت منكم، أنا أريد حقي الذي كفله لي القانون والدستور .. هذه المنح التي لم تتوقف إلا على الكادحين من هذا الوطن هذه المنح التي يلعب بأموالها أبناء المسئولين هنا هي مستقبل الوطن نحن الأرض والمستقبل والحضارة .. نحن هنا يشار لنا بالبنان تتهافت الدول على بحوثنا لقد دمر كل ما في اليمن لم يتبقى إلا نحن وعلمنا لبنائها لن نسمح لكم أن تجعلوا بلادنا وأحلامنا مجرد أنقاض لا يستطيع أحد بنائها من بعد .. أبقوا مستقبلنا بعيداً عن لعبتكم .. مستقبل طلابنا هو مستقبل هذه البلاد، هو آخر آمالها في النجاة

أين السفير؟ أنا أريد مقابلته.
الموظف: السفير ليس هنا، ليس بالهند ولن يعود قريباً.
أدهم وقد فاض به الكيل: هل تراني طفلاً؟ أي سفير هذا الذي يغادر البلد الذي هو فيها؟ وصرخ بصوت أعلى أريد السفير .. استدعى الموظف رجال الأمن وسحبوا أدهم إلى خارج السفارة وهددوه بسحب فيزته وإرجاعه إلى اليمن.
صرخ بهم: وهل تعتقدون أنني أستطيع البقاء هنا بعد أن أوقفتم شريان الحياة بالنسبة لي؟! ولكن أحد لم يجبه أكمل صراخه: عليكم اللعنة يا حقراء..
أتاه رجل كبير في العمر ربت على كتفه وملامح الحزن والبؤس تعتريه: سيؤذونك يا ابني هكذا.
ضحك أدهم بصوتٍ عالٍ بسخرية: ماذا تبقى يؤذوني به يا عمي؟ إنهم يدوسون على مستقبلي بأقدامهم. جلس على الأرض وهموم الأرض تتثاقل عليه وأخرج سيجارة و أشعلها ودموعه تلوح في عينيه: جعلوني أتمنى لو أنني بلا طموح بلا مستقبل أهكذا يعاقب من يتفوق في بلادي؟ أي وطن هذا الذي سأعود لأبنيه وهم يهدموني؟ مسح دموعه بيديه بحرقة ..
جلس الرجل الكبير بقربه: اسمع من عمك أحمد يا ولدي .. أنت ومستقبلك وطموحك لا تعنون لهم شيء .. لا استغرب استهوان العالم بنا، إذا كانت سفارتنا تعاملنا هكذا .. لقد طردت أنا أيضا منها لأنني أبحث عن قيمة لعلاج ولدي.
نظر له ادهم بأسى: بالتأكيد ميزانيتهم لا تسمح.
العم أحمد: أصبحنا كالأضحوكة، نبذتنا كل الدول، يتعامل معنا العالم وكأننا من نعتدي عليه، يستغلون ضعفنا ويعتقدون بأننا مهزون. أغلقت الدول العربية

أبوابها في وجهنا ونسوا أن أرضنا التي بقت مفتوحه لهم بيوتنا بيوتهم أمنهم من أمننا وراحتهم من راحتنا، أتحدى أي أحد سكن أرضنا أنه شعر بغربة، عاملناهم كما نعامل أبنائنا وإخواننا وآبائنا، نسائهم بناتنا وأخواتنا، وأطفالهم أطفالنا، واليوم يقفلون مطاراتهم أمامنا ويرمون بنا فيها ويمنعونا من دخول أراضيهم؟!
لم يفعلها الغرب وفعلوها العرب! لم أكن أعلم أن قلة الأصل أصبحت من عادتنا وتقاليدنا .. ويأتيك شخص لولا الماركات التي يلبسها يقول أن اليمن ليست أصل العرب ويبحث عن أدلة .. اسمعها مني يا ابني، أكبر الأدلة على أن اليمن أصل العرب هو ما يحدث الآن، تجمعت علينا كل القوى، انهكتنا الفتن، أقفلت العرب أبوابها، ومازلنا نحيا بكرامة، ومازلنا نناصر القضايا العربية وكأنها قضيتنا وما زالت اليمن مفتوحة أمام السوري والعراقي والفلسطيني والخليجي والمغربي وكأنها أرضهم وبلادهم رغم الدماء النازفة ما زلنا نخرج مطالبين بحقوق الفلسطيني مستنكرين دم السوري ما زالت اليمن أرض العطاء ودول أخرى تستهين بالعرب ويحتلها الأجانب.
زفر أدهم بضيق: ولكن يا عمي لا يستطيع أهلي تحمل تكاليف الدراسة، والدراسة هنا تأخذ كل وقتي أقسم أنني أحيانا لا أجد وقتاً للأكل، هل أعود؟ و إن عدت؟ ماذا سأفعل لبقية حياتي؟ لقد مرت ثلاث سنين بالفعل وتبقى لي سنتان فقط، ألا يستطيعون ادخار قيمة أسلحة ليوم واحد ستكون كافية لأكمل السنتين. يا رب لقد هدموا حياتنا فوق رؤوسنا، يا رب لقد ضاع مستقبلي، و ضرب بيده الأرض بقوة.

سيارة يوسف

أدهم: وهذه حكاية عودتي.

نظر له يوسف وهو يشعر بالحسرة على حاله: لقد تدنى بنا الحال إلى أرذل المراتب.

أدهم بسخرية: سينتهي بي الحال عامل في محطة وقود، ليس بعيداً جداً عن مجالي على كل حال.

خالد: لا تستسلم، لا تدعهم يوقفون حياتك.

أدهم: أرجوك لقد مللت هذا الكلام الذي لا طائل منه، أنا لم يعد لدي حياة ليوقفوها، لكنن واقعينا الهوية التي نحملها على جوازاتنا تعني أن حياتنا قد انتهت تماماً.

تبسم خالد بإصرار وحزن: ليس قبل أن نقرر نحن، يوما ما سنكون قادرين على قلب الطاولة عليهم صدقني..

..

بعد أن وصلوا إلى تعز أوصلوا أدهم إلى بيته، ودّع يوسف خالد وانطلق كلا في طريقه، ذهب خالد باتجاه الضالع بينما ذهب يوسف إلى منزل ملاك.

فتحت الجدة الباب وتبسمت عندما رأت يوسف.

الجدة: تفضل يا ولدي.

يوسف بابتسامة رائعة: كيف حالك يا أمي؟

الجدة: بأفضل حال الحمد لله.

يوسف: هل ملاك هنا؟

الجدة بإيجاب: إنها تنتظرك.
دخل يوسف إلى الصالة ووجد ملاك هناك تنتظره.
ملاك وهي تبتسم بشحوب وتظهر عليها آثار المرض: طمني كيف كان معرضك؟
تقدم يوسف صوبها بقلق بالغ: هل تشعرين بألم ؟
هزت ملاك رأسها نافية: كلا
يوسف بخوف: ولكن
ملاك: لا تقلق لقد أصبت بوعكة خفيفة الأسبوع الماضي وتحسنت.
يوسف بغضب: لماذا لم تخبروني؟
ملاك: لأنني أعلم بأنه موعد معرضك.
يوسف وهو يتنهد: ملاك معرضي أقمته من أجلك، لقد كنتي العراب لهذا المعرض، أنتِ أهم لدي من أي شيء آخر .. عيناك إن انطفأت أطفأت معها وطن ولون ولحن.
تبسمت ملاك: ألن تريني الصور الخاصة بمعرضك؟
يوسف: لدي لك هديتين اختاري من تريدي الأولى ؟
ملاك بشقاوة: صور المعرض
ابتسم يوسف على ذكائها: حسناً إذا.
حكى لها كل ما حدث معه وأراها فيديو اللوحة المشتعلة وصور المعرض الذي أقيم.
ملاك: كم أنت رائع يا يوسف، كيف استطعت أن توجع نفسك هكذا؟
يوسف بابتسامة حزينة: لطالما أوجعتني و أوجعتني الحياة، حقيقةً هذه المرة الأولى التي يثمر الوجع حب.

ملاك: لفترة طويلة ظننت أنني غير مستجابة الدعاء إلى أن دخلت أنت حياتي وتأكدت أن الله استجاب لي.

تبسم يوسف وأكمل: ألا تريدين هديتك الثانية؟

ملاك بحماس: بلى، ما هي؟

أخرج يوسف علبة دواء من حقيبته: علبة دواء من دوائك والباقي سيصلني قريباً

أخذته ملاك بحماس وهي تبتسم ولكن فجأة انطفأ حماسها ووضعته على الطاولة.

سأل يوسف باندهاش: ماذا هناك؟

ملاك بأسى: يوسف هل يمكنني أن أهدي الهدية؟

يوسف باستغراب: ماذا تقصدين؟!

ملاك ودمعها يغطي عينيها: في مركز السرطان هناك آلالف ممن يحتاجون هذا الدواء، أطفال وكبار سن، آباء وأمهات، شباب في مقتبل العمر، هذا المرض يحصد من الأرواح كما تفعل الحرب ولكن لا سبيل لمواجهته، لا سلاح للقضاء عليه - أكملت وهي تبكي - أخبرني يا يوسف لماذا تركونا وحيدين في مواجهته؟ لماذا لا يسمع أحد صراخنا، انتظار الموت أصعب من الموت نفسه، لا أحد يشعر بالرعب الذي نعيشه عندما ينعدم دوائنا، دواؤنا هو أكسجين الحياة، بدونه نتنفس الموت تصغر الدنيا في أعيينا ويصم الناس آذانهم عن أصوات صراخنا، هؤلاء الذين يصرفون الملايين في مفاوضات لا طائل منها ألا يستطيعون توفير ربعها فقط لإنقاذنا من كل هذا الألم؟!

يوسف بألم: أنا لا أعلم ما الذي استطيع فعله، أنا عاجز يا ملاك حتى لو تبرعت بعمري فأنا لا أملك إلا عمر واحد يكفيكِ أنتِ فقط.

ملاك: أنا لا أريد الحياة، أريد العدل، لماذا ندفع نحن ثمن كل هذا الألم ويقفون هم متفرجين؟
يوسف بإصرار: سيدفعون ثمن الألم الذي تشعرون به، أعدك بذلك يا صغيرتي.

اليمن – صنعاء

منتهى

استيقظنا مفزوعين على صوت قصف عنيف تهتز له الأرض والمنازل، أسرعنا جميعاً إلى الطابق الأرضي والقصف مستمر بطريقة مرعبة، احتضنت رغد ومها أختا خالد الطفلتين ودخلنا إلى تحت السلم للاختباء، ولكنني سمعتهما يتحدثان.
رغد وهي تبكي بخوف: مها هل سنموت مثل أسماء؟
كنت سأجيبها ولكنني صدمت بردة فعل الطفلة مها.
مها وهي تمسك بيد أختها وتبكي: أتمنى ذلك .. قالت ماما أن أسماء في الجنة هناك تستطيع اللعب دائما، هناك لا تسمع أصوات مخيفة كهذه، هناك توجد كهرباء دائما وجميع أصناف الاكل والحلوى، أنا أيضا أريد الذهاب لهناك، لم أعد أريد البقاء في هذا المكان، أخاف حقا من هذه الأصوات كما أنني اشتقت حقاً لصديقتي أسماء ولكنها تأتي إلى أحلامي وتخيفني والدماء تسيل منها وقد فقدت يدها.

غطت دموعي وجهي، إلى أي مرحلة وصلنا، أي مستقبل تمتلك هاتين الطفلتين؟ كيف لطفلة أن تتمنى الموت؟ عليها اللعنة من حرب جعلتهن يرين صديقتهن تخر صريعة أمامهن.. تذكرت الطفل الذي أصيب في تعز واخذ يصرخ "لاتقبروناش" لا تقبروني، وآخر أصيب في صعده وصرخ لا أريد أن أموت .. قال أحدهم يوماً وبعض أطفال العرب في الحرب يولدون ليته يعلم أن كثير من أطفال العرب في الحرب يقتلون.

أمسكت الفتاتين وتحدثت معهن: ألن يكون رائعاً أن نخيف من سبب لنا كل هذه الأذى يا فتيات؟

رغد بتساؤل: كيف نخيفه ؟

تبسمت بسخرية: نحرمه من الحلوى الخاصة به.

تبسمت الفتاتان ببراءة: أجل أجل

نظرت لهن بإصرار: حسنا إذاً، سنحرمهم الحلوى الخاصة بهم، أعدكن بذلك يا صغيراتي

اليمن – الضالع
خالد

خالد: أريد مقابلة قائدكم.

أحد المقاتلين: اذهب من هنا، لا قائد لنا

خالد بثبات: اسمع، أنا سأقابله والليلة وإلا ستجلبون لأنفسكم مشاكل لستم بطاقة لها.

اقترب منه أحد المقاتلين: الظاهر أنك تريد الموت.

خالد: حسناً إذا اعتبر الأمر هكذا، إما أن أقابل قائدكم وإما أن أموت.

أخرج الرجل سلاحه ووجهه إلى خالد ولكنه سمع صوتاً يمنعه.

توقف الرجل عندما رأى قائدهم آتياً.

قائدهم: ما الذي يحدث؟

أحد الرجال: هذا الشاب يريد مقابلتك، حاولنا منعه ولكنه لم يقبل.

صرخ قائدهم من بعيد: ماذا تريد؟

خالد بقوة: أخي .. لقد قالوا لي أن أخي يقاتل معكم في هذه المنطقة وأنا أريد أن أعيده.

اقترب القائد قليلاً، نظر لخالد مطولاً ثم صرخ: خالد؟!

نظر له خالد وصدم، إنه سعيد جارهم القديم أبٌ لطفلين رنا وأسامة، ما الذي يفعله هنا؟ لقد كان موظفاً قبل أن يترك الحارة ويغادر؟!

اقترب خالد منه: هل أنت سعيد؟

أمر رجاله بالانصراف، وحيا خالد الذي كان يشعر بصدمة بالغة، أخذه للجلوس في مكان أكثر أمانا.

خالد: كيف وصلت إلى هنا؟

تبسم سعيد بحسرة: ما الذي تقصده بهنا؟

خالد بصراخ: أقصد ما الذي يجعل موظف يحمل شهادة جامعية يصبح قائداً عسكريا في حرب بلا بداية أو نهاية؟

ضحك سعيد بسخرية: إنه شبح اسمه الفقر، هل سمعت به من قبل؟

خالد: هناك ألف طريق غير هذا.

سعيد: لا تتحدث عن شيء لم تعانيه أرجوك، أنت لست أب، لا تعرف معنى أن يصبح مرتبك الذي بالكاد يكفيك لا يكفي لأسبوع واحد، لا تعرف معنى أن ترى زوجتك التي كانت معززة مكرمه تخرج للخدمة في بيوت الناس وأطفالك يحرمون نفسهم من وجبات لتستمر الحياة .. هذا العالم الذي انشغل بكل تفاصيل الحرب همشنا، نحن من سوتهم الحرب بالأرض وأعدمتهم الحياة، هل كنت تنتظر مني أن أرى أطفالي يتلوون جوعاً أمامي وأقف عاجزاً؟ ووقت جوعك لن تخيفك أصوات الانفجارات.

نظر له خالد بحزن وربت على كتفه وأكمل: وأطفال الذين تقتلونهم ما ذنبهم ليتيتموا؟

سعيد: هذه معادلة صعبة، فهمتها متأخراً، أفكر كثيراً بعد أن أقتل من سيعتني بأطفالي .. منذ يومين وصلنا خبر وفاة ابن أحد المقاتلين برصاص راجع صعقتني الفكرة ماذا سيحل بي لو قتلت هذه الحرب أحد أبنائي .. بين فقر وموت وضعوني لم يكن لدي خيار يا خالد.

خالد: لو عاد بك الزمان هل ستختار الفقر؟
سعيد: لو أملك حق العودة بالزمن سأختار أن لا أتزوج، أن لا أجلب أبناءً إلى هذه البلاد يتعذبون ويكسرون ظهري بهم، سأختار أن افهم أننا ولدنا في هذه البلاد لنكون أتعس خلق الله وأنها ليست بحاجه إلى المزيد من التعساء.
خالد: ولكن من سعر هذه الحرب هو من يجب عليه أن يندم.
سعيد: ولكنهم لا يندمون، لا يدفعون الثمن، ولا يخسرون، ارجوك يا خالد استيقظ لترى أي جحيم أصبحنا فيه، لقد ربطنا بسلاسل من جهنم ولا أمل في النجاة، أنا حتى لم أعد أطلب النجاة إلى الجنة، أنا فقط أصبحت أطلب أن لا أدخل جنهم وحيداً.
خالد بإصرار: أعدك أن أجلب جهنم إليهم هنا، وأن أجعلهم يتمنون رحمة جهنم الحقيقة.
سعيد: يجب أن أذهب الآن، و لكن سأعطيك رقم شخص سيخبرك مكان أخيك بالضبط فهو قد نقل من منطقتنا منذ أسبوعين.
أخذ خالد الرقم واتصل به..

اليمن – عدن
خالد

سافرت إلى عدن، كانت رحلة متعبة مليئة بالمخاطر، ولكنهم أخبروني أن أخي ذهب إلى منطقة في غرب عدن .. لا أصدق أن هذه عروس اليمن أن هذه عاصمتها الاقتصادية ولوحة سحرها وجمالها .. لطالما كانت عدن الأخت المدللة لصنعاء، كانت لون الحضارة، لحن السلام في اليمن، كانت وصنعاء يشبهن القمر والشمس، يشبهن العشق والإخاء، يشبهن الورد والبحر، من أوصلنا إلى هنا؟ من جعلنا نخرب بلادنا بأيدينا؟ سيشهد علينا بحر عدن وتراث صنعاء عن ما صنعنا بهن، كُنَّ وسيبقين جانبين لجسد واحد، متحدات وإن رفضنا، تتألم إحداهن للأخرى، طعنات صنعاء تتألم لها عدن وزهور صنعاء تنبت في عدن .. جلست على الشاطئ أتأمل وأستريح قليلا، هواء هذه المدينة يحمل أكسجين نقي لا يوجد له مثيل على هذه الأرض، هوائها من الجنة، تحمل عدن ملامح سلام مشوهة كانت أجمل بنايتها التي تدل على الانفتاح الحضاري قد سويت بالأرض، فكرت كثيرا هل سيفرق مع أهل هذه البنيات أن يعرفوا من الذي هد بنياتهم وشوه مدينتهم هل هو قصف السماء أو الأرض ؟!

اليمن – صنعاء

مسجد

يوسف

وقفنا جميعاً في المسجد وقد أقيمت صلاة المغرب، وقفنا جنباً إلى جنب باختلاف مذاهبنا، منا من يضم ومنا من يسربل، ولكننا بقينا في النهاية أبناء حارة واحدة. كبرنا في هذه الأرض معاً ولم نسمع هذه المصطلحات العنصرية إلا في هذا الزمن، وقفنا أمام رب واحد جمعنا بدين واحد وروح واحدة .. قطع علينا حرمة الصلاة صوت انفجار يصم الآذان، أخرجنا من بين أيدي الله رائحه الموت والفزع كيف تجرؤوا على تدنيس حرمة بيوت الله؟ كيف اغتالوا الإنسانية بالتفجير في أطهر بقاع الوطن؟ من أي عالم أتى هؤلاء؟!!

أسرعنا نحاول انقاذ من تبقى مِنا، كان والدي يحاول أن ينقذ أكبر عدد ممكن من الصفوف الأخيرة للمصلين، تجمع كثير من الناس لإنقاذ المصابين وفي وقت تجمعهم سمعنا صوت انفجار آخر هز المسجد وأسقط عدد أكبر من الجرحى والقتلى، كان والدي أحد المصابين فيه، ركضت كالمجنون له كان الدم يغطيه صرخت بكل قوتي أخذته وانطلقت أجري إلى أن وصلت إلى سيارتي وأخذته إلى أقرب مشفى ودمه يطهر ملابسي ودمعي يعقم جراحي ما الذي ارتكبناه لنقتل ونحن ضيوف الله؟ أي دين يتبع هؤلاء؟ أي دين مجرد من الإنسانية يخطط لهم بهذه البشاعة؟ أترانا ننقص موت وألم؟

خرج الطبيب من غرفة العمليات وأخبرني أن والدي سيبقى في العناية المركزة لفترة ولكنه تخطى مرحلة الخطر.

زفرت بألم، أخذت هاتفي الذي حمدت الله أنه مازال معي واتصلت بعمي أخبرته بما حدث وأخبرته أن يأتي بوالدتي لتطمئن على والدي، لم تمضِ سوى ثوان ورأيت هاتفي يرن إنها منتهى أجبتها وصرخت بلهفة.

منتهى: يوسف هل أنت بخير؟

أجبتها بقوى خائرة: أي خير يأتي من هذه البلاد يا منتهى؟!

تنهدت منتهى: سوف ننجو، سينتهي كل هذا وسننساه، أعدك بأن ننسى كل ما حدث.

جلست على الأرض وتحدثت بانكسار شديد: أنا لم أعد أملك أي طاقة للمواجهة يا منتهى، كل هذه عبارات نكذب بها على أنفسنا، كل أشباح الوجع تكالبت علينا و على هذا الوطن، كيف سننجو من حرب ومرض وفقر ودمار ؟

نعاني جميعاً من مازوشية مفرطة، نذوب عشقاً في وطن لا يقدم لنا إلا الوجع، هذه الأرض التي ندفع أرواحنا وفاءً لها لم توف لنا ولا لمرة واحدة، هذا الوطن الذي تخافين أن أخونه خانني بعادته، خانني بقساوته خانني ملايين المرات. كيف سننجو بربك أخبريني؟

منتهى: ليس قرارهم، سيصحو هذا الشعب وسيمنعهم من اللعب بنا أكثر.

أجبتها بسخرية: لا تعيشي بأوهامك كثيراً يا منتهى، حتى نحن مصيرنا سنخسر هذه اللعبة.

منتهى: إياك يا يوسف، إياك والتخلي عن حلم أصبح واجب، نحن مسئولون بما نملك من معلومات.

شعرت بأنني عاجز عن الكلام، أخبرتني بأنها ستأتي مع والدتي إلى المشفى.

اليمن – عدن

خالد

اضطررت إلى التحرك ليلاً لأنني اكتشفت أن من يمشي نهاراً في شوارع عدن يتم قنصه، أصبحت المهزلة تشبه ألعاب الفيديو الرخيصة بالضبط .. لم تتوقف أصوات القصف ولا الرصاص، استطعت أن أصل إلى المنطقة التي دلوني عليها وطلبت مقابلة القائد، وعندما أتى:

القائد: لا مقاتلين لدينا بهذا الاسم.

صرخت: لقد دلوني إلى هنا، أخبروني أنه في هذه المنطقة، أرجوك أنا لا أريد شيء، أريد فقط أن آخذه معي.

القائد: و أنا أخبرك أنه ليس هنا، اذهب وابحث عن أخيك في مكان آخر.

أمسكته من ياقته: أنا لن أتحرك من هنا من دون أخي هل تسمع؟!

دعا ثلاثة من رجاله و بدئوا بضربي، حاولت مقاومتهم ولكنني لم أستطع، وضعوني أرضاً وصرخ بي قائدهم: إن رأيتك مره أخرى أقسم أنني سأقتلك ثم صرخ بهم: أخرجوه من هنا.

تطوع رجل لإخراجي، لم يكن من الذين شاركوا في تدريب عراكي، أوقفني و أخرجني ثم اقترب وهمس لي: أنت تبحث عن عادل .. أخوك أليس كذلك؟

هززت رأسي بإيجاب. تلفت حوله برعب ثم همس: قابلني على الشاطئ بعد ساعة من الآن وإياك أن تخبر أحداً.

نظرت له بغضب: ولكنني لا أثق بك.

نظر لي بنظرة صدق و أقسم: أقسم أني أعرف أين هو وأين أخاك محمد أيضاً.

امسكته من ياقته: هل أتى محمد إلى هنا أيضا؟
توسل لي: اتركني، سنفضح أقسم بأنني سأخبرك بكل شيء.
تركته وذهبت إلى الشاطئ انتظره.

اليمن – صنعاء

منتهى

كنا في طريقنا إلى المشفى لزيارة عمي أنا وأبي و والدتي سماح، نزلنا من السيارة أمام المشفى وفجأة سقطت والدتي على الأرض، هرعت لها وأنا اعتقد أنه أغمي عليها من القلق، ولكني ما إن اقتربت رأيت دماء، من أين أتت؟ كيف حدث هذا؟ حاولت أن أقيس نبضها ولكنني وجدته ضعيفاً جداً، صرخت بأعلى صوتي. خرج أطباء الطوارئ، صرخ الطبيب: حالة أخرى؟
صرخت به: حالة من ماذا؟
أجابني: ثالث شخص يأتينا هذا الأسبوع متوفٍ من الرصاص الراجع.
صرخت به: لم تتوفى بعد، أنعِشها، حاول إيقاظها، أرجوك لقد كانت تمشي منذ ثوانٍ فقط.
حاولت الممرضة تهدئتي ولكنني استمريت بانهياري، جريت معهم إلى غرفة العمليات، أخبرتهم أنني طالبة طب وأنني يجب أن أدخل معهم، انتظرنا أبي في الخارج وأنا دخلت معهم، كانت معدلاتها الحيوية منخفضة تماماً، أدخلوها إلى أجهزة الأشعة، قطعة الرصاص التي اخترقتها توقفت بالقرب من القلب تماماً.

شهقت برعب عندنا رأيتها، لم تمض سوى ثوانٍ حتى سمعنا صوت جهاز النبض يطلق صفيرته الأخيرة. لقد ارتسم خط واحد، أخذ الطبيب الصاعق الكهربائي، أمرني بالابتعاد و صرخ المرة الأولى: انتباه

الثانية

الثالثة

صرخ بالممرضة أن ترفع المعدل:

انتباه

الأولى

الثانية

الثالثة

لا فائدة، لقد استقر الخط، صرخت صرخة هزت أرجاء المشفى وجلست على الأرض أبكي وأنا أضع يدي على وجهي، بكيت حتى انقطع نفسي، لم أشعر إلا وأبي يضمّني.

والدي: قولي إنا لله وإنا إليه راجعون، هيا منتهى.

تحدثت وأنا أنوح: لقد تيتّمتُ مرتين يا أبي .. مرتين.

يا رب الحقني بهم، فهذه الحياة لم تعد تعنيني.

والدي ودموعه تخونه وتسقط: منتهى، يوسف يحتاجك الآن أرجوك اهدئي.

ابتعدت عن أبي وأنا أمسح دموعي بشكل هستيري: يوسف يجب أن يعلم، كيف سأخبره كيف؟!

تركت والدي وركضت إلى الغرفة التي يرقد بها عمي، دخلتها كان عمي على السرير ويوسف بقربه، واضع راسه على السرير ممسك بيد عمي يحدثه:

أرجوك يا أبي لا تتركني، ليس الآن، أقسم لك أن روحي لم تعد تحتمل الفراق. لقد أرهقتني الحياة بما فيه الكفاية، إن رحلت عني ستموت البقايا التي بقيت لي.
لم يرني ولم أستطع الاقتراب منه، جلست على الأرض ضممت أرجلي ووضعت رأسي عليهم وبكيت بحرقة، سمع يوسف صوت شهقاتي أتى مفزوعاً.
يوسف بخوف: منتهاي حبيبتي لما كل هذا البكاء؟
نظرت له بعجز وأنا لا أستطيع التحدث، هززت رأسي ولم أتحدث
رفعني من الأرض وضمني زاد وقتها بكائي و نحيبي.
صرخ بخوف: ماذا هناك؟
ودخل وقتها إلى الغرفة والدي.

اليمن_عدن

خالد

انتظرت لساعة وجاء بعدها ذلك الرجل الذي وعدني أن يتحدث. جلس بقربي وعرفني عن نفسه: أنا توفيق كنت زميل أخيك في الخيمة.
تبسمت بسخرية: هل كنتم تنامون في خيام ؟
توفيق بحزن: و ما زلنا..
سألته باهتمام: والآن أين أخي؟ وكيف تعرفت على محمد ؟
توفيق بأسى: لقد ضللت أسابيع خائفا من هذه اللحظة ولكنها أمانة في عنقي يجب أن أؤديها
صرخت به: خائف من ماذا؟ وأمانة ماذا؟

توفيق: بالنسبة إلينا، نحن مجرد أشخاص نبقى معاً إلى أن يفرقنا القائد أو الموت، تعودنا أن لا نتأثر، أن لا نحزن ولكن رحيل أخاك كسرني.

صرخت به وأنا أشعر بخوف بالغ: تحدث لقد أوقفت قلبي رعب.

فلاش باك

اليمن – عدن

صرخ القائد بمقاتليه: لقد انتصرنا في هذه الجولة، ولكن معلوماتنا تأكد أن الطيران سيقصف المنطقة بعد قليل .. بسرعة اذهبوا واجلبوا كل قطعة سلاح بقيت مع الجثث وكل ما تعتقدون أنه نصر يدنا.

عادل: لم يبق أحد منهم هنا ؟

توفيق: لقد هرب قائدهم ومن تبقى منهم حي

عادل: و لكن هناك بعضهم يتنفسون قد يستطيعون إنقاذهم.

توفيق: لهذا السبب يأتي الطيران ويقصف ليتأكد أن الجميع ماتوا ولن ننقذ أحد كي لا نأخذ معنا أسرى.

زفر عادل بقهر: أريد العودة، لم أكن أعلم ان الموضوع بهذه القذارة

توفيق: إنها الحرب.

عادل بحسرة: يا ليتني لم أشترك بلعبة بهذه الوساخة.

توفيق: يجب أن تعود بسلاح إضافي كي لا تعاقب.

صرخ عادل باشمئزاز: أنا لن أفتش بين الجثث .. أنا بشر، لست حيوان.

نظر عادل بوجع إلى الجثث من حولة لقد صدق خالد عندما قال الجحيم هي الفتنة التي أعمت أعيننا، فجأة صرخ بصوت مليء بالألم حتى أفزع توفيق.
عادل بصرخة تزلل لها الكون: لااااااا!!
أمسكه توفيق بفزع: ماذا هناك؟
ولكنه صرخ بصرخة أقوى: محمد
توفيق: عادل ما بك؟
صرخ بأسى وأخذ يبكي وينوح: أخي محمد أخي.. جثى على الأرض وهو يحاول أن يوقظه. أكمل: أفيق أرجوك، أتوسل إليك سننهي هذه المهزلة، لن أختلف معك أكثر أجبني أضربني أقتلني ولكن لا ترحل هكذا ليس الآن.
تلطخت يداه بدماء أخيه وهو يحاول إيقاظه: أرجوك سأفعل أي شيء، سأتركهم سأترك هذه البلاد لكن انهض معي انهض لنعود لأمي.
ثم صرخ بـ آه هزت المكان.
اقترب منه توفيق: عادل يجب أن نذهب، أسمع الطائرات تحلق، ستقصف المكان الآن.
عادل بانهيار ودموعه لم تتوقف: لن أرحل بدون أخي، لن أتركه هنا ليقتل مرتين.
وصرخ: قد تكون رصاصتي التي أصابته، هل تعلم أنني قد أكون قتلت أخي بيدي؟! ماذا صنع لأقتله؟ ماذا فعلت بنفسي لأصبح وحشاً هكذا؟ أي دين هذ الذي يقبل هذا الاجرام؟ أي جنة التي ستقبل قاتل أخيه ؟ صرخ بي، أخبرني مبدأ واحد يستحق أن أقتل أخي من أجله، أن أدمر بلادي وحياتي من أجله .. على أي عدو ننتصر بقتل إخوتنا؟! أي حق ننصر بقتل بعضنا البعض .. أي سلام سيزهر من بين كل هذا الدم أي حق سيظهر بين كل هذه الظلام هل نحن بشر لقد مات

أخي مات، قد أكون أنا من قتله، قد تكون رصاصتي من أردته قتيلاً، سحب جنبيته وأخذ يطعن يده.
صرخ به توفيق: هل جننت؟ أخذ منه جنبيته ورماها بعيداً، سقط عادل على الأرض ينوح وهو يضرب نفسه وكأنه يعاقبها على مقتل أخيه .. وقف وذهب إلى جثة أخيه، أغمض عينيه وقرأ الفاتحة عليه، وبداء يبحث عن شيء ليحفر له قبره وهو يبكي بحزن وانكسار، وتمر من أمام عينيه لحظات طفولتهم، مشاكستهم ، سقف واحد جمعهم، طبق واحد أكلوا منه، كم اختبأ خلفه ليحتمي من توبيخ والدته، لقد كان محمد دائما يأتي ويختبئ خلفه ليحميه بعد أي مشاكسة يقوم بها، ليته يستيقظ الآن وهو سيحميه بروحه، عض أصابعه بندم وهو يشعر بأنه كان مغيب كالمسحور، كيف أضاع أخاه بهذه الطريقة؟ صرخ به توفيق: لقد اقتربت الطائرات.
صرخ عادل: وأنا لن أترك جثة أخي دون أن أواريها.
فكر توفيق قليلاً ولكنه حسم أمره وذهب مسرعاً، لم تمض سوى دقائق حتى قصفت المنطقة حتى اشتعلت، شعر توفيق بغصة حزن وهو يسمع القصف، لم يستطع التحمل فعاد بعد انتهاء القصف ووجد عادل قد أصيب وهو في الرمق الأخير أمسك به والدماء تخرج من فمه أعطاه خاتمه وخاتم أخيه محمد واستأمنه أن يعطيهما لخالد عندما يبحث عنهم.
عادل: أخبره أنني أسأله بالله العلي العظيم أن يسامحنا أن يدعو لنا بالرحمة أن يغفر لنا .. رأى عادل سنين طفولتهم رأى بيتاً واحداً جمعهم وعمر واحد عاشاه معاً، كيف انتهيا قاتل ومقتول هكذا؟ الذي أشعل هذه الفتنة هل سيعاقب على كل هذا الوجع؟ هل نصرهم أحد بشاعة كواليس هذه الحرب.

وفاضت روحه بجانب روح أخيه الذي كان قد بدأ بحفر قبره ولكنه لم يكمله وكأن هذه الفتنة أبت إلا أن تدفنهما معاً في مقبرة جماعية يرمى فيها بقايا جثث القتلى، ستتقابل أرواحهم أمام الرحمن وقد أضاعا سنين عمرهم وسلب أحدهم عمر الآخر.

..

اليمن – صنعاء

منتهى

أمسك والدي يوسف وقال له: أنت مؤمن يا ولدي أليس كذلك؟

ظهر الفزع على ملامح يوسف وقال: ماذا هناك ؟

والدي وهو يحاول أن يختار كلماته: أنت تعلم أن لكل شخص قدره ولا يجوز لنا الاعتراض.

صرخ يوسف: ماذا حدث؟ هل هو خالد؟ ماذا حدث له ؟

والدي: ليس خالد ولكن..

يوسف وهو يكاد أن يغشى عليه من الفزع: ولكن من ؟

والدي: والدتك..

صرخ يوسف: ما بها والدتي؟ ماذا حدث لأمي؟ هل ارتفع ضغطها من الخوف؟

اخفض والدي رأسه وهو يستثقل الكلمات: البقية في حياتك..

صرخ يوسف وهو يبكي: هل جننتم؟ ماذا تقولون؟ لقد تركتها بكامل صحتها ما الذي يحدث ؟!

قطعت حديثنا الممرضة تستأذننا في نقل الجثة من الطوارئ إلى المشرحة، صرخ بها يوسف ثم تركنا وذهب يجري، لحقته بسرعة رأيته يدخل قسم الطوارئ كالمجنون حتى وصل إلى السرير الذي تنام عليه، ظننت أنه سيصرخ ولكنه جلس قربها بهدوء أمسك يدها وقبلها وبكى بحرقة حتى أغرقت دموعه ملابسه التي ما تزال ملطخة بدم والده وملائة السرير التي تنام علية والدته، وضع رأسه على صدرها وبدأ بالحديث بنبرة هادئة رغم الحرقة التي تملؤها.

يوسف: ها أنا أبكي على صدرك من جديد. ها أنا أهرب إلى حضنك، حيث الملجأ الوحيد لي يا أمي .. لقد وعدتني يا أمي أن تبقي بقربي حتى أشفى.. من لي الآن ليدعمني؟! كيف سأكمل وحدي؟ لمن تركتني في هذا العالم القبيح ورحلتِ؟ اغفري لي يا أمي كل لحظة عصيتك، أوجعتك، أهملتك فيها، اغفري لي يا جنتي .. سامحيني يا نبض قلبي .. سيحرق الله قلوبهم من حرموني منك، سيوجعهم بأغلى ما يملكون.

جلست على الأرض أبكي بحرقة، لقد كان يحدثها كما لو أنها هنا تسمعه، وقفت واقتربت منه واحتضنته، تحدث بصوت مخنوق يكاد يسمع.

يوسف: لقد ذهبت من كنت أتمنى أن أكون بخير لأجلها يا منتهى..

بكيت معه بحرقة، كم هي بشعة هذه الحرب، تقتلنا ملايين المرات برحيل من نحب، بعجزنا عن الحلم، بانكسارنا أمام الحياة، لم نعد نريد إلا أن نعلم إلى متى؟

اكتفينا وجعاً وما اكتفت.. اكتفينا رحيلاً وما اكتفت.. استهلكنا آخر طاقات الاحتمال وما اكتفت..

اليمن – عدن
خالد

أمسكت توفيق وضربته وأنا أبكي بحرقة وصرخت: هل تعتقد بأنني سأصدق هذه القصة؟ أين إخوتي.

أفلت نفسه مني وصرخ هو أيضا: أقسم أن كل كلمة قلتها لك حدثت بالفعل. وهذه خواتمهم.

جلست أمامه: أرجوك أتوسل إليك، أخبرني أنك تكذب، لا أريد أن أعلم أين هم ولكن أخبرني فقط أنهم ما زالوا على قيد الحياة.

رأيته يبكي، يقولون شيئين لا تكذبهما، دموع الرجال وقلوب النساء .. شعرت بأن قلبي سينفجر في صدري، شعرت بأنني أغرق وشيء ما يخنقني، صرخت بأعلى صوتي: آه يا رب آه ..

ضللت أصرخ حتى انقطع صوتي، كأن هناك نار واستعرت بي جلست على الأرض وصرخت: لقد رحلوا، يا رب لقد قتل أحدهما الآخر يا رب، أنزل علينا رحماتك، أوقف هذه المجازر وأمر بمطر يطفئ هذه الفتن يا رب، أنهكنا الوجع، قتلنا الألم، كسرتنا الفاجعة، خسرنا كل شيء يا رب.

ضربت على قلبي بقوة. شعرت بأنه سيتوقف من هول الفاجعة، انفجر أنفي بالدماء حتى كونت دائرة على الرمال.. أي حياة سأكملها وأنا أعلم كيف انتهى بإخوتي الحال؟! أي تعويض سيعيدهما وسيريح أروحهما؟! أي نهاية لهذه الحرب القذرة ستعوضنا عن ما حدث بنا؟! ..

اليمن – صنعاء

منتهى

مضت ثلاثة أيام منذ توفت والدتي ووصلنا خبر موت محمد وعادل في نفس اليوم فأصبح الحزن حزنين، والوجع وجعين .. منذ سنين ونحن في بنايتنا نشبة الوطن، قد نختلف ولكننا نبقى روحاً واحدة، أعراسنا أعراسهم وأحزاننا أحزانهم، لأننا عائلة واحدة حقاً وهذه المرة أيضا استقبلنا عزائنا معاً واختلطت دموعنا على والدتي وعلى فقيدينا .. خالد سيصل اليوم من عدن، لم يستطع العودة من هول الصدمة فذهب عمار لإعادته .. يوسف سافر اليوم صباحاً إلى تعز لم يقل لماذا أو إلى أين هو ذاهب، ولكنني أثق بأنه ذهب لمقابلة ملاك .. لا أعلم كيف استطاعت طفلة مريضة أن تصبح مصدر قوة لرجل بائس مثل يوسف .. بنان تبيت معي في شقتي كي تخفف عني، ليتني أستطيع أن أخبرها بما أشعر به، ليتني أستطيع الاعتراف بأنني أكاد أجزم أن شبح الموت لم يغادرنا بعد وأننا سنواجهه مرة أخرى. أشعر دائما وكأن ملك الموت يقف أمامي، ينظر لي، لم يغادر هذه البناية بعد، يبدو أن هناك شخص آخر يجب أن يرافقه قبل أن يذهب .. لقد جدمتني الفاجعة، يرجف قلبي دائما عندما أتخيل كيف كانت آخر لحظات عادل ومحمد، أشعر بأن أكثر امنياتي استحالة هي أن تنتهي هذه اللعبة دون خسائر إضافية .. سؤال واحد يراودني دائما: هل أنا القادمة ؟

كانت منتهى تطبخ الطعام في بيت عمها، ناداها عماد يخبرها بأن خالد قد عاد وأنه ينتظرها، استنشقت الهواء بقوة وهي لا تعلم من منهم يجب أن يسند الآخر. خرجت له وتركهم عماد لوحدهم .. نظر لها بحزن وتحدث بهدوء.

خالد: لقد ذهب إخوتي.

تجمعت الدموع في عينيها وبدأت سحابة الدموع تلوح: والدتي أيضا

قاطعها خالد: أووش .. حتى وإن حكينا أو بكينا لن يتغير شيء.

بدأ بمسح دموعها واقترب وضمها بقوة.

خالد: رائحتك هي الخمر الخاص بي، دعيني أثمل حتى أنسى.

ضمته منتهى بقوة أكبر.

منتهى: لا أشعر بالسكينة إلا بين يديك، دعني أختبئ بك من العالم بأكمله.

خالد: البقية في حياتنا يا حياتي.

منتهى: البقية التي في حياتنا يا خالد يجب أن نأخذ بها حق الراحلين.

زاد خالد من ضمته.

خالد: بعد أن ننهي هذه المعركة سنترك كل أعمال السياسة و سنسافر إلى جنوب افريقيا لدعم الأطفال، سأتفرغ للموسيقى وستتفرغين للطب، ستنتهي حياتنا في هذه البلاد أعدك.

أغمضت منتهى عينيها وسمحت لدموعها بالسقوط. أبعدها خالد عنه و سألها بلهفه قائلاً: أين يوسف؟

منتهى: ذهب لملاك.

خالد: يجب أن يعود الليلة.

منتهى: أعتقد بأنه فعلاً سيعود الليلة ولكن لماذا؟

خالد: لأننا سنضع خطة المغادرة.
هزت منتهى رأسها بإيجاب وتفهم: حسنا .. ولكن أين سنجتمع ؟
خالد: في بيتكم منتهى.
منتهى: حسنا لا أضن أن والدي سيمانع.

اليمن – تعز
يوسف

وصلت إلى منزل ملاك، استقبلتني جدتها كالعادة، رحبت بي ولكنني لم أجب بل سألتها عن ملاك أخبرتني أن أتفضل، دخلت وجلست على الأريكة التي في الصالة، أسندت رأسي وأغمضت عينيّ، سمعت بعدها صوت ملاك الملهوف

ملاك: يوسف هل أنت بخير؟

أجبتها ودموعي تخونني: لست بخير أبدا..

تقدمت نحوي بفزع: هل تبكي يا يوسف؟ ماذا هناك ما الذي حدث ؟

أجبتها: لقد رحلت والدتي..

طلت نظرة صدمة وحزن من عينيها: البقية في حياتك ..

يوسف: وأنا لا أريد هذه البقية، لم أعد أريدها يا ملاك، هل يمكنني أن أهبك كل الذي تبقى من سنين عمري؟

ملاك: ومن الذي أخبرك أن الذي تبقى في عمرك أكثر من عمري؟ هل تعلم أنك ربما قد ترحل قبلي ؟

نظر لها يوسف مندهش من ردها ولكنها أكملت.

ملاك: لماذا نتعامل مع الموت وكأنه قصة لن نعيش تفاصيلها؟ هم سبقونا ونحن سنلحق بهم .. ولكن على الأقل يجب أن لا نلحقهم بعار انكسارنا ونواحنا عليهم .. عندما توفى والدي وبعده بقليل لحقته والدتي شعرت بما تشعر به أنني أريد الرحيل ولكن بعدها بأقل من سنه أصبت بهذا المرض، شعرت بالخزي من أن أذهب إليهم مهزومة مكسورة..

أجبتها باختناق: ولكنها كانت ما تبقى لي من هذه الحياة.
ملاك: لقد أخبرتك أن لا تنتظر من الحياة أن تبقي على شيء تحبه.
يوسف: أريد السلام، أريد الراحة، أريد قليلاً من السكون، لقد استنزفت كل قواي في هذه المعركة.
ملاك: انسحب إذا .. فجر آخر اسلحتك وانسحب، صدقني الانسحاب في قمة الضعف يعتبر قمة الشجاعة، انسحب وليذهب كل هذا العالم للجحيم اشتري نفسك يا يوسف لا شيء يرهقك كما تفعل بنفسك .. خذ استراحة محارب .. بعض المعارك لم نوجد فيها لننتصر بل لنغير نهايتها فقط .. وأنت فنان ولست مقاتل لماذا تضع نفسك في أماكن لا تستطيع احتمالها؟
شعرت بأن كلماتها هي ما كنت احتاجه حقا .. سأغادر هذه البلاد، سأنسى كل شيء حدث، كل أصوات الانفجارات، كل صرخات الموت، كل ألوان الوجع الذي ذقناه، سأختبئ لشهور لسنين لبقية عمري، ولكنني لن أقف في أي مواجهة مرة أخرى ولا حتى مع مخاوفي، سأختبئ كجبان لبقية حياتي..

اليمن – صنعاء
منزل منتهى

اجتمع أعضاء الرداء الأبيض جميعهم، منتهى خالد يوسف بنان عمار طارق، لمناقشة خطة المغادرة، اتفقوا أن يتوزعوا للخروج من الحدود عمار وطارق سيخرجون إلى عمان لأنهم يملكون فيزه للخروج، منتهى ويوسف سيخرجون عن طريق البحر من عدن، وخالد سيخرج من منفذ الوديعة، يلتقون بعدها في مصر. ومن هناك يغادرون إلى جنيف بجوازات مزيفة .. الطريقة الوحيدة لتنفيذ هذه الخطة أن يخرجوا كلهم في نفس اليوم قبل أن يتم التبليغ باختفائهم جميعاً..

خالد: عمار طارق كم تحتاجان من الوقت لنعد كل شيء؟

عمار: أسبوع سيكون كافياً.

خالد: حسناً إذاً .. بنان أنتِ الوحيدة التي ستبقى هنا.

بنان: سوف أمدكم بأي معلومات تحتاجونها.

حرك خالد رأسه رافضاً: ستعرضين نفسك و مهند للخطر، يكفي.

ابتسم يوسف بسخرية..

طارق: نحن بالفعل قد جهزنا كل شيء منذ مدة طويلة، لا تقلقوا سيسير كل شيء حسب خطتنا، ولكن بعدها ما الذي سيحدث هل سنبقى هناك أم سنعود؟

خالد: أنا لن أعود.

يوسف: ولا أنا، لن أعود

منتهى: ولكنني أريد العودة .. خالد أنا لا أستطيع العيش بعيد عن بلادي هواء بلادي هو الاكسجين وما سواه اختناق.

خالد: وأنا أصبحت اختنق في هذه الأرض .. ثم إن عودتنا ستكون شبه مستحيلة
يوسف: هذا موضوع سابق لأوانه صدقوني، ليس الآن وقت مناقشته.
..

بعد مرور أسبوع
خالد

كم أعشق فتاتي الصغيرة هذه التي تختبئ الآن بين أحضاني، أعلم أنها تشعر بالخوف، أشعر برجفة قلبها بين يديّ كلما تنهدت كل ما زدت في ضمها ولا أعلم هل أطمئنها أو أطمئن نفسي، انتهت أيامنا في هذا الوطن وسنغادره إلى غربة نأمن فيها للأبد .. ستبقى حروف اسمه غصة في قلوبنا ولحن نشيده الوطني تراتيل عبادة وحبات ترابه انتمائنا الوحيد .. وقد يستطيع العشق الذي جمعنا يوما أن يغطي هذا الوطن ونسائم الحب قد تطفى نيران فتنة.
تركتها ووقفت، واشغلت جهازي المحمول على أغنية واشرت لمنتهى بيدي طالباً الرقص معها .. ضحكت بخفة وقالت لي: ظننتك تكره هذا النوع من الرقص.
أجبتها بابتسامة: لقد علمتني الحياة أن أحب أشياء كثيرة كنت أكرهها .. هل ستأتين؟ .. وضعت يدها بيدي وسحبتها بقوة وبدأنا الرقص.
"خلص الوقت ولازم روح، صار لازم روح، أمانة عندك بعدي الروح، بعدي الروح"
"ديري بالك على روحي وداوي على مهلك بالوفاء جروحي" نظرت إلى عينيها وكأنني أوصيها، ضمتني بقوة وكأنها تخبرني أنها ستحافظ على الأمانة للأبد.

"وبكرة برجع بشوفك نصيبك تعشقي مجروح" حملتها ودرت بها قليلاً و بدأت بالغناء مع الأغنية "راح خبي شمسي بعيونك وانتي غفيها لو شرقت بكره من دونك شو بدي فيها واذا بدك ابقى حدك من خدك انا بأخذ روحي"
كنا نرقص كلوحة متناغمة وكأن هناك شيء ما يحركنا، لم تفارق عيناني عينيها أبدا وكأننا كنا نتلوا كل وعودنا وصلواتنا بهذه الرقصة.
"نزل اليل وقلبي صار انا قلبي صار مثل الي محروق بنار وبدو النار" لا أعلم لماذا شعرت باختناق وأنا أفكر أن هذه اللحظات قد تكون الأخيرة بيننا وأنني سأفقدها لبقية عمري، فأكملت الغناء معه بصوت مجروح أعياه الصراخ من الألم والفقد "بعدك على ناري بالهوى صغيره هالحب شوب يسوى بلا هاذي الغيره ونصيبي غيرتي عليكي نصيبك تعشقيني بنار" ضممتها بقوه وقبلتها في عناق قوي وأنا اشعر بأنني أسطر آخر ذكرياتي معها.
"راح خبي شمسي بعيونك وانتي غفيها لو شرقت بكره من دونك شو بدي فيها واذا بدك ابقى حدك من خدك انا باخذ روحي" ...

..

اتصل بنا بعدها يوسف يخبرني أنه أصبح جاهزاً للمغادرة هو ومنتهى، أخذت حقيبتها ونزلت معها لأودعها .. اقتربت من يوسف وهمست له: مدين أنا لك بحياتي ويوماً ما سأرد لك الدين.
اجابني باندهاش: أي دين؟
تبسمت وأجبته: لا شيء ثم قلت له بابتسامة واسعة: أغمض عينيك أريد أن أودع زوجتي.

اخفضت منتهى رأسها بخجل ولكمني يوسف بخفة وهو يضحك اقتربت من منتهى وقلت: لو لم تكوني في حياتي لآمنت أنني من المغضوب عليهم .. على مدى سنيني كلها كنتِ أنتِ الشيء الذي يثبت لي أن الملائكة دئما من حولي يا أغلى من نبضات قلبي .. ضممتها للمرة الأخيرة، اقتربت من يوسف وأخذت السلسلة التي معلقة بها الذاكرة وأخذت من يد يوسف خاتمه الذي ارتداه طول حياته وأخذت من يد منتهى خاتم كان لوالدتها وقلت لهم بابتسامة مشاكسه وأنا ألبس السلسال على رقبتي: أعذراني فأنا أريد ذكريات قيمة منكما إلى أن نلتقي وأعدكم بأنني سأعيد هذه الذكريات. تبسم الاثنين على تصرفي، ودعتهم مرة أخرى وانطلقا بسيارة يوسف باتجاه عدن للمغادرة .. يفترض أن أتجه أنا الآن إلى منفذ الوديعة، نظرت إلى السلسلة وتبسمت بحزن، لم يخطئ يوسف أبدا عندما اتهمني بالعناد .. سأنهي هذه القصة كما أردت .. أخذت سيارتي وانطلقت باتجاه المكان الذي جهزته خصيصاً لهذه اللحظات.

اليمن – ذمار

منتهى

كنا في طريقنا أنا ويوسف إلى عدن، اتصل بنا عمار ليخبرنا أنهم غادروا اليمن ولكنه يتصل بخالد ولا يجيبه، أخبرنا أن نؤكد عليه أن يكون في المنفذ اليوم .. اتصلت بخالد ولكنني وجدت هاتفه مغلقاً شعرت بالقلق لقد اتفقنا أن لا نغلق هواتفنا .. اتصلت ببنان وطلبت منها أن تتأكد هل خالد ما يزال في المنزل أم لا. أخبرتني أنها رأته يغادر، تنهدت براحة وقلت ربما نفذ شحنه، المهم أنه غادر .. كانت الشمس قد غابت منذ ثلاث ساعات والجو بارد، فجأة انفجر إطار السيارة وتوقفت، نزل يوسف حاول إصلاحه ولكنه لم يستطع ولم نجد من يصلحه في هذا الوقت، أخبرونا بأنها ستكون جاهزة في الفجر فقررنا المبيت في ذمار وإصلاحه غداً في الصباح الباكر .. سيعرقل هذا من خطتنا كثيراً ولكن سيكون من الخطر أن نسافر بأي سيارة أخرى، لذلك اضطررنا أن نبيت في ذمار هذه الليلة.

اليمن – صنعاء

مهند

أكملنا صلاة العشاء وخرج كل من في المسجد، جلست أدعو وأنا أشعر بحرقة و حسرة و ضياع، دعوت كثيراً حتى سالت دموعي ولا أعلم لماذا .. وجدت شيخاً كبير في السن يربت على كتفي ويسألني ماذا بي، أجبته بحرقة: لم أعد أعلم أين الصواب أين الطريق الصحيح وأين الخاطئ ؟

الشيخ الكبير: دع روحك تهديك روحك يا ابني، هي نفخة من روح الله، ستهديك للحق والخير مهما حدث.

أجبته: و لكنني لوّثت روحي.

الشيخ: صدقني يا ابني قد يتلوث أي شيء إلا الأرواح تبقى طاهرة مطهرة .. ولكن أخبرني ما الذي يحيرك هكذا؟

أشرت له بأني لا أعلم وأجبته: أضعت طريق الحق، أشعر وكأني أبتعد عن طريق الله أو أعبده بالمذهب الخاطئ.

ضحك الشيخ: طريق الله يا ولدي هو كل الأديان السماوية .. كل الأديان خرجت من مشكاة نور واحدة وتوصل إلى مصدر هذا النور، اتبع ضياء قلبك، اتبع الحق والخير والإنسانية هذا هو مذهب الله.

نظرت له باستفهام: ماذا تقصد؟

الشيخ: أقصد يا ولدي أن طريق الدمار والدماء لا يوصل إلا لدمار ودماء والله جميل يحب الجمال ولا يعبد إلا بالجمال وهذه الحرب قمة في البشاعة، فحاشاه أن يعبد ببشاعة.

أجبته وأنا أفكر: ولكنني أخطأت..

الشيخ: لمثل هذا خلق الاستغفار .. ولكن يابني الاستغفار ليس كلمات تقال باللسان، بل اعمل به.

سالته باستفهام: كيف؟

الشيخ: استغفر بأن تزرع مكان كل ذنب أذنبته خير.

شعرت وقتها بأن طاقه هائلة من النقاء غطتني، وقفت مسرعاً وقد اتخذت قراري قبلت رأس الشيخ وشكرته وخرجت متجهاً لبيت بنان، سأنقذك يا خالد وليغفر الله لي بهذا خطاياي.

..

وصل مهند إلى منزل بنان، رأى الصدمة في عينيها فقد انقطع عنها منذ زمن طويل تحدث بسرعة مهند: إنهم بالفعل يعلمون اين خالد ومنتهى ويوسف وسيتجهون لهم الليلة.

نظرت له بنان بصدمة: ماذا تعني بأنهم يعلمون أين هم ؟

مهند: أعني أنهم يعلمون أن عمار وطارق غادروا متجهين إلى القاهرة ومن بعدها جنيف، ويعلمون أن الذاكرة ما زالت مع خالد ومنتهى ويوسف وأنهم يخططون للمغادرة غداً ويعلمون أين مكانهم في صنعاء.

ترددت بنان ولكنها تحدثت: أَقْسِمْ بأنك لن تخونني إن تحدثت؟

بحث مهند حوله حتى وجد مصحفاً أخذه وأقسم عليه بأنه لن يخونها.

بنان: لقد غادروا صنعاء جميعهم اليوم.

مهند بصراخ: استحالة، إشارة الجي بي أس تشير إلى أنهم ما يزالون هنا.

بنان بفزع: ماذا تقصد؟

مهند بشك: ألا تعلمين؟!

بنان بصراخ: أعلم ماذا؟

مهند: هل تعتقدين أنهم تركوهم كل هذه المدة ثقة بهم؟ لقد وضعوا تقنية حديثة من التتبع تأكد لهم أن المعلومات لم تنسخ أبدا وتحدد لهم موقعها.

اختنقت بنان: ولكن كيف؟؟ أقسم لك أنهم غادروا بالفعل.

مهند: لقد اقسمت لك يا بنان جهاز التتبع ما يزال في صنعاء .. وسيتجهون له غداً صباحاً وإن حاولوا أن يخرجوه من صنعاء سيمنعونهم.

تذكرت بنان محادثة منتهى لها صباحا وشعرت أن هناك شيء خاطئ فعلاً حكت لمهند ما دار بينها وبين منتهى من حوار فكر مهند قليلا ثم تحدث

مهند: بنان أخشى أن ما أفكر به صحيح .. ولكني أعتقد أن خالد أبقى جهاز التتبع معه ويحاول التمويه كما فعل من قبل.

شهقت بنان بفزع: ولكن هكذا سيقتلونه!

مهند: اتصلي بمنتهى اسأليها.

اتصلت بنان بمنتهى ولكنها لم تجبها جلست بنان على الأريكة واجهشت بالبكاء.

زفر مهند بحزن واقترب منها، تردد قليلا ولكنه امسك بيدها: أعدك أنني سأحاول بكل طاقتي أن يخرجوا من هنا سالمين، لا أريد أن أرى دموعك مجدداً.

تبسمت له بصعوبة: لقد انتظرت طويلا لأرى حقيقتك هذه، كنت أعلم أن شيئاً ما داخلك سينتصر عن ما صنعت منك الظروف.

مرت ساعة أخرى قضتها بنان في ترقب وبعد أن أشرقت الشمس بقليل اتصلت منتهى ببنان.

منتهى: صباح الخير

بنان وهي تحاول أن تكون هادئة كي لا تفزع منتهى: صباح النور .. أين أنتم ؟
منتهى بضيق: مازلنا في ذمار، انفجر إطار السيارة ولم نستطع أن نكمل الرحلة
زفرت بنان براحة: أعتقد أنكم يجب أن تعودوا إلى صنعاء.
سألت منتهى بخوف: لماذا؟ ..حكت لها بنان كل شيء تعلمه..
تحدثت منتهى بلهجة مصدومة: تقصدين أن خالد لم يغادر صنعاء .. وأنه يحمل جهاز تتبع ليجعلهم يلحقون به ويتركوننا؟! .. تذكرت منتهى السلسال الذي أخذه وصرخت برعب، علا صوت صراخها استيقظ يوسف مفزوعاً..
..

اليمن – ذمار

يوسف

استيقظت على صوت صراخ منتهى، أسرعت لها لأسألها ما الذي يحدث؟ تحدثت بكلام غير مفهوم لم أستوعب منه شيء إلا أن خالد في خطر، أخذت الهاتف من يدها وتحدثت إلى بنان التي أخبرتني بكل شيء رميت الهاتف وصرخت: هذا الحقير العنيد إلى أين يريد أن يصل؟
تحدثت منتهى من بين دموعها: دعنا نعيد لهم الذاكرة ونغادر أرجوك يوسف لا أريد خسارته أرجوك.
أمسكت بيديها وتحدثت وقد اتخذت قراري: هذه المرة لن نسمح للموت بسرقته منا، يكفينا من قد رحلوا أخبرتني ملاك أن الانسحاب في قمة الضعف قمة الشجاعة، سنترك هذه اللعبة التي لن ننتصر فيها أبدا وسنغادر وسننسى لن نضحي بخالد أعدك.

أسرعي، يجب أن نعود ونعيد لهم الذاكرة، قفزت مسرعة وفي دقائق كنا في السيارة التي كانت جاهزة للاستعمال .. اتصلت بعمار لأطلب منه محاولة تحديد موقع خالد أو التواصل معه.

..

اليمن – صنعاء

خالد

وقفت أتأمل الشروق وأستنشق هواء الصباح غالباً سيكون هذا آخر صباح في حياتي، إنني أقترب ألف خطوة من الموت في كل دقيقة تمضي، أغمضت عيني لن أفكر لأنني لو استوعبت ما الذي أفعله فسأترك كل شيء وأهرب، لست بائساً للدرجة التي تجعلني أسابق الريح للموت .. على الأقل أنا أملك أنامل عزفي وعينيها لأعيش من أجلهما ولكن بالتفكير أنا أجد أن لا حياة لي بدونها، أنا أناني أفضل الرحيل على أن أبقى وأراها تدفع ثمن تهوري واندفاعي، أي غباء هذا الذي جعلني أعتقد بأنني سأقف أمام رجال الشيطان أنفسهم وأنتصر؟ إذا كان يجب أن يدفع الثمن فليكن بروحي وليتركوا روحي في حالها.

..

انطلق يوسف بأقصى سرعة ووصل إلى صنعاء وتوجه على الفور إلى بنايتهم حيث تتواجد بنان ومهند والجميع يحاولون معرفة أين خالد الآن .. صعد السلالم بسرعة وأول ما رأى مهند أخبره أن يتصل بهم ليسألهم عن مكان خالد، أخبره مهند أنه قد سأل بالفعل ولكنهم أجابوه بأنها معلومة سرية لا يعلمها إلا القادة الكبار.

..

خالد

سمعت أصوات سيارات كثيرة تتوقف أمام البيت المهجور الذي بقيت فيه، تبسمت بخوف وألم: لقد جاؤوا إذاً. أمسكت قلبي بخوف وتنفست بعمق، دعوت الله في داخلي أن يلهمني الصبر على الساعات القادمة وأن يخفف عليّ الألم

الذي سأشعر به .. كسروا الباب ودخلوا، تقدم اثنين من قادتهم ضحكت بصوت عالي وقلت لهم: أليس الإعلام يتحدث عن خطف أحدكم للأخر؟

أجابني أحدهم والذي يترأس حزباً يتحدث باسم الدين ليل نهار ويدعوا إلى الحرب من أجل تطهير اليمن: لا داعي للتمثيل هنا، فأنت تعلم كل شيء بالفعل، أم نسيت الفيديو الذي جئنا لأخذه منك.

اقتربت منه فأمسكني اثنين من حراسه، حاولت الإفلات ولكني لم أستطع فتحدثت باستفزاز: هل تقصدون الفيديو الذي يوثق هذا الاتحاد بين الشياطين؟

ضربني بقوه ورجاله ما يزالون ممسكين بي بقوة.

تحدث القائد الآخر والذي ينتمي لجهة أخرى: أعطنا الذاكرة إن كنت تريد البقاء في هذه الحياة.

تبسمت لأزيد استفزازهم: أنا أريد البقاء ولكن ماذا أفعل فالذاكرة لم تعد معي.

صرخ بي أحدهم: ماذا تقصد بـ ليست معي؟ جهاز التتبع يشير إلى أنها هنا!

اقترب مني ورفع السلسلة ليجد الخواتم معلقة بها فقط.

ضحكت بقوة: أوه.. أعتقد أن ما تبحثون عنه قد غادر اليمن بالفعل.

شعر الرجل بغيظ شديد وضربني حتى نزفت من كل مكان في وجهي.

أجرى اتصالاته ومن ثم أمسكني من شعري ورفع رأسي وقال: إن كنت تعتقد أنك هكذا ستغير شيئاً فدعني أخيب آمالك وأخبرك أنك ستموت مثل الكلاب. ولن يتغير بموتك شيء والفيديو لن يعرض و لو قتلنا كل من يعلم بأمره، كم عددكم عشرة أشخاص؟ حسناً أنتم لا تساوون ضحايا تفجير واحد من الذي نقوم به، أنتم كنتم لا شيء وستبقون لا شيء، كنا نحن الحكام وسنبقى، ودمائكم ستسيل أرخص من التراب كدماء إخوتك مثلا.

شعرت بقهر بغيض بأنني أريد البكاء، بصقت على وجهه وأنا موقن تماماً أن هذه آخر لحظات حياتي.

مسح بصقتي وضحك بقوة وأمرهم بأخذي، اقترب وهمس: أقسم بأنني سأجعلك تتمنى الموت قبل أن تذوقه.

..

يوسف

وصلت معلومات لمهند أنهم وجدوا خالد وأخذوه إلى معسكر في أطراف صنعاء، أسرعنا كلنا نريد اللحاق بهم ركبنا سيارتي حاولنا تشغليها ولكنها لم تدار، رأيت إشارة الوقود تشير بانعدامه ضربت المقود بيدي وصرخت لقد نسيت أن أزودها بالوقود في ذمار، صنعاء منعدم فيها الوقود تماماً إلا من السوق السوداء بأسعار خيالية، هذا إن وجد، صرخت وأنا ألعن كل هذا الخوف، استطاع مهند أن يتصل بشخص يبيع لنا 20 لتر من الوقود مقابل 25 ألف ريال يمني أي ما يعادل 100 $ ، لم يكن لدي أي مال وقتها ولا منتهى بحثنا ولكننا لم نجد وصل الرجل الذي معه الوقود بدراجة نارية ولا يوجد لدينا مال ضربت السيارة بقدمي وجلست على الأرض وأنا شعر بأنني أريد أن أختفي من الوجود اقتربت منتهى وخلعت سلسالها الذهب وسالت الرجل ان كان هذا يكفي ؟

نظر إليها بصدمة وسألها إن كانت تملك أي نقود، أخبرته بأننا نحتاج الوقود لإنقاذ شخص من الموت وأنه لا مال لدينا الآن.

نظر لها قليلاً ثم قال: أنا لن آخذ سلسال الذهب مقابل وقود، سأتصل بمهند ومتى ما توفر لديكم المال تأتوني به، بكت منتهى وهي تشكره لقد كان هذا السلسال

هدية نصر له، إنه يعني لها الكثير .. وضعنا الوقود في السيارة وقبل أن نركب السيارة أوقفني مهند وطلب أن يقود هو، أخبرني بانه لديه تصاريح لن تجعلهم يوقفونا، ولن تثار أي شكوك حولنا، شعرت أنه من سلامة منتهى وبنان أن يقود هو، فصعدت من الباب الآخر وانطلقنا بسرعة خارقة مخترقين كل قوانين السلامة. ..

خالد

توقفت السيارة التي وضعت فيها لقد أغمضوا عيني لا أعلم أين أنا ولا من أي طريق ذهبنا، نزلنا من السيارة وأدخلوني مكان لا اسمع فيه أي صوت، وكأنه مكان مهجور شعرت بهم يربطوني فيه.

صرخت بهم: والآن ماذا؟

أجابني أحدهم: والآن ستبقى هنا إلى أن تأتي الطائرات لتعطيك هدية صغيرة.

ضحكت بكل أنواع الألم والحسرة ولقد فهمت ماذا يقصد.

أجابني وهو يضحك: اضحك كثيرا لأنها آخر لحظات حياتك، ثم أكمل بطريقة مستفزة: سأدعك الآن تنتظر المفاجآت التي بانتظارك، ما رأيك أن تعد إلى المئة قبل أن يأتوا؟!

سمعت أصوات أقدامهم تبتعد، وبعدها عم السكون المكان .. لقد تركوا المكان وذهبوا، لن يطول الوقت بالتأكيد هي دقائق وستقصف الطائرات المكان.

منتهى

جلست في السيارة ودموعي تغطي وجهي .. إن رحل خالد فسأتبعه، لم يتبقى لي من الحياة إلا هو، أقسم أنني لم أؤذي أحد، لم أذنب ذنباً أعاقب عليه بهذه القساوة. هذا الذي ينبض داخلي لقد تحمل ما يفوق طاقتي، لا أحد يعلم أن تقف كل سنة في عزاء أحد من عائلتك.. كرهت الحياة كرهت الحب، لم يبقى لي هو .. يا رب أسألك بأنني لم أعبد يوما غيرك احفظه لي يا رب، ولن أطلب منك أي شيء آخر، احميه من أجلي وسنترك كل هذا .. لقد اخطأنا عندما دخلنا هذه المعركة يا رب أعدك بأننا سننسحب، سنغير هوياتنا وجنسياتنا و لن ننتمي لهذا الوطن بعد الآن. ولكن لا توجع قلبي به .. شعرت بألم حاد فصرخت ب آه حتى بح صوتي.

..

خالد

بعد أن تأكدت بأنني وحدي، علمت بأن هذه آخر دقائق لي على هذه الأرض شعرت بغصة تخترق قلبي وتحرقه، سمحت لنفسي أخيرا بالانهيار وكأنني للتو استوعبت ما الذي يحدث فأخذت أصرخ وأصرخ حتى انقطع صوتي، فبكيت بعدها وبدأت بالتحدث وكأن هناك من سمعني: يا رب سنقف أمام يديك ولن أغفر، يا رب آذهم كما آذوني، دمرهم كما دمروني، اللهم أني أشهدك أنني أردت لهذه البلاد الخير والسلام، يا رب اغفر لي، هوِّن عليّ سكرات الموت، أخرج روحي بسلام – زاد بكائي حرقه – اغفري لي يا منتهى، اغفري لي يا حبيبة عمري، سأشتاق لعينيكِ، سأشتاق لابتسامتك التي طالما أحييتني بها، اغفري لي خذلاني يا نبض قلبي، أنا خائف من الموت، خائف من الألم، احميني يا أجمل ما في حياتي

احميني من كل هذا الوجع، لا أريد أن أتركك، احميني أرجوك .. يا رب هون عليّ يااا رب اغفر لي، يا رب هون عليّ يا الله، أين أنتِ يا منتهى؟ أنقذني يا رب، أخاف الموت، لا أريد الرحيل.. لا أريد .. سمعت وقتها أصوات طائرات توقفت عن النواح ونطقت بجمله واحدة: أشهد أن لا الله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله..

..

منتهى

اقتربنا من المعسكر الذي وضع خالد فيه، لم يتبق إلا دقيقتين ونصل، ولكننا سمعنا صوت طائرة تحلق لم أستطع التحمل فصرخت بهستيرية وأنا أرى شريط حياتي يمر من أمامي، صرخت باسمه وأنا أنوح .. أسرع مهند بأقصى سرعة وأوقف السيارة سريعا عند وصولنا فتحنا الأبواب وبمجرد أن نزلنا سمعنا صوت انفجار اهتزت له الأرض وتزلزلت حتى أننا فقدنا توازننا وسقطنا، وقبل أن نستوعب الذي حدث سمعنا صوت انفجار آخر ورأينا ناراً تتفجر وتشتعل من داخل المعسكر ركضت مسرعة أريد أن أدخل، لكن بنان أمسكتني ومنعتني، صرخت بها

منتهى: خالد بالداخل يجب أن أخرجه دعيني.

احتضنتني بقوة ومنعتني من التحرك لقد بدأت بالاستيعاب عندما رأيت يوسف يجثوا على الأرض وهو ينوح كالأطفال ومهند يقف بقربه وهو يبكي بحسرة هل رحل؟ تلفتُّ لأرى النار وقد غطت المعسكر بأكمله والدمار يثبت بها لا يدع مجالاً للشك انه لو كان هناك كائن حي فبالتأكيد أصبح أشلاءً الآن.

هل مات؟ وقبل أن اسأل هذا السؤال أو أسمع إجابته أظلمت الدنيا من حولي وشعرت وكأنني ذهبت إلى عالمٍ بعيد..

صنعاء – مستشفى

يوسف

جلست بالقرب من منتهى التي فقدت الوعي منذ يومين، يغطي الإرهاق والحزن ملامحي، لقد رحل عني سندي وصديق عمري، لم أعد أقوى حتى على الحزن .. استسلمت للحياة فلتضربني كما تشاء حتى تكتفي وتتركني أنازع ما تبقى مني .. دخل الدكتور إلى الغرفة وفحص منتهى بعد الفحص سألته بهدوء: لماذا لم تستيقظ بعد؟

الطبيب: لأنها لا تريد أن تستيقظ.

نظرت له بعدم فهم: ماذا تقصد؟

الطبيب: هي مستيقظة ولكنها لا تريد فتح عيونها.

نظرت لها بدهشه ثم نظرت إلى الطبيب: هل تسمعنا؟

الطبيب: بالتأكيد .. هي مستيقظة تماما ولكنها تغلق عينيها فقط.

أمسكتها: منتهى لا تخافي يا حبيبتي أنا هنا بقربك.

أوقفني الطبيب: دعها حتى تقرر هي كي لا تتعرض إلى مضاعفات نفسية.

هززت رأسي بتفهم، خرج الطبيب فاقتربت من منتهى وهمست: يجب أن تكوني بخير لم يتبقَ لي إلا أنتِ.

خرجت بعدها لأتصل بعمار وطارق لنقرر ماهي خطوتنا القادمة فهكذا جميعنا في خطر.

منتهى

لا أريد أن أرى النور وهو ليس هنا، أريد حقا أن أبقى هكذا إلى أن ألحق به .. هل كانت ستخسر هذه الحياة الكثير لو أنها تركته لي؟! الجحيم الذي أنا فيه ما لذي سينقصه لو تخلى عني أيضا وتركني أذهب بسلام لأمي لنصر لخالد لحياتي التي هناك، أنا لم أعد أملك أي حياة هنا .. هذه الحرب يصعب عليها أن تجعلني أرحل بسلام، تستمتع بنزاعي مع كل روح تغادرني .. أولئك الذي أوصلونا لما نحن فيه هل يعوضهم المال والسلطة عن موت أحبابهم؟! هل حقا لم يشعروا ولا لمرة بمرارة الرحيل؟! لقد تركني أخلف وعده وتركني.. رحل عني قوتي وابتسامتي وأماني وسبب استمراري، اختار بأن يوجعني بأكثر ما يخيفني، كم هي محظوظة بنان فيوسف ما يزال يتنفس لو أن الحياة فرقتنا في أقطارها كان سيكفيني فقط أنه ينظر لنفس السماء التي أنظر إليها.

..

يوسف

عدت إلى غرفة منتهى ولكني لم أجدها على السرير، جننت أين ذهبت؟! تلفت أبحث عنها وجدتها تلبس عباءتها، ذهبت إليها و أمسكت يديها.

يوسف: منتهى حبيبتي يجب أن تستريحي.

منتهى بوجوم وصوت هامس: سوف أستريح طويلاً ولكن ليس الآن.

شعرت بأنها لا تعي ما تقول ثم إني توقعت أن تكون أكثر انهياراً، شعرت بخوف ربما هي لم تعي بعد ما يحدث: منتهى هل تعلمين ما الذي يحدث؟

أمسكت يدي وأغمضت عينيها: لم أجن بعد، ولكن لدم خالد حق علينا، وعدتني أننا لن ندعه يدفع حياته ثمن لعبتنا هذه ودفعها، فعدني أن لا يذهب دمه هدراً.
تنهدت وتجمعت الدموع في عينيّ: لقد أقسمت أن أنسحب من هذه المعركة، ولكن لا خيار أمامي، فلتذهب حياتي ومشاعري إلى الجحيم.
فتحت منتهى عينيها: لا وقت للبكاء الآن يا يوسف لن نبكيه بحسرة، سيبكونه هم من قتلوه، سيبكون خطأهم هذا أكثر منا .. هل اتصلت بعمار؟
يوسف: نعم .. مغادرتنا ستكون غاية في الخطر لقد عاد عمار وطارق.
شهقت منتهى برعب: لماذا؟
يوسف: لنعيد ترتيب أوراقنا.
منتهى: ماذا تعني؟
يوسف: أعني أن جهاز التتبع لم يعد موجوداً، بذلك سيخرج بالذاكرة أحدنا.
منتهى: والبقية؟
يوسف: هنا المشكلة، سيكون من الصعب خروجنا جميعاً، سيوقفوننا.
منتهى: سأخرج أنا بالذاكرة.
حاولت أن أعترض ولكنها قاطعتني: أنا الوحيدة التي سيكون لي أمل بالخروج بها سأزور هويتي وألبس اللثام و لن يعرفونني.
تنهدت، إنها على حق، أكملت هي: عمار سيغادر الآن وانت ستتبعني سنخرج على ثلاثة أيام أما طارق فسيبقى هنا.
نظرت لها مستفهماً فأجابتني على الفور: خروج عمار اليوم لن يثير أي شبهات لأنهم بالتأكيد يعلمون بأننا ما زلنا في صنعاء، أقصد أنا وأنت وطارق، وغداً سأغادر أنا سأخرج من المنزل مع جماعة من النسوة التي يأتين للعزاء و لن يتعرفوا إليَّ وأنا

ملثمة، وسأغادر عن طريق عدن كما كان اتفاقنا، يتبقى أنت يجب أن نجد طريقة آمنة لمغادرتك.

رن هاتفي باسم عمار، أجبته وطلبت منه أن نجتمع جميعاً في منزلي، أخذت منتهى وذهبنا، كان الإرهاق يغطي ملامحها والبؤس يطل من عينيها ولكنها مصرة على أن تكمل هذا المشوار.

..

منزل يوسف

عمار

لقد كانت منتهى محقة في طريقة تفكيرها، إنها تتحدث كما لو أنها خالد، أراه فيها في طريقة تفكيرها واحتوائها لكل المشاكل التي ممكن أن تواجهنا.

طارق: حسنا أنا موافق

منتهى بجدية: أن كنت تشعر باي خطر فأخبرني أنا لا أريد أن يشعر أحدكم أنني أجبره على شيء لا يريده.

طارق: لا تقلقي مهما حسبتها فطريقتك هي الأفضل، ثم أنني لا أود المغادرة، سيكون رائعاً أن أكمل مهامنا من هنا.

يوسف: أنا أيضا سأعود.

وعمار: وأنا كذلك سأعود بأقرب فرصة وسنعيد افتتاح موطني .. لطالما قال خالد أننا محميون بحب هذا الشعب، لم يعد لدينا ما نخافه بعد الآن.

منتهى: حسنا إذاً وأشركوا لمياء وعماد معكم نيابة عني وعن خالد.

نظر لها يوسف بصدمة: ماذا تقصدين؟
منتهى: أقصد بأنني لن أعود؟
يوسف: ولكنك أكثر من أصر على العودة؟!
منتهى: لقد رحل عني وطني، وبلاه أي أرض تعتبر غربة، ولكني أعرف أين سأكمل حياتي وكيف؟ وبعد هذا اليوم لن أعود لهذه الأرض أبداً.
نظرنا ثلاثتنا إلى بعض، لن نناقشها يكفيها وجعها، قد يهدأ جرحها وتعود للتفكير.
منتهى: كل أمور التقنية جاهزة ؟
أجبتها: تماما
منتهى: ولكنها قمة عالمية يا عمار لن يكون من السهل اختراقها.
عمار: ليس من السهل ولكنه ليس مستحيلاً ثم إننا قد اخترقنا أصعب الأجهزة، لن يكون من الاستحالة التلاعب بشاشتها.
طارق: والكهرباء سأتحكم بها أنا.
منتهى: لن يعيقنا فارق المسافة ؟
طارق: بالتأكيد لا، ولكن يجب أن نتأكد جميعاً بأن أجهزة تواصلنا جاهزة لأي طارئ.
يوسف: إن حدث أي خلل كيف سأغادر القاعة ؟
منتهى: لن تدخلها أساساً.
نظرنا لها ثلاثتنا بصدمة أكملت بحزم: كانت هذه مهمة خالد وأنا من سيقوم بها.
يوسف: وأنا لن أستطيع جعلك تعرضين حياتك لخطر كهذا.
منتهى: أنا لن أتراجع عن هذا القرار يا يوسف.

يوسف: هل تعين ما تقولينه؟ ستنقلب حياتك يا منتهى بعد مواجهة كهذه، هذا إن استطعتِ أن تخرجي من تلك القاعة دون أن تقتلي أو تعتقلي ثم إننا بحاجة إلى مدة من الزمن بين البث المباشر الأول ولحظة الخروج.
منتهى بقوة: وأنا أعلم كيف أوجد لكم هذه المدة، أرجوك يوسف هذه اللحظة هي الحظة التي من أجلها فتحت عينيّ ووقفت لأكمل هذا المشوار.
تنهد يوسف وهز رأسه موافقاً..
تحدثت: ثم أنه سيكون من السهل عليها الدخول إلى اجتماع القمة ببطاقة صحفية مع حجابها ونظارة طبية وبعض التعديلات بالمكياج، لن يتعرف عليها أحد مباشرة
منتهى: ولكني سأعلن عن نفسي.
عمار: لابد أن خالد أخبرك كيف كان سيجعل هذه العشر الدقائق تمضي صحيح ؟
هزت منتهى رأسها بإيجاب: أجل.
طارق: ستكون مهمتي من هنا سهلة.
منتهى: لكن حافظ على سلامتك .. يجب أن نرتدي جميعاً ستر واقية من الرصاص
يوسف: بالطبع.
عمار: حسناً لنراجع الخطة للمرة الأخيرة، أولاً سأغادر أنا الآن، غدا منتهى ستغادر بالهوية الجديدة وباللثام، سيتبعها يوسف ولكن من منفذ الوديعة بالهوية التي كان سيغادر بها خالد، طارق سيبقى هنا ليعلن في نفس الوقت أن مؤسسي موطني هم أعضاء الرداء الأبيض .. سنلتقي جميعاً في القاهرة بعد غدا ونتجه إلى جنيف بهويات ثالثة مزيفة ولكن لمنتهى ستكون هي هوية الصحفية التي ستدخل بها إلى الاجتماع، أنا سأزور بطاقة عامل كهرباء في القاعة وأدخل قبل الاجتماع بيوم وأشبك موصل الكهرباء مع جهاز طارق يوسف سيدخل القاعة بهوية مبرمج

مزورة وسيصل شاشات العرض بجهازي، يوسف مهمتك الأساسية ستكون تأمين منتهى، بعد الاجتماع ستأخذها الى أي فندق رخيص، حاول أن تحميها وتحمي نفسك وقت الخروج، بعدها سآتي لكم ونغادر جنيف في نفس اليوم إلى ماليزيا ومن هناك سنقرر ماذا سنفعل حسنا؟

يوسف: اتفقنا إذا .. بقي شيء واحد، طارق هل تواصلت مع أدهم الذي أخبرتك عنه؟

طارق: أجل سيأتي إلى صنعاء غدا.

عمار: من هذا؟

يوسف: شاب التقيت به مع خالد في طريقنا إلى تعز سيساعدنا كثيراً في حماية موطني وأيضا أريده أن يعمل معاً.

منتهى: أخبرني خالد عن قصته.

طارق: لقد انتهينا إذا.

عمار: سأغادر أولاً.

وقف يوسف وطارق لتوديعي وخرجت.

جنيف
قبل الاجتماع بيوم

وقف عمار وهو يبتسم وقد نجحت البطاقة الممغنطة التي سرقها من أحد العمال في إدخاله وهو يضع فوقه بطاقة مزوره تحمل صورته واسم عامل آخر كان يرتدي ملابس مهندسي الكهرباء مما ساعد في تمويه ملامحه، توجه مباشرة إلى مكبس الكهرباء للقاعة وهناك فتحه ببطء وبدأ بتوصيل الأسلاك إلى الجهاز الذي سيوصل تحكمها إلى طارق وهو يضع سماعات البلوتوث التي تجمعهم جميعاً في أذنه ليؤكد له طارق أن العملية تمت بنجاح ولكنه فجأة سمع صوتاً آتياً من خلفه: ماذا تفعل هنا؟!

شعر عمار بنبضه يتسارع وقف مسرعا أخفض رأسه بطريقة لا تجلب الشك وتحدث بلكنة أميركية بحتة: أتأكد من سلامة مكابس الكهرباء سيدي.

نظر له الضابط بشك وطلب بطاقته، أخرجها وأعطاه. تأمل الضابط بطاقته ثم سأله بشك: هل أنت أمريكي؟

أجابه عمار بنفس الطريقة: أجل سيدي.

الضابط: ولكن ملامحك تشبه الأتراك

عمار: نعم سيدي، أمي تركية.

اقترب الضابط منه ولكن دعته إحدى الضابطات للتأكد من سلامة أنابيب المكيفات. تنفس عمار بعمق وسأل طارق: هل نجحت ؟

طارق: أجل يا كريم

عمار باستغراب: من كريم ؟

طارق بابتسامة: التركي الذي تشبهه.

قبض عمار يديه بغضب: تافه.

طارق: يوسف هل تسمعنا؟

يوسف: للأسف .. هل أدخل الآن؟

عمار: أجل سأتحرك الآن، سنتصادم بخفة وأسقط البطاقة الممغنطة لتدخل بها أنت.

يوسف: حسناً.

عمار بصوت منخفض: لقد تشاءمت من هذه المهمة.

يوسف بجدية: سأدخل الآن.

وقف عمار ودخل يوسف في نفس اللحظة تصادما وأوقع عمار بعض أغراضه منها البطاقة الممغنطة، نظر ليوسف وغمز له بابتسامة شقيه تطل من عينيه، أخذ يوسف البطاقة ودخل بها، خرج عمار مسرعاً.

عمار: يوسف، أنا سأبقى بالقرب للاحتياط إن حدث شيء .. حاول أن تخفض رأسك من كاميرات المراقبة وأن لا تلفت الأنظار.

لم يجب يوسف كي لا يلفت الأنظار، توجه مباشرةً إلى المكان الذي حدده له عمار. لقد ضل يدربه طوال اليل كيف يوصل الأسلاك ببعضها توقف، أمام جهاز التحكم بالشاشات وتحدث إلى عمار بصدمة.

يوسف: عمار الأسلاك كلها بنفس اللون ماذا أفعل؟

عمار: اللعنة .. طارق هل تستطيع فتح جهازي من عندك؟

طارق: اتصل بالإنترنت.

عمار: منتهى الجهاز بقربك أليس كذلك؟

منتهى التي كانت تنتظرهم في السيارة: أجل.

عمار: افتحيه واتصلي بالإنترنت بسرعة.

منتهى: حسنا.

طارق: لقد اتصلت بالجهاز.

يوسف: والان ماذا؟

عمار: الآن ستوصلهن بكل سلك إلى أن نعلم أي واحد منهم سيعمل

طارق: ابدأ يا يوسف.

بدأ يوسف بأيدٍ مرتجفة يوصل الأسلاك الأول ثم سأل: هل نجح؟

طارق: انتظر .. لا.. حاول بالآخر.

زفر يوسف بتوتر وعاد يحاول

منتهى: عمار جهازك يشير بانتهاء البطارية ماذا أفعل ؟

عمار بسخرية: ألم أخبركم أنني تشاءمت من هذه المهمة؟! هل لك أن تسرع يا يوسف؟

يوسف وهو يحاول جاهدا: هل تراني ألعب؟ لقد أكملت الثاني..

طارق: انتظروا قليلاً .. لا .. حاول مع الثالث ..

لعن يوسف تحدثت منتهى: أسرع يا يوسف سينطفئ الجهاز.

حاول يوسف سريعا حتى أوصله بالسلك الثالث ولكنه سمع صوت يوقفه

ضابط آخر: ماذا تفعل هنا؟

يوسف بالغة الفرنسية: أنا متخصص برمجة الشاشات.

الضابط: أخرج بطاقاتك إذا سمحت.

أخرج يوسف بطاقته، تأملها الضابط مطولاً.

الضابط: انتظرني من فضلك لدقائق.

يوسف: بالتأكيد تفضل.

يوسف بهمس بعد أن ذهب الضابط: والآن ماذا؟

عمار: إياك والتحرك أو التحدث، لا تثِر أي شكوك، لا تقلق أنا مزور جيد لقد اخترت شخصية موجودة حقاً، سيبحثون عنه ويجدونه ويعيدون لك البطاقة.

رأى يوسف الضابط يسأل امرأة يبدوا من شكلها أنها فرنسية ويشير إليه تحدث مع عمار سريعا: يبدوا أنها تعلم الشخص الحقيقي الذي زورت لي بطاقته يا حاذق.

عمار وقد تحرك من مكانه سريعا: الخطة ب إذا.

يوسف بعصبية: و ماهي الخطة ب؟

سمعوا صوت إنذارات اختراق الأمن تتعالى

عمار: اهرب .. دون أن تلفت الأنظار إليك.

خرج يوسف مسرعاً أبعد البطاقة والنظرات الطبية والشعر المستعار الذي كان يرتديه ومشى باتجاه السيارة، لحقه بعدها بدقائق عمار وقد تخلص من ملابسه أيضاً.

يوسف: والآن ماذا؟

عمار: لا أعلم، سيكون من الصعب الدخول مرة أخرى.

منتهى: هل يعني أننا فشلنا ؟

عمار: سأحاول اختراق النظام بالكامل والتحكم بالشاشات.

منتهى: عمار، غداً الاجتماع هل ستستطيع ؟

عمار: لا أعلم، سأحاول أو سنوقف الخطة هذه المرة.

منتهى بعصبية: ماذا تعني؟

عمار: أعني سننتظر الاجتماع القادم، سيضلون يجتمعون لأشهر.

منتهى: ولكن غداً سيأتي ممثلو الدول العربية ومجلس الأمن ودول الفيتو، لن يعاد مثل هذا الاجتماع.

عمار: لا أعلم منتهى، دعيني أفكر في حل.

تحدث طارق: هل تسمعونني؟

عمار بإحباط: أجل.

طارق: متأسف، نسيت أن أخبركم أن السلك الثالث كان هو السلك الصحيح وقد تم إيصاله بجهازك يا عمار.

عمار بصراخ: هل تريد أن تموت؟!

ضحك طارق: لم يكن لدي وقت لأقاطع حديثكم الشيق أردت أن أصله قبل أن ينطفئ جهازك.

تحدث يوسف: أنا أرى أن نبلغ عن مكانه في صنعاء ليعتقلوه، ما بك أيها الطفل أصبحت مستفزاً هكذا؟

طارق: لا أخفيكم عندما أتوتر أتحول لهذه الشخصية المستفزة.

منتهى: أرجوك طارق ليس اليوم ولا غداً، ستجلطنا بتصرفاتك.

طارق: حسنا عودوا للفندق الآن، غدا يوم طويل.

جنيف

اجتماع مجلس الامن مع ممثلي أطراف النزاع في اليمن

انتشرت الصحافة وأجهزة الأمن في القاعة بدأ الحضور بالتوافد إلى القاعة من كل الأطياف والجهات و الدول .. وصل منتهى وعمار ويوسف، جهزت منتهى نفسها نزلت من السيارة بخطوات واثقة وابتسامتها التي تعشق استعمالها في هذه المواقف لم يغب طيفه عنها لذلك يجب أن تنتقم له .. دخلت القاعة وهي تضع السماعات التي تربطهم ببعض .. افتتح الاجتماع وبعد كملة الافتتاح وجميع القنوات العالمية والمحلية تبث بثاً مباشر وصلت منتهى الإشارة الأولى تبسمت وأخبرت يوسف بأنها مستعدة، انقطعت الكهرباء لثواني بعدها بدأت جميع الشاشات بعرض مقطع الفيديو الأهم، والذي يفي بالغرض كبث مباشر إلى حين نشر بقية الوثائق والصور. ظهرت الصدمة على ملامح جميع الحاضرين وهم يرون رجل من كل حزب مجتمعون يتفقون على كيفية تقسيم موارد الدولة واستغلال تجارة السلاح بإثارة الحروب، بعض رواد هذا الاجتماع حضروا القمة كطرفي نزاع، تجمدت الدماء في عروقهم لقد انتهى أمرهم فعلاً .. بعد انتهاء البث وقف الصحفيون أمام بوابات خروج القاعة لمنعهم من المغادرة وقد استشاط بهم الغضب حتى أنهم رشقوهم بأحذيتهم .. وصلت منتهى الإشارة ببدء العشر دقائق

أريد الهروب، كل كلمة سأقولها سيحاسبني عليها التاريخ إلى بعد رحيلي حتى، هل أنا قوية بما فيه الكفاية لأتحدث باسم ملايين أسكتتهم الحرب؟! أنا موجوعة بما فيه الكفاية لأصرخ عن كل من كتمت هذه الحرب صوته، وقفت بكل قوة توجهت إلى المنصة التي تتوسط قاعة القمة، أبعدت النظارة والقبعة، لقد ظهرت ملامحي صرخت بهم لألفت انتباه الجميع: ماذا؟ هل كنتم تعتقدون أنكم لن تفضحون؟!
نجحت في جلب الأنظار، توجهت إليّ كل الأنظار والكاميرات، وأصوت الهمس والحديث إنها منتهى، إنهم مؤسسو منظمة موطني، هم عصابة الرداء الأبيض!!
منتهى: هل اعتقدتم بأننا سنخاف من الموت مثلاً؟! تبسمت بسخرية و أكملت: لقد سرقتم حياتنا فلا تندهشوا من اندفاعنا نحو الموت، أصبحت دماؤنا هي رؤوس أموالكم .. والفتنة بيننا هي دينكم .. هاذي الحرب هي زادكم .. وآلاف الأرواح التي تدفع ثمنها هي أوتاد قوتكم .. دموعنا، أوجاعنا، صرخاتنا، هي سلالمكم التي تصعدون بها لمناصبكم الزائلة .. وكلما سقطنا نحن كلما ارتفعتم أنتم .. ألم تكتفوا من القتل؟ هذا الشعب الذي دعمكم لسنين، الذي أوصلكم للحكم بمختلف طوائفكم، ألم تكتفوا من تعذيبه؟ ألا يوجد فيكم ضمير واحد يصرخ بـ "يكفي"؟ ألا يوجد فيكم شيطان أخرس واحد يقدر أبناء بلاده الذين أوصلوه لما هو فيه؟ ..
لا يوجد بالتأكيد ولكن نحن من سيصرخ بـ "يكفي"، نحن من سنوقفكم، أنا ومن خلفي من الملايين سنوقف هذا النزف، سنقلب هذه الطاولة عليكم، وإن كنا سنخسر أرواحنا فلنخسرها من أجل الوطن لا من أجل خونة .. الملايين التي

خرجت لدعمكم لسنين ستخرج اليوم لإيقاف مهزلتكم هذه، واليوم سيختار الشعب إما الحياة و إما الحياة فلا الموت يوقف صوت الحرية وشمس الوطن لن يقتلها طول ظلامكم، ستشرق وتتبخر بها شعارتكم الكاذبة .. الله هو المحبة فكفوا عن الاقتتال باسمه .. جميعنا مذهبنا هو السنة هو الشيعة والزيدية والصوفية فكفوا عن عفن طائفيتكم .. جميعنا معجونون بطينِ صنعاء وماء عدن وحدودكم الوهمية لا تعنينا .. صوتنا الله أكبر.. وكل أرواحنا من محمد وعيسى وموسى وآدم .. مساجدنا سلام وحضارة وفن .. وقلوبنا إسلام وحب وعطاء، كلنا من و إلى هذا الوطن .. نظرت لممثلي الدول العربية وملامحي تعكس الغضب والحرقة .. هذا الكتاب من التفرقة من الطائفية والتخاذل هذا الكتاب التي صنعاء أحد فصوله، صنعاء، دمشق، بغداد، بيروت، بنغازي، القاهرة، غزة، كلها فصول كتاب تكتبونه بأيدكم الآثمة وبصفقاتكم القذرة بدمائنا الطاهرة .. حريق البساتين لا يقتل البذور فيها ودموعنا المالحة أمطار صالحة للسقاية .. أحرقوا وفرقوا واصنعوا ما شئتم من أسباب تفرقة، أسموها مره بأسماء طائفية ومرة بأسماء مناطقية وأخرى دينية أو سياسية، اسلكوا كل مسالك التفرقة وستنبت من بذور الخير فينا بساتين أخرى تغطي قمامة أفعالكم رغماً عنكم. مهما اغرقتنا سيولكم ستسطع بنا شمس مكارم الأخلاق ورهانكم هذا ستخسرونه .. سنعيد إعمار كنائس دمشق بأنقاض مساجد بغداد، سنضيئ دروبنا المظلمة بإحراق شعاراتكم الكاذبة، سنصلي في المساجد والكنائس والشوارع وسنصل إلى الله بالمحبة .. صوت واحد منا سيسقط عروشكم الوهمية واليوم ستنتهي هذه المسرحية الفاشلة وستبدأ قصة ستكتب بأيدينا، لنا للحب لله للوطن .. ظهرت السخرية على ملامحي ونظرت لممثلي الأمم المتحددة ودول الفيتو والدول العظمى: أركعتم هؤلاء الفشلة – وأشرت إلى ممثلي

الدول العربية – ولكن صدقوني نحن شعوب لا تركع .. أعتقد بأنكم تعلمون هذا، استغليتم كل نقاط ضعفنا، صنعتم بعضها وأهديناكم بغبائنا الكثير منها، ولكننا لم نركع بعد .. الإرهاب الذي صنعتموه لا يمثلنا، والحرية حقنا الذي لا تملكون حق تقريره .. وفي قوانيننا قد يقضي جندي بأيدي صادقة على ملك بأيدي مهزومة كأيديكم .. غربال الحرية الذي تمسكونه لا يغطي معارك الدم في تاريخكم فكفوا عن اتهامنا بالإرهاب .. نحن شعوب قادرة على تدميركم بسلام بقرار بكلمة فلا تدفعونا لخوض معركة قد تخسركم كل شيء .. ومن الآن سيقرر الشعب اليمني، سيقرر العالم العربي وسنختار حقنا في الحياة، حقنا في الحرية، في الكلمة، في الوطن والحلم والرسم على الجدران، ستنتهي أدواركم هنا وسيبدأ عهد جديد.
انقطع التيار الكهربائي مرة أخرى، هذه الإشارة الثانية، يجب أن أخرج الآن قبل عودته ولكن فجأة رأيت عالم آخر أمامي كفلم يعرض. خارج أسوار هذا العالم المرئي فلم لا أستطيع رؤيته بوضوح ولا أستطيع المشاركة فيه؟! لقد رأيته إنه هو خالد يجلس على البيانو يردد موطني ومعه بدأت صور ضبابية تظهر أمامي كخيال كحلم كحقيقة أبدية.
" موطني موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك في رباك والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك في هواك "
إقالة كل متفاوضين اليمن وكل وزراء الحكومتين..
تكوين وفود تفاوض جديدة تجتمع في صنعاء..
خروج مسيرات مطالبة بإعادة هيكلة الجيش..
إعادة هيكلة الجيش وتوليته أمن المحافظات، ومنع أي جماعة مسلحة من السيطرة..

مطالبات شعبية بانتخابات حكومية ورئاسية..
وقصة وطن لن تنتهي بسطور ونهاية صفحة تعني بداية لصفحة جديدة قد لا تخلوا من الدم والوجع، صفحة ستحمل في طياتها مشواراً طويلاً من النضال، من العزم والإصرار، صفحة جديدة طويلة ومرهقة ولكنها ستكتب بأقلام مزج حبرها بحب الوطن.

" هل أراك؟! سالماً منعماً وغانماً مكرماً هل أراك؟ في علاك تبلغ موطني موطني "

ثورة عارمة تجتاح الوطن العربي للمطالبة بتطبيق القائمة الوطنية للحقوق والتي كتبها مجموعة شباب من الوطن العربي..
مناقشة القرار المقترح لإقامة جيش عربي موحد..
أسطول الحرية الثلاثي ينطلق لفك الحصار عن غزة حلب بغداد..
إعلان وقف إطلاق النار في سوريا وفك الحصار عن كل المدن المحاصرة..
دخول توقيعات حملة الإرهاب لا يمثلني موسوعة جينيس بعد تجميع أكثر من مليار توقيع..
وتلك الأحلام ترافقنا دائما نضعها في سطورنا، في قلوبنا، وفي قائمة أولويتنا مهما أظلم العالم من حولها تبقى الضوء الذي لا ينطفئ .. مهما كانت بعيدة مهما كانت جراحنا أكبر منها سيدور الزمن و ستتحقق رغم أنف كل من يرفض تحقيقها .. ستنفجر جراحنا لتزهر منها آمالنا ويبقى للمطر موسماً تنتظره أشجار الخريف.

" الشباب لن يكل همه ان يستقل او يبيد او يبيد .. نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيد كالعبيد .. لا نريد لا نريد ذلنا المؤبد وعيشنا المنكد ذلنا المؤبد وعيشنا المنكد لا نريد بل نعيد مجدنا التليد "

وعندما تظن أن الحياة أخذت منك كل شيء، ستعلم أن الحياة هي نعمة تساوي كل شيء وما دمت حياً فأعلم الحياة بهذا، أصرخ في وجهها "أنا حي" وتصرف كالأحياء. لا تستبق الموت فهو آت، فلا تعشه مرتين .. السلام والحرية هم ألوان يوسف، و الحب هو أوراقه، مهما خسر أو تألم تبقى لوحاته تحمل أطياف أحلامه، أطياف أحبابه، أطياف بقايا روحه التي ستضل تصرخ بصمت بهمس بوجع "أنا حي" انطفأت عيناه إلا في لوحة ملاك، تلك التي وصلت للعالم أجمع. آمنت هي بأحلامها وكفرت أحلامها بأي شيء آخر سواها، وكم يشبه يوسف هذا الوطن المثخن بالجراح والخسران، القادر على النهوض والاستمرار بالرغم من الألم .. مرآة الحق وصوت الدمع هي صور بنان التي تبحث عن الورود في الأشواك، عن الضوء في الظلام، عن الحب في الوجع، عن ابتسامات الأمل من بين الدموع. صورها التي ستلهم العالم كم تشبه هذا الوطن في الرغبة في البقاء، في البحث عن أمل، عن قوة عن حياة .. ويبقى مهند متأخراً بخطوة، بصفحة واحدة مزقها من حياته، تحمل نظراته الكثير من الندم، و الكثير من الإصرار .. وكم يشبه هذا الوطن الذي يحتاج إلى تمزيق صفحة الحرب من كتابه والبدء من جديد في صفحة سلم ناصعة البياض..

" موطني موطني .. الحسام واليراع لا الكلام والنزاع رمزنا رمزنا .. مجدنا وعهدنا وواجب من الوفاء يهزنا يهزنا "

مشوار الألف ميل يبدأ بقرار، فالخطوة الأولى لا تأتي إلا بقرار، ومشوارنا طويل، سنحتاج لسنين لتشفى جراحنا، لننسى كل ألوان الوجع الذي ذقناه وكل روائح البارود وكل أصوات الصراخ، وكل تلك الأرواح التي رحلت عنا .. ولكننا سنتخطاه، سنتخذ قرار الخطوة الأولى وسنحاول جاهدين نسيان هذه السنين .. كل الأصوات التي ارتفعت، أصوات الانفجارات حتى غطتها، ستشق طريقها إلى بداية جديدة، كل الآمال التي دفنت تحت أنقاض القصف ستنبت ولو بعد حين. كل الأرواح التي لجمت بألجمة من نار، من خطف ودمار، من موت ووجع ستعرف طريق الغفران يوماً ما ..

" عزنا عزنا غاية تشرف وراية ترفرف ياهناك في علاك قاهرا عاداك قاهرا عداك "

أنا لم أخسرك.. تبقى روحك جزء من روحي، وأنت حيٌّ ما دمت أتنفس، أنت في قلبي نبضه وفي عمري أيامه .. لقد أكملت عهدنا يا حبيب عمري، و يا هناك في علاك قاهراً عداك قاهراً عداك..

..

تمت

..